مِن روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس مثنى محمد هبيان

قدم له:

د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلد الثاني عشر

من بداية سورة الحجرات حتى سورة المنافقون

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com

دار الفكر

الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص ب:11/7061

هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904

الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛

هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888

بيروت لبنان

سورة الحجرات

أولاً ـ تناسب خواتيم الفتح مع فواتح الحجرات:

١ ـ الكلام في خاتمة سورة الفتح عن الذين آمنوا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾... [الفتح:٢٩].

وفي بداية سورة الحجرات الخطاب لهؤلاء المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾[الحُجُرات:١].

٢ ـ قال في خاتمة سورة الفتح:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾[الفتح:٢٩].

وقال في أوائل الحجرات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحُجُرات:٣].

فكلتا الآيتين في أصحاب رسول الله عليه السلام، وقد وعدهم الله بالمغفرة والأجر العظيم.

٣ ـ آية الفتح فيمن كان معه في الحرب، وآية الحجرات فيمن كان معه في السلم يعلمهم ربهم كيف يتعاملون مع الرسول ﷺ ومع المسلمين.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة؛ لأنه ذكر رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[الفتح:٢٩] فربما صدر من المؤمن عامل الصالحات بعض شيء مما ينبغي أنْ يُنهى عنه، فقال :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[الحُجُرات:١] وكانت عادة العرب – وهي إلى الآن – الاشتراك في الآراء، وأنْ يتكلم كل بما شاء ويفعل ما أحب، فجرى من بعض من لم يتمرن على آداب الشريعة بعض ذلك)).

ثانياً ـ هدف السورة : أدب العلاقات :

سورة محمد والفتح والحجرات يجمعها محور واحد، وهو الرسول عليه السلام، والسور الثلاثة مدنية، ولكل منها هدف خاص بها نستعرضه فيما يلي كل سورة على حدة.

سورة الحجرات هي سورة تتحدث عن أدب العلاقات والتعامل مع الرسول عليه السلام ومع المسلمين والناس عامة. وكأنّ الهدف من هذه الآداب والتوجيهات أنكم يا من سينزل عليكم الفتح يجب أن تتأدبوا بالعلاقات مع الرسول عليه السلام، هذا بالإضافة إلى الصفات التي أوردها الله تعالى في سورة الفتح (آية ٢٩)، فكأنما أراد الله تعالى أنْ يجمع لهم صفات العبادة والعمل مع الصفات الخلقية والذوقية؛ حتى يكونوا أهلاً للفتح من عند الله تعالى. وقد تضمّنت السورة العديد من الآداب نستعرضها فيما يلي:

١. الأدب مع الشرع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحُجُرات:١].

٢. الأدب مع النبي عليه السلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحُجُرات:٢-٣].

٣. أدب تلقّي الأخبار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحُجُرات:٦].

٤. أدب الأخوّة بين المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحُجُرات:١٠].

٥. أدب الإصلاح في حال وقوع خلاف: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحُجُرات:٩].

٦. الآداب الاجتماعية بين المسلمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجُرات:١١-١٢].

٧. أدب التعامل مع الناس بشكل عام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجُرات:١٣]. وقد تأخّر ذكر أدب التعامل مع الناس في السورة، وهذا ليرشدنا أنه قبل أنْ نتعامل مع الناس بأدب علينا أنْ نحقق ونكتسب كل الآداب السابقة في التعامل مع رسولنا وفيما بيننا حتى نتميّز بأخلاقنا وآدابنا، وحتى نترك عند الناس من غير المسلمين الانطباع الحسن؛ لأنّ الخلق الحسن قد يفتح من البلاد وقلوب العباد ما لا تفتحه الحروب والمعارك، وكم من الناس دخلوا في الإسلام بأخلاق المسلمين الفاتحين لا بالسيف.

٨. أدب التعامل مع الإيمان ومع الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجُرات:١٧].

فهذه السورة هي حقاً سورة الآداب الاجتماعية، وقد سميّت بـ (الحجرات)؛ لأنّ الله تعالى ذكر فيها حرمة بيوت النبي، وهي الحجرات التي كانت تسكنها أمهات المؤمنين الطاهرات رضوان الله عليهن؛ وهذا ليربطنا بالنبي عليه السلام. وفي هذا دلالة أيضاً على ارتباط السور الثلاثة محمد والفتح والحجرات بمحور واحد هو (محمد عليه السلام)، ففي سورة محمد كان الهدف اتّباع الرسول عليه السلام، وفي سورة الفتح مواصفات أتباعه، وفي سورة الحجرات أدب التعامل مع الرسول عليه السلام والمجتمع.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ في الآية ولِمَ لمْ يقل: من أصواتهم؟

الجواب :

قوله تعالى في آية لقمان ١٩: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أي: اخفض، وجاء هنا بـ (من) للتبعيض، ولم يقل: (اخفض صوتك)؛ لأنّ المطلوب خفض جزء من الصوت لا كله بحيث يكون مسموعاً معتدلاً.

بينما قال في آية الحجرات ٣: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ لأنّ المطلوب خفض كلي للصوت؛ ولذلك كان الصحابة لا يكاد يسمع لهم صوت عند الرسول عليه السلام.

❁❁❁❁

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ ما كلمات منظومة التحري والاستخبار؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٦٤.

❁❁❁❁

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿وَٱلۡفُسُوقَ﴾ في الآية؟ وكيف استعملها القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ يقال: فسقت الرطبة؛ أي: خرجت عن قشرها و ﴿فِسۡقٌ﴾ عن أمر ربه؛ أي: خرج. وفسق فِسقاً وفسوقاً. وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها. وأصل الفسق الخروج عن الاستقامة؛ ولذلك سمي العاصي فاسقاً.

٢ـ الفسوق :هو الميل إلى المعصية والخروج من الدين، وهو عام؛ لأنّ في الكلمة زيادة الحرف ـ الواو ـ فزاد المعنى إلى العام.

٣ـ في الاستعمال القرآني استعمل ﴿فِسۡقٌ﴾ مع سياق الأطعمة، واستعمل ﴿فُسُوقَ﴾ مع العام.

* شواهد قرآنية :

﴿فِسْقٌ﴾: المائدة ٥ـ الأنعام [١٢١ـ١٤٥].

﴿فُسُوقَ﴾: البقرة ١٩٧ـ الحجرات [٧ـ١١].

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَزَيَّنَهُ﴾ كيف يتعامل القرآن مع آيات التزيين؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٣.

❁❁❁❁

﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ نصب (فضلاً) بتقدير: يبتغون فضلاً من الله ونعمة.

٢ـ قوله: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى ما عند الله من الخير، وهو مستغنٍ عنه والفضل ينبىء عن الزيادة، وفيه معنى لطيف، وهو تأكيد الإعطاء.

٣ـ قوله: ﴿وَنِعْمَةً﴾ إشارة إلى ما يصل إلى العبد وهو محتاج إليه. والنعمة تنبىء عن الرأفة والرحمة.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول :

بدأ بالتثنية ﴿طَآئِفَتَانِ﴾ ثم بالجمع ﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾ ثم عاد إلى التثنية، فكيف ذلك؟

الجواب :

معنى الآية أنّ كل طائفة لها جماعة، وعند الصلح يأتي من كل طائفة من يفاوض باسمها، لكن إذا وقع القتال بينهما يقتتل كل الأفراد.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية ص ٢٢.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿فَآءَتْ﴾ ما كلمات منظومة التوبة والاستغفار؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٥٠.

السؤال الثالث :

ما دلالة استعمال (إذا) و(إن) في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ (إذا) في كلام العرب تستعمل للمقطوع بحصوله، كما في الآيات:

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾[البقرة:١٨٠] ولا بدّ أنْ يحضر الموت.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾[التوبة:٥] ولا بدّ للأشهر الحرم من أنْ تنسلخ.

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾[الكهف:١٧] ولا بدّ للشمس من أنْ تطلع.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾[الجمعة:١٠] ولا بدّ للصلاة أنْ تنقضي.

وتستعمل للكثير الحصول، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦].

٢ـ ولو جاءت (إذا) و(إن) في الآية الواحدة تستعمل (إذا) للكثير و(إنْ) للأقلّ، كما في آية الوضوء في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦] القيام إلى الصلاة كثير الحصول، فجاء بـ (إذا)، أمّا كون الإنسان مريضاً أو مسافراً أو جنباً فهو أقلّ؛ لذا جاء بـ (إنْ).

٣ـ وأما (إنْ) فستعمل لما قد يقع، ولما هو محتمل حدوثه ،أو مشكوك فيه أو نادر، أو مستحيل، كما في الآيات:

﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾[القصص:٧١] هنا احتمال وافتراض.

﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾[الطور:٤٤] لم يقع ولكنه احتمال.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ [الحجرات:٩] الأصل أنْ لا يقع ولكن هناك احتمال بوقوعه.

﴿ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣] افتراض واحتمال وقوعه.

❁❁❁❁

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال [أخ - إخوان - إخوة]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يوسف ٥٨.

❁❁❁❁

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول :

في سورة الحجرات الخطاب فيها تكرر ٥ مرات بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الآيات [١-٢-٦-١١-١٢]، بينما جاءت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ مرة واحدة في الآية١٣ فما دلالة تغيّر الخطاب؟

الجواب :

١ـ يأتي قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾إذا كان يخاطب المؤمنين خاصة،كما في الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ [الحُجُرات:١١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحُجُرات:١٢].

بينما تأتي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:١٣] عندما يكون الخطاب لعموم الناس ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحُجُرات:١٣] فهذه ليست للذين آمنوا وإنما لكل الناس، وهذا ليس خاصاً بالمؤمنين، فقال: يا أيها الناس. الخطاب للناس، لكنّ الأخرى هي أحكام للمؤمنين.

٢ـ تضمّنت سورة الحجرات العديد من الآداب وهي للمؤمنين، فلزم من ذلك الإكثار من استعمال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

انظر هدف السورة لمعرفة التفاصيل.

السؤال الثاني:

ما دلالة استعمال ضمير الفصل ﴿هُمُ﴾في الآية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٣.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿ٱلۡفُسُوقُ﴾في الآية؟وكيف استعملها القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحجرات ٧.

❁❁❁❁

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين كلمة (ميْت) و(ميّت) في القرآن الكريم؟

الجواب :

كلمة (ميْت) بتسكين الياء تقال لمن مات فعلاً، نحو ما جاء في سورة الحجرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾[الحُجرات:١٢] ولذا جاء في القرآن الكريم تحريم أكل لحم الميْتة بتسكين الياء وقد تكون حقيقة أو مجازاً.

أمّا (الميّت) فقد يكون لمن مات أو من سيموت، بمعنى: مَن مآله إلى الموت حتماً، كما في قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾[الزُّمَر:٣٠].

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ظن وحسب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٤.

❁❁❁❁

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة التذكير والتأنيث في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[يوسف:٣٠] و ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾[الحُجُرات:١٤]؟

الجواب :

١ـ بحسب القاعدة النحوية المعروفة: يجوز التذكير والتأنيث مع جمع التكسير.

٢ـ يؤنّث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر، وإذا كان أقل يُذكّر الفعل.

* شواهد قرآنية :

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ ونسوة هن حاشية امرأة العزيز لا غير، فذكّر الفعل (قال).

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [الحُجُرات:١٤] استخدم الفعل (قالت) مؤنثاً؛ لأنّ الأعراب كُثُر.

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾ [آل عمران:١٨٣] هؤلاء مجموعة من الرسل تخص بني اسرائيل فقط. فذكّر الفعل (جاءكم).

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٥٣﴾ [الأعراف:٥٣] المذكورون هنا في يوم القيامة وهم جميع الرسل وهم أكثر من الأولى؛ لذا جاء الفعل مؤنثاً. (جاءت).

السؤال الثاني :

ما معنى الفعل﴿يَلِتْكُم﴾ في الآية؟

الجواب :

معنى الفعل ﴿يَلِتْكُم﴾ أي ينقصكم ويبخسكم من (لاته يليته)، وهو(فعل أجوف)، وهي لغة أهل الحجاز، وقرأ البصريان: (يألتكم) من الألت (ألت يألت) بضم اللام وكسرها ألتاً (فعل مهموز)، وهو النقص أيضاً وهي لغة أسد وغضفان، وهم المخاطبون بهذه الآية المعاتبون بها، قال أبو حيان: نزلت في بني أسد بن خزيمة، فلذلك اختار أبو عمرو القراءة بها وعدل عن لغة الحجاز. قال الحطيئة :

أبلـــغ سراة بنـــي ســـعد مغلغلـــة جهـــد الرســـالة لا ألتـــاً ولا كـــذبا

❁❁❁❁

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[الحُجُرات:١٥] بدون (الباء) مثلما جاءت مع (الباء) فى آية سورة التوبة ٥٤ ﴿بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ ؟

الجواب :

١ـ في قضية الإيمان نحو الآيات :﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ وردت مثل هذه الجملة في حوالي (١٠) آيات، وهي: [النساء ١٣٦ـ الأعراف ١٥٨ـ النور٦٢ ـ الفتح ٩ـ١٣ـ الحجرات ١٥ـ الحديد ٧ـ المجادلة٤ـ الصف١١ـ التغابن٨] ولم تدخل الباء على أي منها، فلم يرد: (آمن بالله وبرسوله) وإنما وردت (بالله ورسوله)، وعدم دخول الباء يشير إلى أنّ الإيمان بالرسول تابع، وهو امتداد لإيماننا بالله ،أي أنّ ما بُعث به محمد ﷺ إنما هو من عند الله؛ ولذلك لم تدخل الباء على كلمة (رسوله)؛ لهذا جمع الله تعالى بين لفظ الجلالة ورسوله بحرف الواو دون حرف (الباء).

٢ـ بينما في قضية الكفر نجد أنّ حرف الباء قد دخل على كلمة (الرسول)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٥٤].

وهنا دخول الباء ضروري؛ لأنّ الكفر بالله مختلف عن الكفر برسول الله، فالكفار لم يؤمنوا بوجود إله واحد قادر على البعث والنشور، وهذا كفرهم بالله. وأمّا كفرهم برسول الله فذلك أنهم كانوا يلقبون الرسول محمداً ﷺ قبل أنْ يُبعث بالصادق الأمين، وكان معروفاً بينهم بخلقه الكريم، فلمّا بُعث فيهم قالوا عنه: ساحر أو مجنون ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[الصافات: ٣٦] ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ص: ٤] وهذا كفرهم برسول الله. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وعندما تأتي ﴿ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ كما في آيتي سورة التوبة [٨٠ـ٨٤] فهذا يشيرإلى أنّ كفرهم بالرسول في هذه الحالة تابع، وهو امتداد لكفرهم بالله، فالقرآن هنا أثبت الكفر بالجمع بين الجهتين، بينما في آية التوبة ٥٤ أثبت الكفر على سبيل الجمع والإفراد؛ لأنّ من الكفار من يؤمن بالله فقط دون أن يؤمن بالرسول عليه السلام مثل كفار قريش، ومنهم من يكفر بالله ويكفر برسوله مثل حال الشيوعين وأمثالهم وكلا الفريقين كافر، بينما الإيمان الصحيح هو فقط من يؤمن بالله ورسوله عليه السلام إضافة إلى باقي أركان الإيمان المعروفة. والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الحجرات مع خواتيمها :

السورة كلها في توجيه المؤمنين إلى حسن التعامل مع الرسول ﷺ ومع إخوانهم من المؤمنين. وأمّا التناسب بين أول السورة وآخرها فهو ظاهر.

فقد قال في أول السورة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحُجُرات:١].

ومعنى الآية: لا تقطعوا أمراً وتجزموا به وتجترئوا على ارتكابه قبل أن يحكم الله تعالى ورسوله ﷺ به ويأذنا فيه، ولا تعجلوا بالأمر دونه.

وقال في خواتيمها:

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحُجُرات:١٦] فكأنّ الذي يقدم بين يدي الله ورسوله يعلّم الله بدينه.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحُجُرات:١] في أول السورة يناسب قوله في خواتيمها ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٦﴾ [الحُجُرات:١٦].

وختم السورة بقوله :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾ [الحُجُرات:١٨].

فذكر السمع والعلم في أول السورة.

وذكر البصر والعلم في آخرها، بل ذكر أنه بكل شيء عليم.

فناسب آخر السورة أولها. والله أعلم.

سورة ق

أولاً ـ تناسب خواتيم الحجرات مع فواتح ق :

١ ـ أواخر سورة الحجرات في المؤمنين، وفيمن أسلم ولم يدخل الإيمان قلبه.

وأول سورة (ق) في الكافرين.

فقد قال سبحانه في الحجرات مخاطبا المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾. . . [الحُجرات:١٢].

وقال فيمن أسلم ولم يدخل الإيمان قلبه: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[الحُجرات:١٤].

ثم ذكر صفات المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحُجرات:١٥]. . . ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحُجرات:١٧].

وذكر في أول سورة ق من كفر وكذّب بالحق، فقال :

﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾[ق:٢-٣]. . . ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾[ق:٥].

فاستعرض في الموضعين المكلفين جميعا: المسلم، ومن أسلم ولم يدخل الإيمان قلبه، والكافر.

٢ ـ قال في آخر سورة الحجرات :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾[الحُجُرات:١٨].

وقال في أوائل ق :﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾[ق:٤].

فكلتا الآيتين في بالغ علم الله سبحانه.

جاء في (البحر المحيط): ((ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه تعالى أخبر أنّ أولئك الذين قالوا آمنا لم يكنْ إيمانهم حقاً، وانتفاء إيمانهم دليل على إنكار نبوة الرسول ﷺ فقال: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ﴾[ق:٢] وعدم الإيمان أيضاً يدل على إنكار البعث؛ فلذلك أعقبه به)).

ثانياً ـ هدف السورة :

اختيار طريق الجنّة أو طريق النار

السورة مكّية، وقد بدأت بالقسم بالقرآن الكريم الذي يكذب به المجرمون. وفيها تعرض الآيات طريق النار وطريق الجنة عن طريق حوار في الآيات بين الملائكة وأهل النار والعياذ بالله ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ آية ٢٣ إلى ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾[ق:٣٠]. وبينهم وبين أهل الجنة جعلنا الله تعالى منهم ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ آية ٣١ إلى ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾[ق:٣٥].

ونلاحظ بلاغة التعبير القرآني في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾[ق:٣٠] وقوله تعالى ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾[ق:٣١] فالنار تقول هل من مزيد، دليل على سعة جهنم، وأنها تتسع لكل المجرمين والكفار لو ألقوا فيها، أمّا الجنة

فقد أدنيت من المؤمنين المتقين حتى تكون بمرأى منهم، زيادة في إكرامهم. فبعد هذا التصوير الدقيق يا ترى ماذا نختار؟؟

وفي السورة أيضاً عرضت الآيات للنوازع الثلاثة التي قد تؤثّر على الإنسان وتؤدي إلى هلاكه:

أ- وسوسة النفس البشرية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[ق:١٦] آية ١٦.

ب- وسوسة الشيطان: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾[ق:٢٣].

ج- الغفلة: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[ق:٣٧].

وتختم الآيات في هذه السورة بتذكرة الناس بالقرآن الكريم؛ لأنّ فيه التذكرة لمن خاف عذاب الله وأراد أن يتّقيه، فينجو بفضل الله تعالى ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾[ق:٤٥] آية ٤٥.

ثم هناك أمر آخر انتبه له القدامى في السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة وهو أنّ هذه الأحرف تطبع السورة بطابعها، فعلى سبيل المثال: سورة ق تطبع السورة بالقاف (القرآن، قال، تنقص، فوقهم، باسقات، قبلهم، قوم، حقّ، خلق، أقرب، خلقنا، قعيد، وغيرها).

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين دلالتي كلمتي الكتاب والقرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الرابع :

ما السور التي فيها أحرف مقطعة ولم يرد بعدها ذكر كلمة الكتاب ولا القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ١.

السؤال الخامس :

ما اللمسة البيانية في عدم ذكر جواب القسم فى أوائل سورة ق؟

الجواب :

١ـ جواب الشرط يُحذف في القرآن كثيراً للتعظيم، وهذا ورد كثيراً في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾[سبأ:٣١].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾[الانشقاق:١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾[الأنفال:٥٠]؛ وذلك حتى يذهب الذهن كل مذهب، وهذا أمر عظيم.

٢ـ جواب القسم ليس بالضرورة أنْ يُذكر، فإذا اقتضى أنْ يُجاب القسم يُجاب كما في الآيات: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم:٦٨] ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾[النحل:٣٨].

٣ـ وقد يُحذف إمّا للدلالة عليه أو للتوسع في المعنى، فيحتمل المعنى كل ما يرد على الذهن، وهذا في القرآن كثير، كما في سورة (ق) ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾[ق:١] حيث لا يوجد جواب للقسم في سورة (ق)، وكذلك في سورة ص ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾

[ص:١] لا نجد جواباً للقسم وقد حُذف لاحتمال كل ما يرد في سياق الآيات، فلا يريد تعالى جواباً بعينه، لكنه يريد أنْ يوسع المعنى.

السؤال السادس :

كيف تُكتب أحرف فواتح السور؟

الجواب :

تُحذف أحرف مقروءة من أحرف فواتح السور فلا يكتب إلا المدلول اللفظي نحو: ق ـ ن ـ ص ـ كهيعص. وتقرأ: قاف ـ نون ـ صاد ـ كاف ها يا عين صاد.

السؤال السابع :

ما القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

❁❁❁❁

﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في سورة ق: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾[ق:٢] وفي سورة هود ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾[هود:٧٢] وفي سورة ص ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾[ص:٥] ما دلالة اختلاف هذه الصيغ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ٧٢.

السؤال الثاني :

قال في ص ٤: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾بالواو، وقال في آية سورة ق ٢ ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾بالفاء، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية ص ٤.

❁❁❁❁

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿فَوْقَهُمْ﴾و (من فوقهم)؟

الجواب :

(من) تفيد ابتداء الغاية، ويعني: ليس هناك فاصل، ولمّا قال (فوقهم) احتملت المسافة القريبة أو البعيدة ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾ [ق:٦] كم بينك وبين السماء؟! كثير، ما قال: (من فوقهم) ولا يصح، وكذلك الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ۝١٩﴾ [المُلك:١٩]، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا﴾ [فُصِّلَت:١٠].

السؤال الثاني :

تدخل همزة الاستفهام على الكلام مع (الواو)، نحو ﴿ أَوَلَمْ ﴾[الأعراف:١٨٥] كما في آية الأعراف ١٨٥، أو تدخل وبعدها الفاء، نحو ﴿ أَفَلَمْ ﴾ كما في آية ق ٦ ـ فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٨٥.

السؤال الثالث :

استعمل فعل الرؤية في آية الأحقاف ٤، واستعمل فعل النظر في آية ق٦ فما الفرق بين الفعلين (رأى ونظر)؟

الجواب :

١ـ (رأى) بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وتأتي بمعنى العلم فتتعدى إلى مفعولين.

أمّا (نَظَر) فهو تأمل الشيء بالعين، ويقال: نظر إلى الشيء.

٢ـ الرؤية أتم من النظر.

السؤال الرابع :

قال تعالى في آية الإنسان ٢١: ﴿عَلِيَهُمْ﴾، بينما استعمل لفظة ﴿فَوْقَهُمْ﴾ في آيات النساء ١٥٤ـ ق ٦ـ الملك ١٩ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

يقول المفسرون إنّ كلمة (عاليهم) تعني: فوقهم، لكن في الحقيقةِ الفوقيةُ لا تقتضي الملامسة، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾[الملك:١٩] وقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا ﴾[ق:٦] والنساء ١٥٤.

فكلمة (فوق) ظرفٌ مبهمٌ ليس له حدود، مثل: يمين ويسار. وعليه فإنّ كلمة ﴿عَلِيَهُمْ﴾[الإنسان:٢١] في سورة الإنسان تفيد الملامسة، وتعني: يلبسونها.

❁❁❁❁

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول :

مادلالة الآية ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾؟ ألم تكن الجبال مخلوقة من قبل؟

الجواب :

هذا سؤال يخص المعنيين بالإعجاز العلمي، ولكنْ من الملاحظ أنّ القرآن يقول أحياناً: (ألقينا)، وأحياناً (جعلنا) في الكلام عن الجبال بمعنى أنّ التكوين ليس واحداً. وقد علمنا أنّ بعض الجبال تتشكل من المادة المنصهرة الصادرة عن البراكين، أو قد تأتي بها الأجرام السماوية على شكل كتل.

انظر الآيات [الحجر ١٩ ـ ق ٧ ـ لقمان ١٠ ـ النمل ٦١ ـ الأنبياء ٣١ ـ المرسلات ٢٧ ـ الرعد ٣].

وهذا يدل على أنّ هناك أكثر من وسيلة لتشكل الجبال، والله أعلم.

السؤال الثاني :

قال في لقمان ١٠ : ﴿زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ وفي آية ق ٧ ﴿زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية لقمان ١٠ .

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ⁽⁹⁾ ﴾

السؤال الأول :

لمَ قال الله: ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ⁽⁹⁾﴾ فأضاف الشيء إلى نفسه؟

الجواب :

المعنى: وحب الزرع الحصيد أو النبات الحصيد.

السؤال الثاني :

كيف استعمل ﴿ٱلنَّخِيلِ﴾ في آية النحل ١١ و: ﴿وَٱلنَّخْلَ﴾ في آية عبس ٢٩ وآية سورة ق ٩؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ١١.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية: ﴿مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب :

ذكر القرآن الكريم ٢٣ نوعا من المياه، لكل منها طبيعته الخاصة، وهي :

١ – الماء المغيض: وهو الذي نزل في الأرض وغاب فيها. غاض الماء: قلّ ونقص.

قال تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود:٤٤].

٢ – الماء الصديد: وهو شراب أهل جهنم.

قال تعالى: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ⁽١٦⁾ ﴾ [إبراهيم:١٦].

٣- ماء المهل: وهو القطران والمذاب من معادن أو زيت مغلي.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾[الكهف:٢٩].

٤- ماء الأرض: الذي خُلق مع خلق الأرض. ويظل في دوره ثابتة حتى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[المؤمنون:١٨].

٥- الماء الطهور: وهوالعذب الطيب.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾[الفرقان:٤٨].

٦- ماء الشرب.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾[النحل:١٠].

٧- الماء الأجاج: وهو شديد الملوحة، وهو غير مستساغ للشراب.

قال تعالى:

- ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[الفرقان:٥٣].
- ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[فاطر:١٢].
- ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾[الواقعة:٧٠].

٨- الماء المهين: أو الضعيف والحقير، ويقصد به مني الرجل لضعف تحمل مكوناته للعوامل الخارجية.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾[السجدة:٨]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[المرسلات:٢٠].

٩- الماء غير الآسن: أي غير متغير الرائحة، والآسن من الماء مثل الآجن، وقد أسن الماء يأسن أسناً وأسوناً إذا تغيرت رائحته.

قال تعالى واصفا أنهار الجنة: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾[محمد:١٥].

١٠- الماء الحميم: حُمّ الماء:أي سخن والماء الحميم: شديد السخونة والغليان.

قال تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾[محمد:١٥].

١١- الماء المبـارك: الذي يحيي الأرض، وينبت الزرع، وينشر الخير.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾[ق:٩].

١٢- الماء المنهـمر: وهو الماء المتدفق بغزارة ولفترة طويلة من السماء فيهلك الزرع والحرث.

قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ﴾[القمر:١١].

١٣- الماء المسكوب: الملطف للأرض، ويعطى الإحساس بالراحة للعين.

قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ ﴾[الواقعة:٣٠-٣١].

١٤- الماء الغور: الذي يذهب في الأرض ويغيب فيها، فلا ينتفع منه.

قال تعالى: ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾[الكهف:٤١].

١٥- الماء المعين: الذي يسيل ويسهل الحصول عليه والانتفاع به.

قال تعالى: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾[الملك:٣٠].

١٦- الماء الغـدق: أي الوفير.

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[الجن:١٦].

١٧- الماء الفرات: أي شديد العذوبة.

قال تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾[المرسلات:٢٧].

١٨- الماء الثجاج: وهو السيل.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾[النبأ:١٤].

١٩- الماء الدافق: وهو مني الرجل يخرج في دفقات.

قال تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾[الطارق:٦].

٢٠- ماء مـدين: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾[القصص:٢٣].

٢١- الماء السراب: وهوما تراه العين نصف النهار كأنه ماء.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾[النور:٣٩].

٢٢- ماء الأنهار و الينابيع: وهو الذي يسقط من السحاب فيجرى في مسالك معروفة.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾[الزُّمَر:٢١].

٢٣- الماء السلسبيل: وهو ماء في غاية من السلاسة وسهولة المرور في الحلق من شدة العذوبة، وينبع في الجنة من عين تسمى سلسبيلاً؛ لأنّ ماءها على هذه الصفة. قال تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان:١٨].

❁❁❁❁

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

في أماكن قال: (آل لوط)، وفي أماكن قال: (قوم لوط)، وفي أماكن قال: (إخوان لوط)، لماذا قيلت كل واحدة في مكانها؟ وهل كان يمكن أنْ يقول: قوم لوط في جميع المواطن؟ ولِمَ هذا التنويع؟

الجواب :

١ـ التنويع ليس مع لفظة لوط فقط، وإنما مع أنبياء آخرين مثل هود: قوم هود وأخاهم هود وأخوهم هود، قوم صالح وأخاهم صالحاً وأخوهم صالح بحسب مواضعها.

٢ـ لكن عندما نأتي إلى الآية ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق:١٢-١٣-١٤] هناك نوع من التناسق في هذه الآية :

أ ـ تناسق المواضع: عندنا كلمة (قوم) تكررت مرتين، وكلمة (أصحاب) تكررت مرتين، وجاءت كلمة (إخوان) كأنها مرحلة وسط بين هذه وهذه بمعنى لو قيل في هذا المكان (وقوم لوط) ستكون (قوم) تكررت ثلاث مرات و(أصحاب) تكررت مرتين. فإذن هي نوع من الموازنة اللفظية وإخوان لوط هم قوم لوط.

ب ـ الجانب الصوتي:

نلاحظ أنه في الآية ١٣ ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾ على طريقة التحليل نجد أنها مكونةمن ١٢ مقطعاً(و/ عا/ دُ/ وا/ فر/ عو/ ن/ و/ إخ/ وا/ ن/ لوط) وكذلك الآية التي قبلها مؤلفة من اثني عشر مقطعاً:

(قو/ م/ نو/ حٍ/ و/ أص/ حا/ بر/ رس/ س/ و/ ث/ مود).

هذا هوالتجانس الصوتي، حيث نجد أنّ عندنا مقاطع كثيرة بنفس العدد: [٥ مقاطع قصيرة هنا، ٥ مقاطع قصيرة هناك] والمقاطع الطويلة [٤ مقاطع طويلة مغلقة في الآية الأولى و٤ مقاطع طويلة مغلقة في الآية الثانية]، ونجد [مقطعين طويلين مفتوحين، كل منهما مكون من حرف وحركة طويلة، وهي (نو – حا) يقابلها (عا – وا) في الآية الثانية]. (نو) طويل مفتوح و (حا) طويل مفتوح يقابله (عا) و (وا).

لو أنه كان في غير القرآن بدل (وإخوان لوط) (و/ إخ/ وا/ ن/ لوط) قال: (وقوم لوط) (و/ قو/ م/ لوط) سيسقط مقطع طويل مفتوح فيكون تخلخل في تناسق الصوت، وسيكون عندنا [٥ مقاطع قصيرة، ٥ مقاطع قصيرة]،[٤ مقاطع طويلة مغلقة – ٤ مقاطع طويلة مغلقة]، هنا سيكون [مقطعان طويلان مفتوحان، وهنا مقطع طويل

مفتوح] ويكون في هذه الآية ١١ مقطعاً وفي الثانية ١٢ مقطعاً فيختل عدد المقاطع لو قيل: (وقوم لوط) سيسقط مقطع طويل مفتوح. وهذا التناسق سيفوت عند ذلك.

٣ـ فإذن اختيار كلمة (وإخوان لوط) هنا أولاً فيه فائدة في الفصل بين الآيتين (أصحاب وقوم هنا وأصحاب وقوم هناك وإخوان في الوسط)، والأمر الثاني في هذا التناسق هو الصوت بالنسبة للمقاطع الطويلة المفتوحة وفي عدد المقاطع.

لذلك نجد أنّ هذا الاهتمام أو هذه العناية وتغيير الكلمة هنا بكلمة أخرى ليس من أجل الأرقام، وإنما من أجل المعنى، وبقصد محاولة الربط من حيث المعنى ومن حيث الجانب الصوتي أيضاً.

السؤال الثاني :

ما الفرق اللغوي بين: [قوم وأصحاب والآل وإخوان]؟

الجواب :

١ـ (قوم) الرجل هم أهله بالصورة الواسعة. يقال فلان من قوم كذا،وقد يكون القوم أوسع من القبيلة،والعرب قوم.وقد يُطلق على القبيلة أنها قوم فلان.

والقوم هم الرجال في الأصل، ولا يقع على النساء إلا على وجه التبع كما قال عزوجل ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ فالمراد الرجال والنساء تبع لهم.

٢ـ (الآل) هم الأهل المقربون الذين هم أقرب الناس، ومن معانيها الزوجة ومن معانيها الأتباع، و(أتباع) الرجل آله، وأتباعه الذين تبعوه كُثُر لكنّ قومه أكثر من الآل، و (قوم) أوسع.

٣ـ (الإخوان) أقرب من الآل؛ لأنّ الآل قد يكون فيها الأتباع، كما في الآية: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[غافر:٤٦] أي أتباعه.

٤ـ الأهل:هم المقربون، بل إنّ القرآن استعمل الأهل فى الزوجة، ويمكن أنْ تطلق على الذرية أوالأقارب بحسب الحديث المشهورحديث أم سلمة.

٥ـ الكلمات فيها فوارق ولكن بحسب السياق. فلو جئنا لكل آية نجد أنه بالنسبة لـ (آل لوط) لم تستعمل إلا في الثناء عليهم فقط، فعندما يثني عليهم يذكرهم بخير يستعمل كلمة (آل)، ولا يستعمل كلمة (قوم).

السؤال الثالث :

في سورة ق قوله تعالى: ﴿وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾﴾ ولم يقل مثل ذلك مع الأنبياء الآخرين، مع أنه ورد ﴿قَوۡمُ لُوطٖ﴾ في سبعة مواضع أخرى من القرآن في آيات [هود ٧٠ـ ٧٤ـ ٨٩ـ الحج ٤٣ـ الشعراء ١٦٠ـ ص١٣ـ القمر ٣٣] فما السبب؟

الجواب :

١ـ قوم لوط معاصيهم لا تشبه معاصي قوم أي نبي آخر ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾[الأعراف: ٨٠ - ٨١] وهذه لم ترد في الأنبياء الآخرين وما سبقهم بها من أحد.

٢ـ في سورة الشعراء وفي قصة سيدنا لوط ما قال لهم كما قال الأنبياء الآخرون: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ﴾ مع أنّ لوطاً عليه السلام قال كما قال الأنبياء الآخرون:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الشعراء:١٦٣] لكنّ التركيزكان على هذه الفاحشة، وهي إتيان الذكور من العالمين، وهذه المعصية قضية خاصة بالذكور لا بالإناث، وإخوان لوط ذكور، بخلاف الأقوام الأخرى التي هي عامة. لذلك عند التركيز على هذه المسألة (إتيان الذكور) يقول (إخوان لوط) ولا يقول (قوم لوط)؛ لأنّ هذا يدل على عموم القوم.

٣ـ (قوم لوط) وردت في العقوبة فقط؛ لأنّ الفاحشة عمّت الذكور، لكنّ القوم كذبوا وحتى النساء كذبت، وما وردت كلمة (قوم لوط) في القرآن إلا في عقوبة القوم، وبعدها تأتي الآيات الدالة على أنه أهلكهم، والعقوبة لا تخص الذكور، وإنما هي عامة.

٤ـ كل الأنبياء المذكورين في سورة الأنبياء وغيرها كانوا يدعون أقوامهم إلى التوحيد بما فيهم سيدنا لوط عليه السلام، ولكنه كان يذكرّهم دائماً بفاحشتهم التي فعلوها والتي ما سبقهم بها من أحد من العالمين وسنوا سنة سيئة لما بعدهم إلى يوم القيامة، فيتحملون وزرها ووزر من عمل بها.

٥ـ أصل المسألة أنّ هذه المعصية (إتيان الذكور) ما سبقهم بها من أحد وعندها يقول: (إخوان لوط) لا يذكر عقوبة، وإنما يقول: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾.

لكن كل المواطن التي ورد فيها (قوم لوط) يذكر بعدها العقوبة والعقوبة لا تخص الذكور وإنما القوم كلهم. فكلمة (قوم لوط) وردت في العقوبة؛ لأنّ العقوبة عمّتهم.

السؤال الرابع :

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق:١٤] لماذا لم يقل: كذبوا؟

الجواب :

لفظة (كل) لها قواعد في التعبير:

١ـ (كل) إذا أضيفت إلى [نكرة] يراعى معناها، مثل: (كل رجل حضر) (كل امرأة حضرت) (كل رجلين حضرا)، فإذا أضيف إلى نكرة روعي المعنى.

وإذا أضيفت إلى [معرفة] يصح مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى، مثال: (كل إخوتك) (إخوتك) جمع يجوز أن يقال: كل إخوتك ذاهب ويقال: كل إخوتك ذاهبون، فيجوز مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى.

٢ـ لفظة (كل) لفظها مفرد مذكر، ومعناها تكتسبه بحسب المضاف إليه. فإذا أضيفت لنكرة يراعى المضاف إليه، وإذا أضيفت لمعرفة يجوز مراعاة اللفظ والمعنى.

نوضح القاعدة:

أ ـ تقول: (كل الرجال حضر) و(كلهم حضر)، وإذا قطعت عن الإضافة لفظاً جاز مراعاة اللفظ والمعنى، كما في الآيات:

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٨٥] ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنبياء:٣٣] ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾[ق:١٤] ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾[البقرة:١١٦].

فمع مجموعة قوم نوح وعاد وفرعون قال: (كلٌ كذب الرسل).

إذن من حيث القاعدة النحوية: إذا قطعت عن الإضافة جاز مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى، كما في الآية ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنبياء:٣٣] فإنه لفظاً يمكن أنْ يقال: (كلٌ في فلك يسبح) و(كلٌ في فلك يسبحون).

ب ـ لكنْ هل هنالك اختلاف في المعنى في القرآن ليختار هذا أو ذاك؟ هذا هو السؤال؟

من حيث اللغة جائز. والقرآن استخدم الاثنين ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنبياء:٩٣] ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء:٣٣] ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء:٨٤] ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾[ق:١٤].

ومما قيل في هذا الخلاف: الإخبار بالجمع، يعني: كلهم مجتمعون في هذا الحدث، وعندما يفرد يكون كل واحد على حدة وليسوا مجتمعين. فعندما يقال: (كلٌّ حضروا). يعني حضروا مجتمعين، وعندما يقال: (كلٌّ حضر) يعني كل واحد حضرعلى حدة.

* شواهد قرآنية :

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنبياء:٣٣] كلهم يسبحون في آن واحد.

﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾[الأنبياء:٩٣] يوم القيامة كلهم مع بعضهم.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾[الإسراء:٨٤] كلٌّ على حدة.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾[ق:١٤] كلٌّ على حدة، وكل واحد في زمن مختلف.

السؤال الخامس :

هل من لطائف عددية في سورة ق؟

الجواب :

قيل رياضياً: إنّ عدد القافات في سورة ق هو ـ٥٧ـ قافاً، وهذا العدد من مضاعفات العدد المشهور (١٩)، وهو عدد أحرف البسملة، ولو قال: (وقوم لوط) بدل (وإخوان لوط) لأصبح العدد (٥٨) ولا يقسم على (١٩). والله أعلم.

السؤال السادس :

لماذا قال في آية ص ١٤ : ﴿فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ وفي آية ق ١٤ : ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية ص ١٤.

❊❊❊❊

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦] فيه بيان لكمال علمه تعالى، والوريد العِرق الذي هو مجرى الدم يجري فيه ويصل إلى كل أجزاء البدن. والله سبحانه أقرب من ذلك بعلمه؛ لأنَ العِرْق تحجبه أجزاء اللحم، وعلم الله تعالى لا يحجب عنه شيء.

وجاء بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾. والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول :

لِمَ قال الله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ ولم يقل: قعيدان؟

الجواب :

١ـ القعيد هو الملازم أو المُقاعد، كما في النديم بمعنى المنادم. والمعنى أنه عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، إلا أنه حذف أحدهما لدلالة المذكور عليه. قال الشاعر :

فمـــن يـــك أمســـى بالمدينـــة رحلـــه فـــإني وقيّـــــــــــار بهـــا لغريـــب

يعني إني لغريب وقيّار غريب.

٢ـ صيغة (فعيل) يستوي فيها الواحد والاثنان والجمع، كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾[التحريم:٤].

٣ـ إضافة إلى مراعاة الفاصلة.

❋❋❋❋

﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾[ق:١٨] رقيب وعتيد كيف يسجلان أعمالنا؟

الجواب :

١ـ هنالك ملكان يسجلان ما يلفظ من قول، والرقيب هو الذي يراقب كل حرف وكل كلمة وقيل كل عمل، والعتيد هو الحاضر المهيأ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣﴾

[ق:٢٣] عتيد يعني حاضر،كما في الآية: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا﴾ [يوسف:٣١] أي أحضرت، و (عتيد) معناه: حاضر مهيأ.

إذن رقيب عتيد ملكان أحدهما يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات. و كل لفظة تصدر من الإنسان يكتبها هذان الملكان، فالحسنة يكتبها أحدهما والآخر يكتب السيئة. وقالوا: ملك الحسنات هو الآمر الأول، فيقال إنه إذا تكلم الشخص بكلمة فأراد أنْ يكتبها الملك الذي يكتب السيئات، يقال له: تريث لعله يستغفر فإنْ لم يستغفر يقال له: اكتبها.

إذن رقيب عتيد هما ملكان، وكل شخص له ملكان موكلان به، يكتب أحدهما الحسنات والآخر السيئات، وهاتان صفتان للملكين.

٢ـ كل الملائكة (رقيب عتيد) فيكف يكون عَلَماً؟ (رقيب عتيد) هذه صفة والعَلَم ما أطلق على شيء ولم يتناول غيره ما أشبهه، والعَلَم يكون خاصاً وكل إنسان عنده رقيب عتيد، فكيف يكون علماً؟

إذن (رقيب) صفة مراقبة و(عتيد) من الحضور والتهيؤ، وكل واحد له هذان الملكان، وكل منهما (رقيب عتيد)، أحدهما موكل بكتابة الحسنات والآخر بكتابة السيئات، وما يلفظ من قول إلا كتبه أحد هذين الملكين. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ السائق: هو الذي يسوق الإنسان إلى الموقف، ومنه إلى مقعده، وهو لازم للبر والفاجر. فأمّا البر فيُساق إلى الجنة وأمّا الفاجر فيُساق إلى النار.

٢ـ أما الشهيد فهو الكاتب الذي كان يكتب على الإنسان عمله.

❁❁❁❁

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

هل يمكن توضيح ماهية القرين؟

الجواب :

١ـ القرين هو المصاحب، قد يكون من الإنس و قد يكون من الجن، كما وضّح ربنا تعالى في الآيات:

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الصافات:٥١-٥٢-٥٣] هذا إنس.

﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[الصافات:٥٥-٥٦-٥٧] هذا شيطان إنس.

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[الزُّخرُف:٣٦] ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء:٣٨] ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾[فُصِّلت:٢٥]. هذا من الجن.

٢ـ لذلك نفهم من الآية ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣﴾ [ق:٢٣] أنّ القرين يجوز أنْ يكون من الإنس، ويجوز أنْ يكون من الجن، لكنّ الدلالة واحدة وهي المصاحبة.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية ق ٢٣: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣﴾ ثم قال في الآية ٢٧: ﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ بغير (واو)، فلماذا؟

الجواب :

١ـ الآية ٢٣هوالملك الشهيد عليه من الحفظة يقول: هذا الذي وكلت به قد أحضرته، أو إشارة إلى كتّاب أعمال الإنسان الذي كان موكلاً به.

٢ـ الآية ٢٧ هوقرينه من الشياطين مخاطباً لربه تعالى، فانقطع الكلام عن الأول، فجاء مستقبلاً بغير(واو).

❁❁❁❁

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

هذا الخطاب إمّا أن يكون للمَلَكين سائق وشهيد، أو خطاباً للمَلَك الموكل بعذابه وإنْ كان واحداً، وهو مذهب معروف من مذاهب العرب في خطابها أو تكون الألف منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة، ثم أجري الوصل مجرى الوقف.

والعرب تقول: خليليّ و صاحبيّ وقفا وعوجّا، كما قال الشاعر امرىء القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل. ..

ثم ذكر القرآن صفات هذا المُلقى فذكر له ست صفات :

١ـ أنه كفّار لنعم الله، كفّار بدينه وتوحيده، كفّار برسله وملائكته ،كفّار بكتبه ولقائه.

٢ـ أنه معاند للحق بدفعه له جحداً وعناداً.

٣ـ أنه منّاع للخير، فليس له خير لنفسه ولا لبني جنسه.

٤ـ أنه معتدٍ على الناس بيده ولسانه.

٥ـ أنه مريب وصاحب شك.

٦ـ أنه مع ذلك مشرك بالله قد اتخذ مع الله إلهاً آخر.

السؤال الثاني :

ما طرق دخول النار؟ وما الأعمال التي تُحرم المؤمن على النار؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ٢٩.

❁❁❁❁

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية سورة ق: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ق:٢٥] وفي آية سورة القلم يقول: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [القلم:١٢] فما الفرق بينهما؟

الجواب :

(معتدٍ مريب) يعني هو هكذا حيثما كان، متجاوز للحدود، وهو دائم الشك و التهمة في الدين وفي البعث، وموقع غيره فيه. فهو هكذا دائماً إذا كلمك، إذا أحبك، إذا صافحك ،فهو مريب ولا يمكن أنْ تستريح نفسك إليه، لماذا؟

لأنّ كل حركاته مريبة، فهو رجلٌ يتتبع الشك والريبة في القول والعمل والفعل.

وأمّا (معتد أثيم) فهو ثابت التجاوز للحدود، وهو مبالغ في ارتكاب ما يوجب الإثم، فيترك الطيبات ويأخذ الخبائث ويرغب في المعاصي، ويدع الطاعات.

❁❁❁❁

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ عندما يقول الحق: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ فذلك يدل على أنّ الصاحب هو الذي يألف صاحبه ويحب أنْ يجلس معه ويقضي أجمل أوقاته، لذلك فقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ دليل على عشق النار لهم، فهي تفرح بهم عندما يدخلونها كما يفرح الصديق بصديقه.

واقرأ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق:٣٠] لترى مدى العشق بين النار والكفار، فالنار تصاحبهم في كل مكان، وهي ليست مصاحبة كريهة

بالنسبة للنار، ولكنها مصاحبة تحبها النار؛ لأنّ النارتكون سعيدة حين تحرق كل كافر وآثم ومنافق وتعاقب الذين كفروا بمنهج الله.

٢ـ وكذلك الحال بالنسبة للجنة، فإنّ الجنة تحب مصاحبة كل من آمن بالله وأخلص له العبادة وطبّق منهجه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [هود:٢٣] فالجنة تكون سعيدة، وهي تمتع المؤمن.

❀❀❀❀

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

أخبر الله تعالى عن تقريب الجنة من المتقين ـ اللهم اجعلنا منهم ـ وأنّ أهلها هم الذين اتصفوا بالصفات الأربع التالية:

١ـ أنْ يكون أواباً؛ أي رجّاعاً إلى الله من معصيته إلى طاعته ومن الغفلة عنه إلى ذكره.

٢ـ أنْ يكون حافظاً لما استودعه الله من حقه ونعمته.

والنفس لها قوتان: قوة الطلب وقوة الإمساك، فالأواب يستعمل قوة الطلب في رجوعه إلى الله ومرضاته، والحفيظ يستعمل قوة الإمساك ليبعد نفسه عن المعاصي والنواهي.

٣ـ قوله: ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ [ق:٣٣] يتضمن الإقرار بوجوده وربوبيته وقدرته وعلمه المحيط، ويتضمن الإقرار بكتبه ورسله ووعده ووعيده ولقائه.

٤ـ قوله: ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾[ق:٣٣] أي مقبل على طاعة الله راجع عن معاصي الله.

فإنْ قيل: ما وجه التقريب مع أنّ الجنة مكان ،والأمكنة يقرب منها وهي لا تقرب؟

فالجواب أنّ المؤمن لا يؤمر بالانتقال إليها مع بعدها، ولكنّ الله يطوي المسافة التي بين المؤمن والجنة، وهذا هو التقريب إكراماً للمؤمن.

ثم ذكر الله سبحانه جزاء من قامت به هذه الأوصاف بقوله: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾[ق:٢٤-٣٥].

اللهم اجعلنا منهم. اللهم آمين.

السؤال الثاني :

ما الحِكَم والرقائق في هذا المجال؟

الجواب :

ـ من لم ينتفع بعينه لم ينتفع بأذنه.

ـ للعبد رب هو ملاقيه وبيت هو ساكنه، فينبغي له أنْ يسترضي ربه قبل لقائه ويعمر بيته قبل انتقاله إليه.

ـ كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة؟

ـ لو نفع العلم بلا عمل لما ذمّ الله سبحانه أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذمّ المنافقين.

ـ يخرج العارف من الدنيا ولم يقضِ وطره من شيئين: بكائه على نفسه وثنائه على ربه.

ـ من خلقه الله للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره، ومن خلقه للنار لم تزل هداياها تأتيه من الشهوات.

ـ لمّا طلب آدم الخلود في الجنة من جانب الشجرة عوقب بالخروج منها ولمّا طلب يوسف الخروج من السجن من جهة صاحب الرؤيا لبث فيه بضع سنين.

السؤال الثالث :

لماذا ذكر الأمن في آية الحجر٤٦ فقال: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الحِجر:٤٦] ولم يقل ذلك في آية سورة ق٣٤؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحجر ٤٦.

السؤال الرابع :

قدّم في النحل ٣١ والفرقان ١٦ ﴿فِيهَا﴾ على ﴿مَا يَشَآءُونَ﴾ فقال: ﴿لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ﴾ وعكسها في ق٣٥ فقال: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ فلماذا؟

الجواب :

١ـ في سورتي النحل والفرقان الكلام فيهما عن الجنة، فقدّم ضمير الجنة ﴿فِيهَا﴾ على ﴿مَا يَشَآءُونَ﴾.

٢- أمّا آية ق ٣٥ فإنّ الكلام على من سيدخل الجنة، فقدّم ﴿مَّا يَشَآءُونَ﴾ على ﴿فِيهَا﴾ فناسب كل تعبير مكانه.

السؤال الخامس :

قوله تعالى في الآية ٣٣ : ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ما مواصفات أولي الألباب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرعد ٢١.

❁❁❁❁

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦﴾

السؤال الأول :

في آية سورة ق ٣٦ لِمَ عبّر عن الأمم الذين أُهلِكوا بالقرن؟

الجواب :

ما القرن؟ أحد معانيه: مائة عام، وليس هو المعنى الوحيد. القرن هو القوم من الناس الذين يعيشون في زمن واحد، أي مجموعة من الناس يعيشون في زمن واحد ويسمون القرن، وفي كتب اللغة القرن أهل زمان واحد.

إذا ذهب القرنُ الذي أنت فيهُمُ وخُلِّفت في قرنٍ فأنت غريب

أي أنه إذا ذهب الناس الذين تعرفهم وعشت بينهم ونشأت بينهم وخلّفت في قوم آخرين فأنت غريب.

إذن القرن ليس معناه فقط مائة سنة، وإنما هذا أحد معاني القرن. القرن هم القوم المقترنون في زمن واحد، والذين يعيشون في زمن واحد.

السؤال الثاني :

عن كيفية استعمال القرآن الكريم للقرن والقرون بعد (كم) التكثيرية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٦.

❁❁❁❁

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[ق:٣٧] ؟

الجواب :

١ـ إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك وألق سمعك عند تلاوته، فإنه خطابٌ من الله تعالى لك على لسان رسوله ﷺ.

٢ـ وقد جمعت الآية على المؤثروهو القرآن ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ والمحل القابل للتأثر ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ وشرط التأثر بالكلام ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ وانتفاء المانع الذي يمنع منه ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ .

فإذا حصل المؤثر وهو القرآن ،والمحل القابل وهو القلب الحي ،ووجِد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر.

٣ـ فإنْ قيل: إذا كان التأثر إنما يتم بمجموع هذه فما وجه دخول أداة ﴿أَوۡ﴾في قوله: ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ ﴾والموضع موضع واو الجماعة لا موضع الحرف (أو) التي هي لأحد الشيئين؟

والجواب: أنّ الكلام خرج بـ (أو) باعتبار حال المخاطب المدعو :

فإنّ من الناس من يكون حيّ القلب تام الفطرة، فإذا فكر بقلبه وجال بفكره دلّه قلبه وعقله على صحة القرآن، فكان ورود القرآن على قلبه نوراً على نور الفطرة، فهذا حال صاحب القلب الحي الواعي.

ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد واعي القلب، فيحتاج إلى شاهد يميز له بين الحق والباطل، ولم تبلغ حياة قلبه وزكاء فطرته مبلغ صاحب القلب الواعي، فطريق حصول هدايته أنْ يفرّغ سمعه للكلام وقلبه لتأمله والتفكر فيه، فيعلم حينئذ أنه الحق.

فالأول في مقام الإحسان والثاني في مقام الإيمان، وهو قد وصل إلى علم اليقين، وترقى قلبه منه إلى منزلة عين اليقين، وذاك معه التصديق الجازم الذي خرج به من الكفر ودخل به في الإسلام.

والله أعلم.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين النصب واللغوب؟

الجواب :

١ـ النصب هو التعب والإعياء، واللغوب هو الفتور وهو نتيجة النصب فنتيجة النصب يفتر الإنسان. فالنصب أولاً ثم اللغوب. والنصب تعب، ثم نتيجة الإعياء يحصل فتور.

٢ـ وقسم من أهل اللغة يفرّق فيقول إنّ النصب هو تعب البدن واللغوب هو تعب النفس. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[ق:٣٨] يعني أيّ فتور.

٣ـ في الجنة قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[فاطر:٣٥] وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[ق:٣٨] يعني حتى الفتور ما مسّنا فكيف بالنصب؟! الشيء القليل ما مسنا فما بالك بالكثير؟ بينما في التوراة المحرفة قالوا: خلق الله السماء والأرض في ستة أيام ثم تعب فارتاح يوم السبت!

السؤال الثاني :

ما الفرق في النفي ب (ما) أو بـ(لم)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ٢٠.

❁❁❁❁

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين إدبار وأدبار؟

الجواب :

قال تعالى في سورة ق: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق:٤٠] وقال في سورة الطور :﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾[الطور:٤٩].

١ـ (الأدبار) بفتح الهمزة جمع دُبر بمعنى: خلف، كما يكون التسبيح دُبُر كل صلاة أي بعد انقضائها. وجاء في قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾[الأنفال:١٥-١٦].

٢ـ أمّا (الإدبار) بكسر الهمزة فهو مصدر فعل (أدبر)، مثل: أقبل إقبالاً والنجوم ليس لها أدبار، ولكنها تُدبر؛ أي تغرُب عكس الإقبال.

السؤال الثاني :

قال في آية طه ١٣٠ : ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ وفي ق ٣٩ ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ فلماذا؟

و قال في طه ١٣٠ : ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ بإطلاق التسبيح، وقال في ق ٤٠ : ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ بتخصيص التسبيح لله وذلك بذكر الضمير،فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ١٣٠.

❁❁❁❁

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾

السؤال الأول :

ما التعليل اللغوي لكتابة لفظة ﴿ٱلْمُنَادِ﴾ بدون ياء؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ١٤٦.

❁❁❁❁

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة السرعة في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٥٤.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة ق مع خواتيمها :

١ ـ بدأت السورة بقوله ﴿قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ [ق:١].

وختمت بقوله :﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق:٤٥].

فكلتا الآيتين في القرآن.

٢ ـ وقال في أوائلها :

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴿٣﴾﴾ [ق:٣].

وقال في أواخرها :

﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾﴾ [ق:٤٢-٤٣-٤٤].

فهم في الآية الأولى استبعدوا الحياة بعد الموت، وقالوا ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴿٣﴾﴾[ق:٣].

وذكر ربنا في الآيات الأواخر أنّ ذلك سيحصل وأنّ الحشر علينا يسير.

٣ ـ قال في أول السورة :

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾﴾[ق: ٦ - ٧].

وقال في أواخرها: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾﴾[ق:٣٨].

فكلا الموضعين في خلق السماوات والأرض، فالمناسبة ظاهرة. والله أعلم.

الجزء السابع والعشرون

الهدف العام: قضية الاختيار:

هذا الجزء يشتمل على سبع سور يجمعها محور واحد، وينفرد كل منها بهدف من أهداف المحور الرئيس للجزء كلّه.

وبعد أنْ عرضت الأجزاء السابقة في القرآن الكريم المنهج، يأتي هذا الجزء والذي يُخيّرنا الله تعالى بين أمور عدة علينا أنْ نحسن الاختيارمن بينها حتى نفوز في النهاية. وقد عرضت السور والآيات عدة طرق للاختيار منها: طريق إرضاء الله وطريق إغضابه، وطريق الجنة وطريق النار، وطرق النعم وطريق النقم، وطريق الرزق وغيرها، والمطلوب منك أيها المسلم المؤمن أنْ تحسم أمرك وتختار بعد أنْ عرفت عن كل هذه الاختيارات ما يعينك على حسن الاختيار. وهذا الجزء كله يركّز على التذكرة بالآخرة، وفيه أسلوب ترقيق القلوب الذي هو من أنجح الأساليب في الدعوة وتطهير القلوب والنفس البشرية. والسور كلها مكّية ما عدا سورة الحديد فهي مدنية. وأربع منها ابتدأت بالقسم، وهي (ق، الطور، النجم، الذاريات).

سورة الذاريات

أولاً ـ تناسب خواتيم ق مع فواتح الذاريات :

إنّ خاتمة سورة (ق) تحدثت عن يوم الحشر، وكذلك أول الذاريات.

فقد قال في خاتمة ق :

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق:٤١-٤٢-٤٣-٤٤].

وقال في أول الذاريات :

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات:٥-٦].

ثم ذكر عاقبة كل من المكذبين والمؤمنين فقال :

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الذاريات:١٠-١١-١٢-١٣-١٤].

وذكر المتقين فقال :

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الذاريات: ١٥ - ١٦].

وقد سبق ذكر ذلك في ق فقال :

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ [ق:٢٤].. . ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠].

وذكر عاقبة المتقين فقال:

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾... ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾.

فالمناسبة ظاهرة.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لآخر ما قبلها أنه قال: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق:٤٥].

وقال أول هذه بعد القسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات:٥-٦].

وجاء في (روح المعاني): ((مناسبتها لسورة ق أنها لمّا ختمت بذكر البعث واشتملت على ذكر الجزاء والجنة والنار وغير ذلك، افتتحت هذه بالإقسام على أنّ ما وعدوا من ذلك لصادق وأنَّ الجزاء لواقع)).

ثانياً ـ هدف السورة :

العطاء والمنع بيد الله تعالى :

هذه السورة مكيّة وتبدأ بالقسم بالذاريات: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾ فالذاريات: هي الريح الشديدة التي تفرق السحاب المحمّل بالمطر فتمنعه عن الإنزال، والحاملات: هي الرياح التي تدفع السحاب ليتجمّع وينزل المطر بإذن الله، والجاريات: هي الفلك تجري في البحر بدفع

الرياح لها تجلب الرزق للناس، والمقسمات: هي الملائكة التي أُمرت أنْ تقسّم أرزاق العباد. فالجأ إلى الله واطلب منه وحده؛ لأنه هو الذي يعطي الرزق أو يمنعه بأمره وقدرته. وتتحدث الآيات كلها عن رزق الله؛ ولهذا جاءت فيها الآية المحورية: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الذاريات:٢٢].

وحتى ورود قصة سيدنا إبراهيم في السورة جاء ليخدم الهدف وهو الرزق، فركّزت على رزق الله تعالى له بالغلام بعد سنين طويلة؛ لأنّ الأولاد هم من رزق الله وعطائه سبحانه، ثم إكرام إبراهيم لضيفه: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ [الذاريات:٢٦] دليل الكرم، ثم جاء لهم بعجل سمين، وهذا من باب الكرم والرزق والعطاء.

وتختم الآيات بأنه إذا كان العطاء والمنع من الله تعالى ففروا أيها الناس إليه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾﴾[الذاريات:٥٠]، وتأتي الآية المحورية في السورة: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات: ٥٧ - ٥٨] فالرزق من عند الله، وعلينا الاختيار بين من يعطي الرزق ومن لا يملك الرزق.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾

السؤال الأول :

ما دلالة القسم بالذاريات؟ وما نوع هذا القسم؟

الجواب :

١ـ في جميع السور التي أقسم الله تعالى في ابتدائها بغير الحروف كان القسم لإثبات أحد الأصول الثلاثة :

أ ـ الوحدانية: وهذا في سورة واحدة وهي سورة الصافات، حيث قال: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾﴾ [الصافات:٤].

ب ـ الرسالة: وهذا موجود في سورتين لإثبات صدق محمد عليه السلام وكونه رسولاً، وهما سورة النجم ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم:١-٢] وسورة الضحى ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ .

ج ـ الحشر: في باقي السور التي بدأت بالقسم.

٢ـ نلاحظ أنّ الله تعالى أقسم بجمع المؤنث السالم في خمس سور، وهي: [والذاريات ـ والصافات ـ و المرسلات ـ والنازعات ـ والعاديات]، ولم يقسم بجمع المذكر السالم في أية سورة أصلاً، مع أنّ المذكر أشرف؛ وذلك لأنّ جموع السلامة بالواو والنون في الأمر الغالب لمن يعقل، والقسم بهذه الأشياء (الذاريات، الصافات، المرسلات، النازعات، العاديات) جاء لإثبات الحشر والجزاء، وإثبات الحشر والجزاء هو لبيان ثواب الصالح وعذاب الطالح، أي أن الأمر يتعلق بالعقلاء، فكان الأمر يقتضي أنْ يكون القسم بغيرهم. والله أعلم.

٣ـ نلاحظ أنّ الله أقسم في سورة الصافات لإثبات الوحدانية، فأقسم بالساكنات، فقال: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ وفي السور الأربعة الأخرى، أقسم بالمتحركات؛ وذلك لأنّ الحشر فيه جمع وتفريق، وذلك بالحركة أليق.

٤ـ في الذاريات أقوال: أصحها (الرياح)، والمذكور في الآيات التالية هو صفات أربع للرياح: الذاريات فالحاملات فالجاريات وفالمقسمات.

وقيل: إنّ الذاريات هي الرياح، والحاملات هي السحاب، والجاريات هي السفن، والمقسمات هي الملائكة.

٥ـ الفاء لترتيب الأمور في الوجود، فالذاريات تنشيء السحاب فتقسم الأمطار على الأقطار.

وإنْ قلنا إنها أربعة أمور، فالفاء للترتيب في القسم لا للترتيب في المقسم به. فكأنه يقول: أقسم بالرياح الذاريات ثم بالسحب الحاملات ثم بالسفن الجاريات ثم بالملائكة المقسمات.

٦ـ قوله تعالى : ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ هي الملائكة يرسلها الله تعالى في أمور مختلفة. وكلمة (أمراً) هي مفعول به للوصف الذي هو (المقسمات)، وهو مفرد أُريد به الجمع.

والله أعلم.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة فصل (إنما) في آية سورة الأنعام ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝١٣٤﴾[الأنعام:١٣٤] بينما جاءت موصولة في آية سورة الذاريات ٥ـ والمرسلات ٧؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١٣٤.

❁❁❁❁

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ورود الفعل ﴿يُؤْفَكُ﴾ مبنياً للمجهول في الآية؟

الجواب :

ورد الفعل ﴿يُؤْفَكُ﴾ مبنياً للمجهول في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة وبصيغ مختلفة، كقوله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾[الذاريات:٩] ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ والحكمة ـ والله أعلم ـ من حذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول أنّ الفاعل يحتمل عدة احتمالات، فقد يكون الذي يصرف الكفار عن الإيمان هو الشيطان أو الهوى أو الشبهة أو الشهوة أو النفس أو القرين أو العرف الباطل أو التقليد الأعمى أو الدنيا الخادعة أو المصلحة الذاتية أو غير ذلك.

لهذا حُذف الفاعل وبُني الفعل للمجهول. والله أعلم.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣)﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الفتنة والاختبار والابتلاء والتكليف والتحميل؟

الجواب :

١ـ الفتنة هي أشد أنواع الاختبار: وأصله عرض الذهب على النار لتبين صلاحه من فساده، ويكون في الخير والشر، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣)﴾ [الذاريات:١٣] وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥] وقوله: ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن:١٦-١٧] فجعل النعمة فتنة؛ لأنه قصد بها المبالغة في اختبار المُنعَم عليه.

٢ـ الابتلاء: لا يكون إلا بتحميل المكاره والمشاق، بينما الاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب أيضاً. ألا ترى أنه يقال: اختبره بالإنعام عليه، ولا يقال: هو مبتلى بالنعمة، بل مختبر بها.

والابتلاء يقتضي استخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية، بينما الاختبار يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك، والخبر هو العلم الذي يقع بكنه الشيء وحقيقته.

٣ـ التحميل لا يكون إلا لما يُستثقل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ [البقرة:٢٨٦] والإصر هو الثقل.

أمّا التكليف فقد يكون لما لا ثقل له، نحو الاستغفار فتقول: كلفه الله الاستغفار، ولا تقول: حمّله ذلك.

والله أعلم.

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ
مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ
أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾؟

الجواب:

إنْ قيل ما الذي جاء بالإحسان في قوله: ﴿كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾تكون الإجابة:

أ ـ قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الذاريات:١٧] فالمسلم حر بعد صلاة العشاء، وله الحق أنْ ينام إلى الفجر، لكنّ المحسن يريد الارتقاء بإيمانه فيزيد من صلواته في الليل.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الذاريات:١٨] أكَلّفَ اللهُ الخلق بأن يستغفروا بالأسحار؟ لا. . بل إنّ الرسول يجيب على رجل سأله عن الفروض الأساسية المطلوبة منه، فذكر له أركان الإسلام ومن بينها الصلاة المكتوبة، فقال الرجل: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، فقال الرسول ﷺ: «**أفلح إنْ صدق**». لكنّ الاستغفار في الأسحار من صفات المحسنين.

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾[الذاريات:١٩] ولم يقل: الحق هنا حق معلوم، كما في آية المعارج ٢٤، إنما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[المعارج:٢٤] فالحق

المعلوم هو الزكاة، أمّا المحسن فللسائل والمحروم في ماله حق غير معلوم؛ وذلك ليفسح سبحانه المجال للطموحات الإيمانية فمن يزد العطاء فله رصيد أكبر عند الله.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾[الذاريات:١٥] ؟

الجواب :

١ـ المتقي له مقامات أدناها أنْ يتقي الشرك، وأعلاها أنْ يتقي الله وحده. وأدنى درجات المتقي الجنة، فما من مكلف اجتنب الكفر إلا ويدخل الجنة فيرزق نعيمها.

٢ـ في القرآن وردت لفظة ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ بالإفراد، كما في آية [محمد ١٥] و﴿جَنَّٰتٍ﴾ بالجمع [الذاريات ١٥] و﴿جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ بالتثنية [الرحمن ٤٦].

أمّا الإفراد فلأنها - لاتصال المنازل والأشجار والأنهار- كجنة واحدة وأمّا الجمع فلكبرها واتساعها فكأنها جنات لا يحصرها عدد، وأمّا التثنية فهو عطاء وفضل من الله للمؤمن، فكانها جنة مقابل فعل الطاعات وجنة مقابل ترك المعاصي. وقيل: جنة جسمية لنعيم المأكل والمشرب والمنكح وجنة روحية لنعيم الروح.

وهذا في مقابل ماذكره الله عن المجرم من أنه يطوف بين نارجهنم وحميم آن، فهناك نوعان من العذاب وهنا نوعان من النعيم. والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما دلالة التعابير التالية التي وردت في الآيات [١٥ـ١٩]؟

الجواب :

١ـ قوله: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ يدل على التملك.

٢ـ قوله: ﴿ءَاتَىٰهُمْ﴾ أي أعطاهم الله من فضله.

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦﴾ إشارة إلى ثمن الجنة؛ أي أخذوها من فضل الله نتيجة الإحسان.

ولفظة ﴿ذَٰلِكَ﴾ تدل على ما قبل دخول الجنة أو قبل إعطائهم الجنة أو إشارة إلى حالهم في الدنيا.

٤ـ قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾ [الذاريات:١٧] تفسير لكونهم محسنين، حيث يسهرون الليل في طاعة الله يسبحونه ويستغفرونه.

❊❊❊❊

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾

السؤال الأول :

ما المقصود بـ ﴿تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ في الآية ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ هل هي تعني الجنة والنار في السماء؟

الجواب :

﴿وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ قسم قال: ما توعدون من خير وشر، أي المقدّرات وهي في السماء باعتبارها كتبت كلها في السماء (في اللوح المحفوظ) وهوكل ما كان وما سيكون إلى يوم

الدين، فهي في السماء، إذن (ما توعدون) من خير وشر وكله مدوّن في السماء. وقسم قال: الجنة والنار.

وقسم جعلها جملة جديدة: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الذاريات:٢٢-٢٣] أي كل ما توعدونه وكل ما وعدتم به ووعدكم الرسل، وكل ما جاء على ألسنة الرسل ورب السماء والأرض إنه لحق فأقسم على أنه حق، على ما وعدوا به، فجعل (ما توعدون إنه لحق) وأقسم على ذلك.

فإذن فيها احتمالات وكلها مقبولة. أليس ما نوعد به مدون في السماء؟ بلى، إذن يحتمل هذا الشيء.

والجنة في السماء، والرسول عليه السلام رأى الجنة والنار عندما عُرِج به، وهذا أيضاً حق، ولكنّ الأغلب أنه الجنة والنار، أي ما توعدون من جنة أو نار، وإنْ كانت كل الاحتمالات مقبولة.

أليست الجنة والنار من الرزق؟ ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾[الذاريات:٢٢].

لذلك فالمعنى للرزق أنه إمّا أن يكون مدوناً في السماء، أوهو المطر الذي ينزل من السماء ويعتبر من الرزق. وفي الحديث الشريف " **لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها**" إذن هي مدونة. والله أعلم.

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا
قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ
قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ
﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

في سورة الذاريات ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الذاريات:٢٤] كلمة (ضيف) جاءت بالمفرد مع أنّ الملائكة المكرمين جمع. فكيف ذلك؟

الجواب :

عندنا كلمات في اللغة تأتي للمفرد وللجمع. ومنها كلمة (ضيف) تقال للمفرد وللجمع، ومثلها كلمة (خصم) تقال للمفرد وللجمع ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ [ص:٢١] وهذه ليست مختصة بالإفراد.

وكذلك كلمة (طفل) تأتي للمفرد وللجمع ،ومثلها كلمة (بشر) ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ [القمر:٢٤] بالمفرد ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة:١٨] بالجمع.

إذن كلمة (ضيف) تكون للمفرد وللجمع (ضيوف وأضياف) وعندنا (خصم وخصوم) و(طفل وأطفال) و(رسول ورسل)، و(رسول) تستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمصدر أيضاً، وهذا يسمى في اللغة اشتراك.

و(الرسول) تأتي بمعنى الرسالة والإرسال، كما في الآيات: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾[الشعراء:١٦] ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾[طه:٤٧].

فإذن (ضيف) تأتي بصيغة المفرد والجمع.

السؤال الثاني :

وردت قصة ضيف إبراهيم في سورتي الذاريات والحجر. فما الفرق بين السياقين؟

الجواب :

انظر الجواب في آيات سورة الحجر [٥١-٥٦]؟

السؤال الثالث :

ما الفرق بين سلام الملائكة وسلام إبراهيم في الآية ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[الذاريات:٢٥]؟

الجواب :

١- (سلامٌ) هو جزء من جملة اسمية ﴿سَلَٰمٌ﴾ إمّا مبتدأ لخبر محذوف (سلام عليكم) أو خبر لمبتدأ محذوف.

والقاعدة اللغوية: أنّ المرفوع يفيد الجملة الاسمية، والمنصوب هو جزء من جملة فعلية. فإذا قلنا: (ويلٌ) فهي جملة اسمية (ويل له) وإذا قلنا: (ويلاً) فهي جملة فعلية. وقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ هي جملة فعلية.

٢ـ والملائكة (قالوا سلاماً) أي حيّوه بالجملة الفعلية، وإبراهيم عليه السلام ردّ التحية بخير منها عن طريق الجملة الاسمية، فقال: (سلام) أي السلام الثابت الشامل الدائم. فإبراهيم عليه السلام لم يردّها فقط، وإنما حيّاهم بأحسن منها تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦].

وللعلم فإنّ تحية أهل الجنة هي: (سلام) وتكون من الله تعالى ومن الملائكة ويحيّون فيها بالجملة الاسمية، كقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[الرعد:٢٤].

٣ـ قوله تعالى : ﴿سَلَٰمًا﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره نسلِّم سلاماً. و﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ خبره محذوف تقديره سلام عليكم. وفيها أعاريب أخرى لكنّ هذا أشهرها.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية ٢٦: ﴿فَرَاغَ﴾ ما كلمات منظومة (جنح وجنف)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٢.

السؤال الخامس :

ما اللمسة البيانية في وصف الله تعالى إسماعيل بـ(الحليم)، كما في آية الصافات١٠١ ووصف إسحق بـ (العليم) كما في آية الحجر٥٣ وآية الذاريات ٢٨؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الصافات ١٠١.

السؤال السادس :

قوله تعالى في الآية ٢٩ ﴿ٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ ما الفرق بين زوج وامرأة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٠.

السؤال السابع :

قوله تعالى في الآية ٢٩: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ ما الفرق بين عقم وعقر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٠.

❁❁❁❁

﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين المؤمنين والمسلمين في سورة الذاريات ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[الذاريات:٣٥-٣٦]؟

الجواب :

١ـ هذه الآية تتكلم عن بيت واحد لا أكثر، لكنه وُصِف مرة بكلمة المؤمنين ومرة أخرى وُصِف بكلمة المسلمين، وذلك في موضع واحد وهو بيت لوط عليه السلام.

٢ـ والحكاية أنّ الملائكة جاؤوا إلى إبراهيم عليه السلام، والقصة معروفة، فسألهم إلى أين أنتم؟ قالوا: إلى هذه البقعة قال: إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت:٣٢] فأخرجوا زوجته من الأهلية لأنه في الأصل المرأة من أهل البيت، لكن أخرجوها؛ لأنها كانت تعمل - باتفاقها مع المشركين - ضد لوط عليه السلام.

و الآية تقول: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الذاريات:٣٥] ﴿فِيهَا﴾ تعني من هذه البلدة التي كان فيها لوط عليه السلام يدعو قومه إلى الإيمان؛ لأنه كان الوحيد الذي آمن بإبراهيم عليه السلام من أهل البلدة، ثم صار نبيّاً وصار يدعو ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات:٣٥-٣٦].

٣ـ في القرآن الكريم في بعض المواطن يوجد تفريق بين المؤمنين والمسلمين، بل حتى في حديث سعد بن أبي وقاص لمّا قال: يا رسول الله أعطِ فلاناً فإنه مؤمن. قال: أو مسلم.

فهناك فرق بين المؤمن والمسلم، كما في الآية ﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحُجُرات:١٤] فإذن الإيمان شيء داخلي، وهو: ما وقر في القلب وصدّقه العمل. وكذلك ما جاء في الحديث لمّا جاء جبريل عليه السلام يعلّم المسلمين أمور دينهم " حدثني أبي عمر بن الخطاب، قال:[**بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر. لا يرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي ﷺ. فأسند ركبتيه إلى ركبتيه. ووضع**

كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: "الإسلام أنْ تشهد أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إنْ استطعت إليه سبيلا" قال: صدقت. قال فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره" قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: "أنْ تعبد الله كأنك تراه. فإنْ لم تكن تراه، فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة. قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: "أنْ تلد الأمة ربتها، وأنْ ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان". قال ثم انطلق. فلبثت ملياً. ثم قال لي: "يا عمر! أتدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " فالأعمال الظاهرية هي الإسلام، والأعمال الباطنية هي الإيمان. والمؤمن يقيناً هو مسلم؛ لأنّ الذي يستقر الإيمان في قلبه يطبّق تعاليم الإسلام، لكنْ يمكن أنّ يكون الإنسان مطبِّقاً، ولّما يدخل الإيمان بعد في قلبه.

٤ـ كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً. وعندما يحدثنا القرآن الكريم عن إنسان معيّن ويقول: إنه مؤمن، ثم يقول بعد ذلك: إنه هو مسلم. معنى ذلك أنه جمع له الأمرين: الإيمان الباطني والتطبيق العملي .

وفي الآية فإنّ أهل هذا البيت كانوا مؤمنين ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الذاريات:٣٥] (لوط وأهل بيته)؛ لأنه ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات:٣٦]

و(البيت) المقصود به هم أصحاب البيت، سكان البيت؛ لأنّ البيت هو ما يبيت فيه الإنسان. وهذا على قبيل قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[يوسف:٨٢] في سورة يوسف.

٥ـ لم يقل (المؤمنين) حتى لا تتكرر؛ لأنه لو قال - في غير القرآن-: (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا غير بيت من المؤمنين) هنا التكرار غير محمود؛ لأنه لا معنى له.

٦ـ قوله : ﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾هذا الوصف بصيغة الإطلاق فيه رفعة لشأن هؤلاء.

ولو قال: (غير بيت منهم) يكون كأنه يصغّرهم وهو يريد لهم قيمة.

٧ـ إذا كرر لفظة (المؤمنين) هنا وهي قريبة، كأنما يكون تركيزاً على الإيمان، وليس فيه إشارة إلى التطبيق العملي، والآية أرادت أن تذكر أنهم مؤمنون مطبقون لإيمانهم عملياً، فجمعت لهم بين الإيمان والإسلام. وهذا هو قول جمهور المفسرين.

السؤال الثاني :

قد يقول القائل: لماذا لم يقل: وجدنا فيها غير أهل بيت؟ لماذا حذف (أهل)؟ وكذلك في آية سورة يوسف ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ [يوسف:٨٢] حذف (أهل) أيضاً؟

الجواب :

١ـ الحذف هناك في سورة يوسف يختلف عن الحذف هنا في الذاريات بحسب السياق، وهناك فارق في الصورة :

أ - في سورة يوسف ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ إخوة يوسف كانوا متهمين بأنهم ليسوا صادقين؛ لأنّ عند أبيهم تجربة سابقة معهم لمّا جاءوا وقالوا: أكل الذئب يوسف وهو لم يأكله، والآن يقولون: ابنك سرق، وقد يكون كذباً كالذئب، فقالوا: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ صحيح هي أهل القرية لكنْ كأنهم يريدون أنْ يقولوا له: إنّ صدقنا ثابت في القرية حتى بجدرانها، حتى بسكانها، اسأل القرية كاملة، فالقرية التي كنا فيها كأنها جميعاً تشهد لنا ليس بناسها فقط، وإنها حتى بجدرانها.

وهذا ينسحب على العير، أي القافلة ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢] العير ومن عليها ومن معها ومن فيها؛ لأنهم كانوا يشكّون في أنفسهم.

ب ـ أما في آية سورة الذاريات فقوله: ﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾ ولو قال: غير أهل بيت تكثر. أهل البيت تدل على الكثرة: القرية من بيوت، فأراد أنْ يبيّن قلة الذين اتّبعوا لوطاً عليه السلام، فقال: ﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾ أي بيت واحد فقط، ولو قال: أهل بيت تكون الصورة فيها كثرة، فحذف هنا.

٢ـ هنا (في سورة الذاريات) أراد الحذف حتى يبيّن القِلّة، وهناك (في سورة يوسف) حذف؛ حتى يبيّن الكثرة. ولكل حذف مكان بحسب السياق والله أعلم.

﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

رسمت كلمة ﴿سَٰحِرٌ﴾ في الآية ٣٩ بلا ألف ورُسمت في الآية ٥٢ بالألف ﴿سَاحِرٌ﴾ فما السبب؟

الجواب :

١ـ خط المصحف لا يقاس عليه.

٢ـ مع تعريف كلمة (ساحر) تكتب بالألف حيث وقعت، هكذا (الساحر) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾[طه:٦٩].

٣ـ كلمة (ساحر) في الذاريات ٣٩ قيلت في موسى عليه السلام، وهو شخص واحد، أمّا الآية ٥٢ فهي في الأمم السابقة، وقد قالوا في كل واحد من رسلهم: ﴿سَاحِرٌ﴾.

فلمّا كثر الرسل وزادوا، زيد في الرسم مناسبة للزيادة، فكتبت ﴿سَاحِرٌ﴾.

٤ـ قد تقول: ولكنها رسمت بدون ألف في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾[يونس:٧٩] وقوله: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾[الأعراف:١١٢] من دون ألف مع أنهم أكثر من واحد، فما الفرق؟

والجواب: أنّ هؤلاء في قوم واحد وهو قوم فرعون. وأمّا قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾[الذاريات:٥٢] فهو في جميع الأمم السابقة. فلمّا كثرت الأمم وامتدت زيد في الرسم.

٥ـ بشكل عام كل ما فيه قراءتان تكتب إحداهما.

❁❁❁❁

﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ۝٤١﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين [أنزلنا و أرسلنا] و [إليك وعليك]؟

الجواب :

١ـ (على) أقوى من (إلى)، وتأتي (على) في الغالب في العقوبات، كما في الآية: ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ۝٤١﴾[الذاريات:٤١] وفيها معنى الاستعلاء؛ ولذلك كان فيها معنى الشدة والقوة.

وأمّا (إلى) فليست كذلك، وإنما تفيد منتهى الغاية فقط.

٢ـ وربنا عندما يقول مرة: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام:٨] ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٌ﴾[الفرقان:٧] نلاحظ أنّ السياق يختلف، وهناك فرق بين إليه وعليه.

فقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٌ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾[الأنعام:٨] فيها تهديد، بينما قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ

إِلَيۡهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾﴾[الفرقان:٧-٨] ليس فيها تهديد.

الأقوى (على)، إذن (نزّل) أقوى من (أنزل)، و(على) أقوى من (إلى).

❁❁❁❁

﴿وَقَوۡمَ نُوحٍ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما إعراب ﴿وَقَوۡمَ نُوحٍ﴾ في سورة الذاريات، ولماذا جاءت منصوبة؟

الجواب :

١ـ ننظر في الآية قبلها والتي تتكلم عن فرعون: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات:٤٠] فصار العطف ظاهراً ﴿وَقَوۡمَ نُوحٍ﴾ معطوفة على الضمير المفعول به في (فأخذناه) أي أخذناه وأخذنا قوم نوح.

وقسم يقول معطوفة على ﴿فَنَبَذۡنَٰهُمۡ﴾ أي نبذناه ونبذنا قوم نوح.

٢ـ في سورة الأعراف آية: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودًا﴾ [الأعراف:٦٥] وآية : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًاۚ﴾ [الأعراف:٧٣] معطوفة على آية: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٩] الأولى، وليس بالضرورة أنْ يكون العطف على الأقرب، ولكنْ على المعنى.

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى لفظة ﴿بِأَيۡيْدٖ﴾ في الآية ؟

الجواب :

(الأيد) في لغة العرب بمعنى القوة، ورجل أيّد أي رجل قوي ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ أي قويناه به. وليست جمع (يد) في الآية، ولو كان قوله تعالى :﴿بِأَيۡيْدٖ﴾ جمع يد لكان وزنه (أفعلا)، فتكون الهمزة زائدة، والياء في مكان الفاء ،والدال في مكان العين، والياء المحذوفة لكونه منقوصاً هي اللام.

ومعنى الآية: والسماء بنيناها بقوة. والأظهر ـ والله أعلم ـ أنّ هذه الآية ليست من آيات الصفات المعروفة بهذا الاسم. والله أعلم.

السؤال الثاني :

زيدت ياء في كتابة لفظة ﴿بِأَيۡيْدٖ﴾ في الآية. ما قواعد زيادة الياء؟

الجواب :

قواعد زيادة الياء هي :

اتفقوا على زيادة ياء تكتب ولا تقرأ في تسعة مواضع، وهي :

ـ ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾[آل عمران:١٤٤] .

ـ ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ﴾[الأنبياء:٣٤] لا في غيرهما.

ـ ﴿مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾[الأنعام:٣٤] في حين نبأ موسى (القصص٣) دون زيادة ياء.

ـ ﴿مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِىٓ﴾[يونس:١٥].

ـ ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[النحل:٩٠].

ـ ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾[طه:١٣٠].

ـ ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾[الشورى:٥١] في حين لم تزد ياء في غيرها، نحو ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣].

ـ ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾[الذاريات:٤٧].

ـ ﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾[القلم:٦].

❁❁❁❁

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾

السؤال الأول :

ما معنى الآية؟

الجواب :

المعنى من قوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي فروا من عقوبته إلى رحمته.

كما أنّ معنى قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨] أي يخوفكم عذابه، ومعنى (نفسه) أي: إياه.

السؤال الثاني :

ما دلالة تكرار الفاصلة: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ [الذاريات:٥٠] في الآيتين المتتاليتين في سورة الذاريات؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾ ينبىء عن سرعة الإهلاك، كأنه يقول الإهلاك والعذاب أسرع من أن يَحتَملَ الحال، فافزعوا سريعاً وفروا.

والفاء الأولى في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾ هي للتعقيب والترتيب بعد قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ [الذاريات:٤٩] بمعنى إذا ثبت أنّ خالق الزوجين فردٌ ففروا إليه واتركوا غيره؛ لأنّ كلا الزوجين يحتاج للآخر، وأنه لا بدّ أنْ ينتهي الأمر إلى واحد، وأنه لا يحتاج ذلك إلى تأمل كبير، فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وحذف التاء أي بقليل من التذكر.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ لبيان المهروب إليه، ولم يذكر الذي هرب منه إمّا لكونه معلوماً وهو هول العذاب، أو فروا من الشيطان وكيده، أو يكون عاماً كأنه يقول: كل ما عدا الله هو عدوكم ففروا إلي الله من كل ما عداه.

٣ـ الآية الأولى ٥٠ هي في الأمر بالإيمان ولزوم الطاعة والعمل الصالح، وأمّا الآية ٥١ فهي في النهي عن الشرك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ فالأمران متغايران.

٤ـ كرر قوله: ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾[الذاريات:٥١] ليُعلم أنّ الإيمان يلزمه العمل الصالح، و العمل الصالح لا ينفع إلا مع الإيمان، والفائز عند الله تعالى هو من يجمع بينهما ويرحمه الله بفضله.

٥ـ لاشك أنّ الأمر بترك الشرك في الآية ٥١ مقدّم على الأمر بالعمل الصالح في الآية ٥٠، لذلك في الآية تقديم الأمر على النهي فيها، نظير قوله تعالى:

ـ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف:١١٠].

ـ ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[النساء:٣٦].

والله أعلم.

السؤال الثالث :

كرر الله ختم الآيتين ٥٠ و٥١ بقوله: ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ فما الحكمة من ذلك؟

الجواب :

١ـ الآية ٥٠ الفرار الأول هو من المعاصي إلى الطاعات، والإنذار فيه من عقوبة المعاصي.

٢ـ الآية ٥١ تحذر من عقوبة الشرك، وللدلالة على أنّ الطاعات مع الشرك غير نافعة من العذاب عليه.

٣ـ لمّا قال الله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ في الآية ٥٠ أثبت وجود الله، ولمّا قال في الآية ٥١: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الذاريات:٥١] نفى الأكثر من الواحد فصح التوحيد بالآيتين؛ ولهـذا قال مرتين: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾[الذاريات:٥١].

❊❊❊❊

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢﴾

السؤال الأول :

رسمت كلمة ﴿سَٰحِرٌ﴾ في الآية ٣٩ بلا ألف، ورُسمت في الآية ٥٢ بالألف ﴿سَاحِرٌ﴾ فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الذاريات ٣٩.

❊❊❊❊

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة رفع الحرج أو رفع المسؤولية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٥٨.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] وفي السجدة ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [السجدة:١٣] والجنة مقصود بهم الجن، فما الفرق بين الجن والجِنّة؟ وما دلالة البدء بالجن والجِنّة؟

الجواب:

١ـ (الجن): القرآن يستعمله بما يقابل الإنس (الجنّ – الإنس)، وهما الأصلان لهذين الجنسين، وأصلان للمخلوقات ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[الإسراء:٨٨].

٢ـ أمّا (الجِنة) فيستعملها القرآن بمقابل الناس ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣] ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٥-٦].

٣ـ الجنّ والإنس هما الأصلان، أمّا (الناس) فتكون مجموعة قليلة أو كثيرة من هؤلاء، وقد يكون الجميع، كما في الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨] فهذا لجميع المخاطبين من آدم إلى أن تقوم الساعة، أويكون المعنى من

(الناس) أفراد منهم، كما في الآية: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ [آل عمران:١٧٣]. وكما في الحديث « **أشيروا عليّ أيها الناس**» والمقصود الأنصار.

٤ـ (الجِنّة) مجموعة من الجن قد تكون قليلة أو كثيرة. الجنّ هم الأصل مع الإنس، ويستعمل في الغالب [الجان بمقابل الإنسان].

٥ـ (الإنس) غير(الناس) وأحياناً لا يمكن استعمال الإنس مكان الناس كما في الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة:١٣] فلا يمكن أن يقال: كما آمن الإنس. وكما في الآية: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ [آل عمران:١٧٣] لا تنفع هنا كلمة (الإنس).

فإذن الإنس بمقابل الجنّ، والناس بمقابل الجِنّة، والجان مقابل الإنسان قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن:١٤-١٥]. وهذا ليس من خصوصية الاستعمال القرآني، وإنما هو في لغة العرب.

السؤال الثاني:

في القرآن الكريم يذكر الجن قبل الإنس في مواطن كثيرة ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] أمّا في سورة الرحمن فقدم الإنس ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن:٥٦] فما دلالة التقديم والتأخير؟

الجواب :

١ـ التقديم والتأخير يقتضيه المقام والسياق، فأحياناً يقدّم الجن على الإنس ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذاريات:٥٦]؛ لأنّ الجن وجودهم أسبق من الإنس، كما في الآية: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾[الحِجر:٢٧] وإبليس قبل آدم.

فقد يكون السبب هو القِدَم، فالأقدم يقدّمه مثل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذاريات:٥٦]. وأمّا قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝٣٣﴾[الرحمن:٣٣] فقدّم الجن على الإنس؛ لأنّ الجن أقدر على النفاذ من الإنسان وهم كانوا يستمعون، فلمّا تحداهم بالنفاذ بدأ بمن هو أقوى؛ أي بالجنّ.

٢ـ وأمّا الآية التي في سورة الرحمن ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾[الرحمن:٥٦] فهنّ أهل الجنة ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن:٧٢]، ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾[الرحمن:٥٦].

هنا قدّم الإنس؛ لأنّ المرأة إذا طمثها إنسي يحجم عنها طالب الزواج إحجاماً؛ ولذلك قدّم ما تشمئز منه النفس فبدأ بالإنس أولاً، ولأنّ هذا أدعى إلى طهارتها، ولو قال: (لم يطمثهن جن ولا إنس) لم تكن بتلك المنزلة فقدّم ما هو أشد، والطمث يعني الدخول بها.

ونفسياً إذا كان أحدهم يريد أنْ يتزوج امرأة وعلِم أنه اتصل بها رجل سابق يحجم عن الزواج، أمّا إذا قيل له: جنّي اتصل بها، يقول: هذا كلام وخرافة.

والآية تتكلم عن نساء الجنة، عن حور الجنة ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾[الرحمن:٧٢] وهنّ نساء الجنة، كما قال ربنا: ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾[الواقعة:٣٦].

السؤال الثالث:

ما الفرق بين العبادة والطاعة؟ وما معنى الآية؟

الجواب:

١ـ العبادة هي غاية الخضوع، ولا تُستَحق إلا بغاية الإنعام؛ ولهذا لا يجوز أنْ يُعبد غير الله تعالى، ولا تكون العبادة إلا مع المعرفة بالمعبود.

٢ـ الطاعة هي الفعل الواقع على حسب ما أراده المريد متى كان المريد أعلى رتبة ممن يفعل ذلك. وقد تكون الطاعة للخالق والمخلوق، أمّا العبادة فلا تكون إلا للخالق.

والطاعة في مجاز اللغة تكون في اتباع المدعو للداعي إلى ما دعاه إليه وإن لم يقصد التبع، كالإنسان يكون مطيعاً للشيطان وإنْ لم يقصد أنْ يطيعه ولكنه اتبع دعاءه وإرادته.

٣ـ قوله تعالى :﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ الأظهر في معناها: إلا لآمرهم بعبادتي وأبتليهم وأختبرهم بالتكاليف، ثم أجازيهم على أعمالهم إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشر. ويؤيد هذا المعنى آيات محكمات كثيرة منها: [هود٧ـ الكهف٧ـ الملك ٢]، وخير ما يفسر به القرآن القرآن. والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما الفرق بين: الجن ـ إبليس ـ عفريت ـ شيطان ـ الجِنَّة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النمل ٣٩.

السؤال الخامس :

ما الفرق بين: الإنس الإنسان ـ الناس ـ الأنام ـ البرية ـ البشر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المؤمنون ٣٣.

❁❁❁❁

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين القوة والمتانة؟

الجواب:

١ـ (المتانة) هي صلابةٌ في ارتفاع، والمتن من الأرض هو الصلب المرتفع، والجمع (مِتان) ومنه سُمي عَقِب الظهر متناً. والصلاية قريبة من ذلك. ولا تجوز الصفة بالصلابة والمتانة على الله.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات:٥٨] المتين هنا مبالغة في الوصف بأنه قوي، والمتانة في الأصل نقيض الرخاوة، فاستعملت في نقيض الضَّعف للمبالغة في صفة القوة. والله أعلم.

رابعاً- تناسب فواتح سورة الذاريات مع خواتيمها :

أقسم ربنا بالذاريات وما بعدها على قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ [الذاريات:٥-٦] أي الحساب.

وقال في خاتمة السورة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾ [الذاريات:٦٠].

فكلاهما في اليوم الآخر والحساب.

سورة الطور

أولاً ـ تناسب خواتيم الذاريات مع فواتح الطور :

قال سبحانه في خاتمة الذاريات:

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الذاريات:٥٩-٦٠].

وقال في أول الطور :

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الطور:٧-٨-٩-١٠-١١].

فالموضعان في عذاب الظالمين المكذّبين وتهديدهم بالويل.

والذَّنوب هو النصيب من العذاب.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة إذ كان في آخر تلك: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ ﴾ [الذاريات:٥٩]. وقال هنا: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾ [الطور:٧].

وجاء في (روح المعاني): ((مناسبة أولها لآخر ما قبلها اشتمال كل على الوعيد)).

ثانياً ـ هدف السورة: اختيار الجنّة أو النار:

سورة الطور تبدأ بالقسم بخمسة أمور، وهذا دليل على أهمية الموضوع وهو أهوال الآخرة وما يلقاه الكافرون في ذلك الموقف الرهيب، وأقسمت أنّ العذاب واقع بالكفار لا محالة ولا يمنعه مانع.

والسورة تطرح اختياراً جديداً هو: ماذا نختار؟ عذاب أهل النار أو نعيم أهل الجنّة؟ فتبدأ السورة بوصف جهنم وأهلها: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الطور:١١] ثم تنتقل إلى وصف الجنّة وأهلها من المتقين: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الطور:١٧]. وفي السورة آية محورية. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور:٢١].

وقد سميّت بالطور؛ لأنّ الله تعالى بدأ بالقسم بجبل الطور الذي كلّم الله تعالى عليه موسى، وقد نال هذا الجبل من الأنوار والتجليات الإلهية ما جعله مكاناً مشرّفاً على سائر الجبال في الأرض.

❊❊❊❊

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالات هذه الآيات؟

الجواب :

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾﴾ :

اسم للجبل، وقيل طور سيناء، وقيل جبل مبهم.

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾ : والمقصود :

١ـ القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ.

٢ـ صحائف الأعمال.

٣ـ الكتب السماوية الأخرى.

ومسطور؛ أي: مكتوب.

﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾﴾ :

الرق هو الجلد المهيأ بالقشر للكتابة، والمقصود :

١ـ صحائف الأعمال.

٢ـ ورق مكتوب.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾﴾ :

١ـ هو بيت فوق ست سماوات ودون السابعة، وهو بحذاء البيت العتيق لو خرّ خرّ عليه.

٢ـ هو البيت الحرام.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾﴾ : والمقصود :

السماء ـ العرش.

﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦﴾ : والمقصود :

جهنم ـ بحر تحت العرش ـ بحر الأرض.

﴿ٱلۡمَسۡجُورِ ٦﴾ : والمقصود :

المحبوس ـ الموقد ناراً ـ الممتلىء.

ملحوظات :

١ـ قيل إنّ الطور والبيت المعمور والبحر المسجورهي أماكن كانت لثلاثة أنبياء انفردوا فيها للخلوة بربهم ومناجاة خالقهم.

أمّا الطور فانتقل إليه موسى عليه السلام، والبيت المعمور انتقل إليه محمد ﷺ خلال المعراج، والبحر المسجور انتقل إليه يونس عليه السلام والكل خاطبوا الله من هناك.

٢ـ نكّر(الكتاب) بالتنكير، فقال: ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢﴾ [الطور:٢] وعرّف باقي الأشياء؛ لأنّ التنكير هنا يدل على شدة الشهرة، بحيث خرج ليعرف بكنه عظمته فهو عظيم بلفظه ومعناه. ويقال: رأيت الأمير ورأيت أميراً ماله نظير، وأنت تريد ذلك الأمير المعلوم.

ويكون كقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٣﴾ [الحاقة:١-٢-٣] فاللام وإنْ كانت معرفة، لكنْ أخرجها عن المعرفة كون شدة هولها غير معروف.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣﴾ [الطور:١-٢-٣] ما اللمسة البيانية في كلمة (رَقّ)؟

الجواب :

الرَق هو الجلد الرقيق يُكتب فيه، ومنشور أي المبسوط بالنظر، لكنْ ما هذا الرَق الذي كُتب فيه؟

يختلف المفسرون؛ فقسم يقول: هي أعمال العباد(صحائف الأعمال).

وربنا سبحانه وتعالى يعطيه للعبد يوم القيامة، يخرج له كتاباً يلقاه منشوراً، وربنا أقسم بالكتاب المسطور في الرَق المنشور.

وقسم قال: هو اللوح المحفوظ، وقسم قال: هو ما يؤتاه العبد يوم القيامة والرَق جلد رقيق للكتابة. و (منشور) توضح الرَق، فقد يكون منشوراً لمن يراه في الملأ الأعلى، والآية تحتمل الوجهين، وليست هنالك قرينة سياقية تحدد معنى دون الآخر. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾ ﴾[الطور:٨] و﴿ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ ﴾[المعارج:٢]؟ لماذا استعمل مرة ﴿لَيۡسَ﴾ ومرة ﴿ مَّا ﴾؟

الجواب :

١ـ كلتا الآيتين تنفي وجود الدافع عن العذاب. ففي الآية الأولى لا يوجد شيء سيمنع هذا العذاب، وكذلك في الآية الثانية.

لكنّ صيغة التعبير جاءت مرة ﴿مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ ومرة جاءت ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ وهذا لافت للنظر.

٢ـ بشكل عام الجملة الاسمية آكد وأقوى من الجملة الفعلية، ولذلك الجملة مع (ليس) أقل توكيداً.

وآية الطور ﴿مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ استعملت (ما) فالجملة الاسمية، وآية المعارج ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ [المعارج:٢] الجملة فعلية، فالآية التي في سورة الطور آكد من الجملة التي في سورة المعارج.

٣ـ في آية الطور ﴿مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ [الطور:٨] (من) هي التبعيضية، ويعني فيها زيادة تأكيد، بمعنى أنه: حتى جزء دافع ما له أثر. ولو قال: (ماله دافع) ستكون مجرد تأكيد، بينما (ما له من دافع) زيادة في التأكيد.

٤ـ السياق الذي وردت فيه الآيتان:

عندما ننظر فيه نجد أنّ الآية الأولى التي في الطور تنسجم فعلاً مع شدة التوكيدات، بينما الآية الثانية ليس فيها توكيد أصلاً.

ونلاحظ أنّ الآيات الأولى في سورة الطور تبدأ بقسم والقسم توكيد، وعندما تقسم على شيء فأنت تؤكده، فإذن فالجو جو تأكيد. انظر الآيات: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ هذا قسم للتذكير بيوم القيامة: (إنّ عذاب ربك لواقع) ،(إنّ)

للتأكيد، واللام في (لواقع) مؤكدة، لاحظ المؤكدات، فالجو جو توكيد، فجاءت ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ منسجمة مع الجو العام للسورة التي هي تعيش في توكيدات.

لكنْ عندما نأتي إلى السورة الثانية، وهي سورة المعارج ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ [المعارج:١-٢-٣] هكذا تبدأ السورة، فليس فيها جو توكيدات حتى يؤكد.

هناك الجو بكامله جو تأكيد، فاستعمل الصيغ التي تتناسب مع جو السورة. فهناك تناسب.

٥ـ وعندما ننظر هنا نلاحظ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج:١] هذا سائل، والسائل هنا لا يعني المستفهم، وإنما يعني الذي يدعو، وهذا شخص لم يذكره القرآن الكريم من هو على عادته في إغفال ذكر الأشياء التي لا أهمية لها.

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج:١] يعني دعا على قومه ونفسه بالعذاب، وهذا معنى (سأل) والعذاب واقع، سأله أو لم يسأله، واقع على الكافرين لا محالة.

٦ـ هل أفادت التعدية بالباء معنى التكذيب؟ التعدية بالباء في ﴿بِعَذَابٍ﴾ [المعارج:١] نحو :(سأل بالشيء) يعني كأنه دعا به لبيان أنّ هذا الفعل قد استُخدم في معنى آخر غير المعنى الأساسي الذي هو الاستفهام، فهو دعاء و طلب أيضاً، فهو قد طلب هذا العذاب، لكنْ حمّله معنى الدعاء، فدخلت الباء كما تدخل على الفعل دعا (دعا بكذا على قومه).

﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ٩﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في الآية؟

الجواب :

(تمور) يعني تضطرب وتشقق، و(المور) هو الحركة بتموّج. وربنا تعالى ذكر هذا الأمر بقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١﴾[الانشقاق:١] وقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١﴾[الانفطار:١] .

وقسم قال: هي (تمور) يعني: تجيء وتذهب. وهو مشهد من مشاهد يوم القيامة دال على الهول والفزع الأكبر.

❊❊❊❊

﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣﴾

السؤال الأول :

ما طرق دخول النار أعاذنا الله منها جميعاً؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ٢٩.

❊❊❊❊

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال الوصف ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ لأهل الجنة خاصة؟

الجواب :

١ـ الاتّكاء غاية الراحة كأنّ الانسان ليس وراءه شيء؛ لأنّ الانسان لو وراءه شيء لتهيّأ له ولم يتكيء، والاتّكاء في القرآن ورد مع الطعام والشراب ومع الجلسات العائلية، وهذا أكثر ما ورد إلا في موطن واحد.

قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٦ - ٥٧] والاتكاء يحسُن في هذا الموضع.

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [ص:٥١] ويرتبط الاتكاء مع الطعام والشراب، وكذلك في سورة الرحمن ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن:٥٤] فهو دائماً يأتي في سياق ذكر الطعام والشراب.

٢ـ والآية الوحيدة التي لم تأت فيها كلمة متكئين مع الطعام والشراب هي الآية في سورة الكهف ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.

ونلاحظ في هذه السورة أنّ الآية التي ليس فيها طعام وشراب سبقها قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ فكأنما يخاطب الله تعالى الرسول ﷺ الذي كأنه يريد القيام، فصبّره الله تعالى فجاءت متكئين في الآية بعدها فكأنها مقابلة، فهؤلاء المؤمنون في راحة، وأراد تعالى أنْ يُصبِّر رسوله ﷺ.

٣ـ فالاتكاء غاية الراحة والسعادة؛ ولهذا وصِف به أهل الجنة ولم يأت وصفهم بالنوم؛ لأنه لا نوم في الجنة أصلاً، ووصِفوا في القرآن بأوصاف السعادة فقط، فهم يتحادثون فيما بينهم ويتذاكرون ما كان في الدنيا.

السؤال الثاني :

ما دلالة ذكر الحور العين في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ كثير من السور لم يذكر فيها الحور العين بالرغم من ذكر الجنات وللعلم فقد وردت الكلمات التالية في القرآن الكريم :

الحور: أربع مرات في الآيات [الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الرحمن ٧٢].

عين: أربع مرات في الآيات [الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الصافات ٤٨].

الجنة (٦٦) مرة.

جنات (٦٩) مرة.

جنتك (٢) مرتين.

جنته (١) مرة واحدة.

جنتي (١) مرة واحدة.

جنتان (٣) مرات.

جنتين (٤) مرات.

٢ـ ونلاحظ أنه عندما يذكر القرآن الكريم أزواج أهل الجنة لا يذكر معها الحور العين مراعاة لنفسية المرأة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ في الآيات [البقرة ٢٥ـ آل عمران ١٥ـ النساء ٥٧]، فلم يذكر الحور العين مع الأزواج.

السؤال الثالث :

ما اهم اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ معناه أنّ الله هو المزوّج.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ ولم يقل مثلاً:(وزوجناهم حوراً) مع أنّ لفظ (التزويج) يتعدى فعله إلى مفعولين بغير حرف، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[الأحزاب:٣٧] وذلك إشارة إلى أنّ المنفعة في التزويج للمؤمنين، فقد زُوجوا من أجل لذتهم بالحور لا للذة الحور بهم؛ وذلك لأنّ المفعول بغير حرف يعلق الفعل به.

٣ـ الآية تدل على عدم الاقتصار على الزوجات، بل وصف الحور بالحُسن بشكل عام في الجسم والروح، فالحَور يدل على حسن المزاج في الأعضاء، وأمّا وفرة الروح فهي بسبب سعة العين وكثرة الروح المصوبة إليها.

٤ـ وجاء بالفعل ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ بصيغة الماضي؛ لأنّ أمور الآخرة آتية ومحققة، فهي بحكم الماضي.

٥ـ قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حال منصوب.

والله أعلم.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في سورة الطور: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور:٢٣] التنازع يكون في شيء شاق، وقد نهينا عن التنازع ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٦] فهل التنازع في الدنيا مذموم وفي الآخرة محمود؟

الجواب :

التنازع هنا ليس معناه الخصومة كما في الدنيا، وإنما تعني التبادل أحدهم يعطي الآخر، حتى في الدنيا نقول: نتنازع الكؤوس، أي نتبادلها.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ولدان وغلمان؟

الجواب :

١ـ (الولدان) هم الصغار. الوليد منذ أنْ يولد إلى أنْ يصل إلى سن البلوغ الغُلمة يسمى ولداً ثم يقال غلام.

٢ـ (الغلمان) جمع غلام، وهو الشاب الذي أوشك على البلوغ.

٣ـ الغلام أقل من الشاب سنّاً أو بداية الشباب إذا طال شاربه.

٤ـ في الجنة عندما يذكر غلمان يقول: (غلمان لهم) أي مختص بهم ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور:٢٤] أمّا (ولدان) فعامّة ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الواقعة:١٧] والقرآن لا يقول (ولدان لهم)؛ لأنهم صغار، أمّا الكبير فيكون مع الأسرة وخاص بالبيت.

❁❁❁❁

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة الطور: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور:٢٩] وقال في سورة القلم: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ [القلم:٢] فزاد قوله: ﴿بِكَاهِنٍ﴾ في سورة الطور، فما سبب ذاك؟

الجواب:

هناك أكثر من سبب دعا إلى هذه الزيادة:

١ – منها أنه فصّل في سورة الطور في ذكر أقوال الكفرة في الرسول ﷺ فقد ذكروا أنه كاهن، وذكروا أنه مجنون، وذكروا أنه شاعر. ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطور:٣٠]. وقالوا إنه كاذب: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الطور:٣٣].

في حين لم يذكر غير قولهم (إنه مجنون) في سورة القلم: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [القلم:٥١] فناسب ذكر هذه الزيادة في سورة الطور.

٢- ومنها أنه ذكر في سورة الطور قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾[الطور:٣٨] والاستماع مما تدعيه الكهنة لتابعيهم من الجنّ، فناسب ذلك ذكر الكهنة فيها.

٣- ومنها أنه ذكر السحر في سورة الطور فقال: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور:١٥] فناسب ذكر السحر ذكرَ الكهنة.

٤- وممّا حسّن ذلك أيضاً أنه توسع في القَسَم في أول سورة الطور بخلاف سورة القلم، فقد قال: ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾.

في حين لم يقسم في سورة القلم إلا بـ(القلم وما يسطرون)، فناسب التوسع في الطور هذه الزيادة.

٥- ذكر في سورة القلم في آخر السورة قول الكفرة: (إنه لمجنون)، ولم يزد على هذا القول فقال: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾[القلم:٥١] فردّ عليهم في أول السورة بنفي الجنون عنه فقال: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[القلم:٢]. فناسب آخر السورة أولها.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف ناسب التأكيد بالباء الزائدة في النفي ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم:٢] التوكيد باللام في الإثبات ﴿لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:٥١] لأنّ الباء لتوكيد النفي واللام لتوكيد الإثبات. والله أعلم.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠﴾ [الطور:٣٠] هل المنون جمع أم مفرد؟ وما أصل الكلمة؟

الجواب:

١ـ كلمة المنون كما ورد في المعجمات مأخوذة من الفعل (منّ، يمنّ) بمعنى قطع يقطع.

لكنّ هذه الكلمة (منون) على وزن (فعول) معناها فيه نوع من صيغة المبالغة، كما نقول: (غافر وغفور) غفور فيها مبالغة (فعول) فإذن(منون) صيغة مبالغة من (منّ)، واسم الفاعل (مانّ) أي قاطع.

لكنّ العرب استعملتها إستعمالات كثيرة بحيث استعملوها للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع، وعبّروا بها عن الموت؛ لأنّ الموت يقطع حياة الإنسان. ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠﴾ [الطور:٣٠] أي نتربص به مصائب الموت. المنون هنا الموت. قال أبو ذوئيب الهذلي:

أمــن المنــون وريبهــا تتوجــع   والــدهر لــيس بمعتــب مــن يجــزع

٢ـ و(التربص) فيه معنى الانتظار لكنْ مع شيء من التلبّث، كأنه يشتاق إلى الشيء (يتربص به) أي يشتاق إليه ليس شوق الغرام والحب، ولكنْ يرغب رغبة شديدة في هذا الأمر، وهو من الفعل (ربص) أي انتظر والفعل ربص يتعدى بالباء (ربص به).

وعندما نأخذ نظرية الاشتقاق اللفظي لابن جنّي نجد: (صبر)، والصبر فيه معنى اللبث، فالتربص انتظار مع اللبث وتشوق لوقوع الحادث، كأنهم يتشوقون إلى موته عليه السلام.

السؤال الثاني :

ما اللطيفة في الحرف ﴿أَمْ﴾ في سورة الطور؟

الجواب :

تكرر حرف العطف ﴿أَمْ﴾ ست عشرة مرة في سورة الطور بلا غرابة ولا تنافر

السؤال الثالث :

ما أهم معاني ﴿أَمْ﴾؟

الجواب :

هي تفيد الإضراب على أية حال، وأهم معانيها :

١ـ الإضراب المجرد، كما في الآية: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾[الرعد:١٦].

٢ـ قد تتضمن معه استفهاماً فتكون بمعنى (بل) والهمزة: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور:٣٧] والمعنى: بل أعندهم خزائن ربك.

٣ـ قد يكون الاستفهام غير حقيقي فيراد به الإنكار والتوبيخ، كما في الآية: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩)﴾[الطور:٣٩].

❁❁❁❁

﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ (٤٤) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تنوع وصف السحاب فى قوله تعالى في سورة الطور ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ (٤٤)﴾[الطور:٤٤]؟

الجواب:

١ـ المركوم الذي بعضه فوق بعض ،ولم ينسبوه إلى الله تعالى، لكنّ هذه صورته، سحاب بعضه فوق بعض.

٢ـ (الكِسَف والكِسْف) هو جمعُ كِسفة، لكنّ الكِسْف يوحي بأنه واحد والكِسَف كأنه جمع.

٣ـ (الكِسَف والكِسْف) كلاهما لغتان في جمع (كسفة) بمعنى قطعة،وكل قطعة من شيء تسمى كسفة منه.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا ﴾ أي :مقطّعاً ومؤلفاً من مقاطع، ولمّا كان هذا السحاب المقطع مظلماً فهو عقاب من الله عز وجل وهم يحسبونه سحاباً متراكماً فقالوا: ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ (٤٤)﴾ فيه إشارة إلى ظلمته وضخامة شأنه لأنه هو عقاب لهم. ثم قال تعالى :

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الطور:٤٥] وفيه إنذار وتحذير للعرب ولقريش أنّ هذا يمكن أنْ يقع لهم.

السؤال الثاني:

في آية الطور٤٤ استعمل في السماء لفظة الكسف، فقال: ﴿كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ واستعمل في آية سبأ ٩ الخسف في الأرض فقال: ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية سبأ ٩.

السؤال الثالث:

ما دلالة استعمال (إذا) و(إن) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحجرات ٩.

❁❁❁❁

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾

السؤال الأول :

حينما تكلم ربنا تبارك وتعالى عن سيدنا موسى قال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٩] ولّما تكلم عن الرسول عليه السلام قال: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾[الطور:٤٨] فما الفروق الدلالية بين الآيتين؟

الجواب:

١ـ الصنع يكون في بداية الأمر.

٢ـ السياق في سورة طه عن موسى عليه السلام، فتكلم عن ولادته ونشأته ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾[طه:٣٨-٣٩] ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾[طه:٤٠-٤١]. وهذا في مرحلة طفولته.

٣ـ الرسول عليه السلام بعد الأربعين ويحمل همّ الرسالة، فكيف يقال له: تصنع على عيني؟ وإنما هو يحتاج إلى رعاية الآن للتبليغ.

٤ـ الدلالة العامة لقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٩] أي ينشئك بالصورة التي يريدها ابتداء ويهيئ المكان الذي يريده.

ولمّا قال الله سبحانه عن النبي عليه السلام: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾ يعني: يحفظك كما قال عن سفينة نوح عليه السلام: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر:١٣-١٤] قال: تجري بأعيننا، يعني برعايتنا وحفظنا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾[المائدة:٦٧] يعني: يحفظك، فأنت تحت رعايتنا وحفظنا ونراقب الأمر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٦] أي: نحن نراك ونحفظك ونحميك ونرعاك، وهذا يعني: أنت تحت رعايتنا.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين أعين وعيون في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

١ـ حيثما وردت ﴿أَعْيُنِ﴾ في القرآن أُريد بها الأعين الباصرة، ولم يرد بها القلة، وقد جاء هذا الجمع في (٢٢) موضعاً منها:

أـ بمعنى الرعاية في أربعة مواطن :[هود ٣٧ـ المؤمنون ٢٧ـ الطور ٤٨ـ القمر ١٤].

ب ـ بمعنى الباصرة في (١٨) موضعاً، منها: [الأعراف ١٧٩ـ الكهف ١٠١].

٢ـ ووردت كلمة ﴿وَعُيُونٍ﴾ في القرآن الكريم في ١٠ مواضع كلها بمعنى عيون الماء، كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر:٤٥] وقوله أيضاً ﴿فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات:٤١].

❁❁❁❁

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين إدبار وأدبار؟

الجواب:

انظر الجواب في آية (ق) ٤٠.

رابعاً ـ تناسب فواتح الطور مع خواتيمها :

أقسم ربنا في بداية السورة بالطور وما بعده على قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[الطور:٧-٨-٩-١٠-١١].

وقال في أواخرها :

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ۝٤٤ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝٤٥ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٧﴾[الطور:٤٤-٤٥-٤٦-٤٧].

فالبدء والختام في أحداث الساعة والإنذار للمكذبين.

والله أعلم.

سورة النجم

أولاً ـ تناسب خواتيم الطور مع فواتح النجم :

١ ـ قال في خاتمة سورة الطور :

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الطور:٤٩].

وقال في أول سورة النجم :

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾ [النجم:١].

وهويّ النجم إدباره.

وذكر التسبيح في خاتمة الطور، وسورة النجم إنما هي في المعراج إلى السماء الممتلئة بالتسبيح.

٢ ـ ذكر في سورة الطور ما يقوله الكفار في الرسول ﷺ وفي القرآن فقال: ﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الطور:٢٩].

وقال: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور:٣٣-٣٤].

وقال في أول سورة النجم :

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٢ - ٤].

فردّ عليهم أقوالهم.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة؛ لأنه قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ [الطور:٣٣]. أي اختلق القرآن ونسبوه إلى الشعر وقالوا هو كاهن ومجنون.

فأقسم تعالى أنه ﷺ ﴿مَا ضَلَّ﴾ وأنّ ما يأتي به هو وحي من ربه)).

وجاء في (روح المعاني): ((هي شديدة المناسبة لما قبلها، فإنّ الطور ختمت بقوله: ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾[الطور:٤٩] وافتتحت هذه بقوله سبحانه: ﴿وَالنَّجْمِ﴾[النجم:١].

ثانياً ـ هدف السورة :

مصادر العلم والمعرفة من الله تعالى :

ابتدأت السورة بالقسم بـ (النجم) الذي هوى، ويفسّر المفسرون (هوى) بمعنى" سجد"؛ ليتناسب مع جلال الموقف في قصة المعراج، ويتناسب مع خواتيم سورة الطور. والله أعلم.

وهذه السورة تعرض لنا أنّ العلوم والمعرفة بالله وبخالق الأكوان لها طريقان: طريق الظنون والأوهام، وطريق الوحي الذي جاء به النبي، وهو الكلام الصادق، وما عندكم من غير طريق الوحي هو الظن والوهم.

وقد أسهبت الآيات في عرض أنّ الوحي صِدق من الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم:٣-٤]، و﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [النجم:١١]، و ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم:١٧] وكلها تؤكد على أنّ العلم والمعرفة هي من الله تعالى. فإياكم أنْ يكون في النفس شك أو ريب في صدق هذا الوحي الذي هو من علم الله تعالى، وإياكم أنْ تكونوا كالأمم السابقة، فيصيبكم ما أصابهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ

وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم:٢٣]، و ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النجم:٢٨]، و: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النجم:٣٠] و ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النجم:٣٥].

وعلينا أنْ نقارن من أين نستقي العلم والمعرفة عن الله تعالى. فالنجم وهو يهوي أو يسقط هو ظاهرة مادية واضحة، وكذلك الوحي الذي نزل على النبي صادق وواضح، والنبي عليه السلام لا يضل ولا يهوي، وهذا دليل وثوق الوحي والقرآن.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

المعراج:

قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم: ١ - ١٨].

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١﴾

السؤال الأول:

ما دلالة القسم بالنجم؟ وما نوع هذا القسم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الذاريات ١.

السؤال الثاني:

ما علاقة هذا القسم بنهاية سورة الطور؟

الجواب:

١ـ سبق سورة النجم ذكر التسبيح في خواتيم سورة الطور ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾[الطور:٤٩] فجاء القسم بالنجم في هذه السورة.

٢ـ هوى: معناه (غرَب) ومعناه (سقط)، فإذا كان المعنى الأول في خواتيم سورة الطور ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ [الطور:٤٩] أي غروبها، فهي إذن مرتبطة بالتسبيح ومرتبطة بإدبار النجوم، فأصبح هناك تناسق بين إدبار النجوم والنجم إذا هوى.

وإذا كان (هوى) بمعنى سقط، والسقوط هوي إلى الأرض، فهي مناسبة للحركة؛ لأنّ السجود هوي إلى الأرض، وكأنما النجم هوى ليسجد لله تعالى، وفي السجود يكون العبد أقرب إلى الله تعالى العبد كما جاء في الحديث الشريف (**أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد**)؛ لذا اختار سبحانه أقرب حالة إليه في أقرب معيّة وهي العروج بالرسول عليه السلام إلى سدرة المنتهى، فهي أقرب حالة من الله لأقرب رحلة إلى الله تعالى.

٣ـ ثم ناسب افتتاح السورة خاتمتها في قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم:٦٢]؛ لأنّ السجود هو أهم ركن من أركان الصلاة، والصلاة فُرِضت في المعراج، وهذه السورة بداية رحلة المعراج.

❀❀❀❀

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الضلالة والغواية؟

الجواب:

١ـ في الآية نفى شيئين، وهما الضلالة والغواية. وهناك فرق بين الضلالة والغواية، فالضلالة قد تكون عن قصد أو عن غير قصد، كما في الآيات: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣] ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٤] وأمّا الغواية فهي عن قصد، وهو الإمعان في الضلال.

٢ـ والضلال عام. نقول: ضلّت الدابة ولا نقول غوت الدابّة، والغواية هي للمكلّف.

٣ـ والضلال نقيض الهدى، والغواية نقيض الرشد. قال تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر:٨] ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [طه:٧٩]، ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ﴾ [الأعراف:١٤٦] ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٦].

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ نفى الله تعالى عن رسوله عليه السلام الأمرين: الضلالة والغواية.

٢ـ وقد ذكرالقرآن كلمة ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ولم يقل اسمه، وقد وردت (صاحبكم) في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم: إمّا لنفي الضلال، وإمّا لنفي الجنون، كما في الآيات: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ [سبأ:٤٦]، ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير:٢٢]، ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ [النجم:٢] لأنّ فيها معنى الصحبة، فقد لبث الرسول عليه السلام فيهم عمراً طويلاً، وخالطهم وعاشرهم وعرفوا صدقه وأمانته، ولا يكذّبونه فهو صاحبهم، فكيف يمكنْ لهم أنْ يتهموه بالضلال؟ وقد وردت كلمة (صاحبكم) دائماً لنفي الجنون والغواية، وهذا فيه معنى الصحبة أيضاً.

٣ـ ولو لاحظنا القسَم في بداية السورة نجد أنّ فيه دلالة على الهوي والسقوط، والضلال والغيّ هما سقوط في السلوك، ودائماً يأتي في القرآن الضلال مع الحرف (في) ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وهذا دليل على السقوط، أمّا عند ذكر الهداية فيأتي بالحرف (على)؛ لأنّ كلمة الهدى تفيد الاستعلاء، وهو عليه السلام متمكن من وقع قدمه وقادر أنْ يرى.

حتى الهمزة تفيد السقوط وتأتي مع (في) الظرفية دلالة على السقوط ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[سبأ:٢٤] والنجم إذا ضلّ مساره سقط.

السؤال الثالث :

ما دلالة تكرار النفي في الآية؟

الجواب :

١ـ تكرار حرف النفي ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم:٢] حتى لا يُتصوّر أنه نفى الجمع بينهما فقط، وإنما نفى الجمع بينهما والإفراد.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ تعني نفي الضلالة والغواية معاً أو كل منهما على حدة.

أمّا القول : (ما ضلّ صاحبكم وغوى) فهي تفيد النفي بالجمع بين الصفتين.

وهذا من باب الاحتياط للمعنى، فنفاهما على سبيل الجمع والإفراد ومعناه أنه عليه السلام اهتدى ورشد فهو مهتد رشيد.

٢ـ إذن لماذا لم يقل (هدى ورشد) بدل (ما ضلّ وما غوى)؟ لو قال: (اهتدى) قد تفيد أنه قد يكون قبل الهداية ضالاً، لكنه عليه السلام مهتد رشيد لم يسبق له ضلالة.

والآية: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم:٢] تفيد أنه مهتد رشيد لم يسبق له ضلالة في أي وقت أوزمن كان.

❋❋❋❋

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة أنه نفى الفعلين السابقين بالماضي (ما ضلّ وما غوى)، وهنا نفي بالمضارع ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾؟

الجواب :

أولاً نفى القرآن الفعلين السابقين بالماضي (ما ضلّ) و(ما غوى)، وهنا نفي بالمضارع ليفيد الاستمرار والحاضر، فلو قال: (ما نطق عن الهوى) لاحتمل المعنى أنه نفى عنه الهوى في الماضي فقط ولم ينفه عنه فيما يستقبل من نُطقه. فالله سبحانه قد نفى عن رسوله عليه السلام الضلال والغواية في الماضي كله، ونفى عنه الهوى في النطق في الحاضر والمستقبل، فهو إذن عليه السلام منفيّ عنه الضلال والغواية في السلوك فيما مضى وفي المستقبل.

السؤال الثاني :

ما دلالة الحرف (عن) في قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾[النجم:٣]؟

الجواب :

النطق عادة يكون بالباء ﴿كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية:٢٩] أمّا هنا فجاءت (عن) ومعناها ما ينطق صادراً عن هوى، وهذا يعني أنّ الدافع للنطق ليس من هوى.

وهو هنا بمنزلة تزكية للنفس القائلة؛ لأنّ الإنسان قد ينطق بالحق، لكنْ عن هوى (حق أريد به باطل) ويعني (ناطق عن هوى).

وهكذا زكّى الله تعالى رسوله عليه السلام بتزكية الدافع للقول، فالدافع له زكي صادق ونطقه صادق أيضاً، وعليه جاءت الآية ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾[النجم:٣].

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

الهوى: أنْ تعرف الحق، لكنّ هواك يصرفك عنه، والرسول ﷺ لم يعرف في بعض المسائل حكماً فانصرف عنه، وإنما نطق وحكم على مقتضى ما فهم من أمر لم ينزل فيه من الله شيء، ثم نزل الحكم من الله ليعدّل اجتهاد رسوله.

وفي تعديل الحق سبحانه لرسوله وتبليغ الرسول لأمته بهذا التعديل أكبر دليل على صدقه ﷺ وأمانته في البلاغ عن ربه، وإلا فلم يكن أحد ليعلم هذا التعديل لو أخفاه الرسول تعصباً لنفسه أو لدفع الخطأ عنه.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾[التحريم:١].

وكذلك في سورة التوبة ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾[التوبة:٤٣].

❁❁❁❁

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال (إنْ) و (إلاّ) معاً في الآية؟

الجواب :

١ـ (إنْ) هي أقوى ما في النفي، وأقوى من ذلك أن تأتي (إن) و (إلاّ) معاً.

٢ـ مسألة الوحي هي المسألة الأساسية التي بين الإيمان والكفر، فجاء سبحانه بأقوى حالات الإثبات؛ لأنّ الوحي كان سبب المسألة الخلافية بين الكفّار والرسول.

٣ـ والإنسان قد ينطق غير صادق عن هوى، لكنْ ليس بالضرورة أنْ يكون كلامه كله حقاً وصدقاً حتى ولو كان دافعه دافع إخلاص. لذلك فبعد أنْ زكّى سبحانه الدافع ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾[النجم:٣] ثبّته أنه وحي ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[النجم:٤]. واستخدام الضمير ﴿هُوَ﴾ يعود على النطق، ومعناه: ما نُطقه إلا وحي يوحى.

❁❁❁❁

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ الوحي بالعربية قد يكون إلهاماً، مثل الوحي لأم موسى بإلقائه في اليم، والوحي (للنحل، ولشياطين الإنس والجنّ)، فأراد سبحانه أنْ يقطع أي فكرة، فقال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾[النجم:٥] بمعنى أنه ليس إلهاماً ولكنه وحي علّمه إياه شديد القوى، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[النساء:١١٣] فنسب العلم إلى الله سبحانه أنه هو المُعلّم.

٢ـ وفي ذكر الوحي يجب ذكر المسؤول عن إيصال الوحي، وهو جبريل عليه السلام، فالله تعالى هو المُعلّم الأول، وعندما ذكر أنّ كلامه وحي كان من الداعي أنْ يذكر من علّمه وأوصل العلم إليه.

٣ـ والفعل (علّمه) يفيد المداومة والتكثير على خلاف (أُعلّمه).

٤ـ كل الآيات السابقة مبنية على عدم ذكر اسم الفاعل ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾، ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾، ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾.

السؤال الثاني :

ما معنى ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر تعالى وصفين: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ و﴿ذُو مِرَّةٍ﴾.

٢ـ (المِرّة) قد تأتي بمعنى العقل والإحكام والحصانة والاستحكام، وتأتي بمعنى القوة أيضاً، فلماذا اختار سبحانه هذين الوصفين (شديد القوى وذو مِرّة)؟

هاتان الصفتان فيهما إشارة، وهي أنّ الخروج إلى أقطار السموات يحتاج إلى أمرين هما القوة والعلم. والرسول في رحلته في أقطار السموات يحتاج إلى قوة شديدة وإلى إحكام وعقل، وهنا إشارة إلى تمكّن جبريل عليه السلام من حفظ الرسول عليه الصلاة والسلام في رحلته، فكان قوياً في حفظ الرسول، ومحكماً في حفظ الوحي. وكل حفظ يحتاج إلى قوة وعقل وإحكام.

وهذه الرحلة (المعراج) كانت في أقطار السموات والأرض، أمّا في سورة الرحمن فذكر الحق سبحانه: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝٣٣﴾ [الرحمن:٣٣]؛ لأنّ الخروج من أقطار السموات والأرض فيه تحدٍّ، ويحتاج إلى سلطان القوة والعلم.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾[النجم:٦]؟

الجواب :

(استوى) تعني: اعتدل واستقام وتهيّأ. وينزل جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ ويتدلّى إليه ويصحبه بعد أنْ تهيّأ لذلك من الأفق الأعلى (وليس العالي)؛ وهذا حتى يليق بمقام النبوة.

وهذا فيه ثناء على جبريل حيث استعدّ للأمر قبل أنْ يأتي ويقوم بمهمته وفيه تكريم للرسول عليه السلام؛ لأنّ مقام الشخصية يستدعي زيادة التهيئة والاستعداد، وفيه إشارة إلى عِظم المهمة وعِظم الزائر، وهو الرسول عليه السلام.

السؤال الرابع :

في هذه الآية في سورة النجم ذكرت ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾[النجم:٧] وفي آية سورة التكوير ذكر ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾[التكوير:٢٣]، فما الفرق بينهما؟

الجواب :

في آية سورة النجم يُراد بالآيات والرحلة العروج إلى الأفق الأعلى وهو المكان الذي سيعرُج إليه الرسول عليه السلام. أمّا في آية سورة التكوير ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾[التكوير:٢٣] فتشير إلى رؤية الرسول عليه السلام لجبريل بالأفق المبين وهو أفق السماء، وهي تدل على الإبانة الواضحة. والله أعلم.

السؤال الخامس :

ما دلالة هذا الدنو في الآية ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [النجم:٨]؟ وما الفرق بين الدنو والتدلي؟

الجواب :

قوله تعالى :﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ ﴾ فيه تكريم للرسول عليه السلام؛ لأنّ الدنو غير التدلي، فالدنو هو القرب من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل وغيره، أمّا التدلّي فلا يكون إلا من أعلى لأسفل. ومعناه أنّ جبريل عليه السلام تدلّى للرسول عليه السلام، وهذا أمر فيه غاية التكريم له.

❁❁❁❁

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة اختيار (القوس) في الآية؟

الجواب :

العرب تقول في القُرب أشياء كثيرة كناية عن القرب، فلماذا اختار سبحانه (قاب قوسين أو أدنى)؟

اختيار (قاب قوسين) تدل على القرب، والقوس هي في حد ذاتها لا بدّ أنْ تكون قوية شديدة، والوتر لا بدّ أنْ يكون قوياً شديداً، والرامي ينبغي أنْ يكون قوياً مُسدداً، فالقوس يحتاج إلى إحكام في التسديد والانطلاق وهذه كلها عناصر الرحلة، وقد سبق

ذلك قوله تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم:٥-٦] والقوس شديد، ويستعمله قوي شديد، والرحلة وهي الانطلاق؛ لذا جاء استعمال (قاب قوسين أو أدنى).

السؤال الثاني :

ما معنى ﴿أَوْ﴾ في الآية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[النجم:٩] ؟

الجواب :

١ـ (أو) حرف عطف يمكن أنْ يكون للتخيير لا للشك، بمعنى إنْ شئتم قدّروا القرب بقوسين، وإنْ شئتم قدّروا بأدنى منهما.

٢ـ (أو) بمعنى بل، أي أدنى من قوسين.

❁❁❁❁

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ نفس الكلام الذي ورد في (أسرى بعبده) في الآية الأولى من سورة الإسراء ينطبق على ورود كلمة (عبده) هنا في هذه الآية.

٢ـ تطلق كلمة (عبد) على مجموع الجسد والروح، وهذا إثبات على أنّ الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد، وإلاّ فأين المعجزة؟! ولو كان بالروح فقط لما كذّبه الكفار، فهم عرفوا وتأكدوا أنّ الرحلة تمّت بالروح والجسد معاً.

٣ـ الإنسان عندما يقول عن نفسه: أنا عبد الله، فهذا تواضع. والله تعالى عندما يقولها عن عبد يكون تكريماً: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[الإسراء:١] ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾[النجم:١٠] ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾[ص:١٧] فهذا من الله تكريم.

ولذلك يقولون إنه لمّا قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[الإسراء:١] ذكر كلمة (عبد) عرج به إلى السموات العلا وإلى سدرة المنتهى، ولمّا ذكر موسى باسمه قال: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[الأعراف:١٤٣] إذن وكأنّ مقام العبودية عند الله سبحانه وتعالى مقام عظيم.

❊❊❊❊

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تصديق الفؤاد البصر في الآية؟

الجواب:

١ـ اختيار لفظ (الفؤاد) هو من التفؤد والتوقّد (يقال: فأد اللحم بمعنى شواه) واختار الفؤاد؛ لأنّ فؤاده عليه السلام متوقّد ليرى كل ما حوله.

٢ـ في قوله سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [النجم:١١] تأكيد على أنّ فؤاده عليه السلام صدّق بصره، ويعني: ما رأيته ببصرك لم يشكك به الفؤاد على توقّده، فقد صدّق الفؤاد البصر، وما يراه البصر هو حق صادق.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في اختيار كلمة (المراء)؟ وما فرق المِرية عن الجدال؟

الجواب :

المرية: فيها شك. لم يقل سبحانه: (أفتجادلونه)، إنما قال: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾[النجم:١٢]؛ لأنّ المِرية تختلف عن الجدال، فالكفار كانوا يشككون في الرواية وليس في الأفكار، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ [الشورى:١٨] ﴿يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ [الشورى:١٨] أي يجادلون في الساعة؛ لأنه لا أحد رآها أمّا الرؤية فهي ليست موضوع نقاش في هذه السورة ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾[النجم:١٢] أي لا يُمارى في رؤيته عليه السلام.

والملاحظ هنا استخدام حرف (على)، أمّا في الآية السابقة فاستخدم الحرف (في).

❁❁❁❁

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ استخدم كلمة ﴿نَزۡلَةً﴾ وليس كلمة (مرّة)؛ لأنّ النزلة من النزول فقال: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣﴾ [النجم:١٣]، أي عند نزوله عليه السلام رأى جبريل وهذا دليل على أنه عليه السلام صعد إلى مكان أعلى من الذي وصل إليه جبريل، وفي رحلة عودته عليه السلام رأى جبريل عند نزوله، وهذا مصداق الحديث أنّ جبريل عليه السلام قال للرسول عليه السلام: تقدم. وقال: لو تقدمتُ لاحترقت.

٢ـ اختيار (سدرة المنتهى): سدرة المنتهى هي آخر شيء وآخر نقطة ومكانها عند جنّة المأوى.

❁❁❁❁

﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

في هذه الآية أمور لا نعرفها نحن، فالله أعلم بمجريات هذه الرحلة وما فيها وما رآه الرسول عليه السلام فيها، وما في السدرة وما يغشاها.

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى ﴿زَاغَ﴾ في الآية؟

الجواب :

(زاغ) من الزيغان وهو الذهاب يميناً وشمالاً. أمّا (الطغيان) فهو مجاوزة الحدّ والقدر والتطلع إلى ما ليس له. بمعنى أنه عليه الصلاة السلام في رحلته ما مال بصره ولا جاوز قدره، بل وقف في المكان الذي خُصص له.

وفي هذا مدح للرسول عليه السلام فقد وقف بصره في المكان المحدد له مع أنّ المكان يستدعي أخذ البصر والالتفات.

وقد سبق أنْ نفى الله تعالى عن رسوله عليه السلام الضلال والغواية في الأرض، وكذلك نفى عنه أنْ يكون زاغ بصره أو طغى في السموات، فهو لم يتجاوز لا في الأرض ولا في السماء، فسبحان الله تعالى، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁❁❁❁

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

(مِن) يقال لها التبعيضيّة.

لم ير كل شيء، لكنّ الرحلة كان لها منهج معين، وجاء بالكبرى، وفيه تكريم آخر للرسول عليه السلام أنه رأى بعض الآيات الكبرى.

والسورة كلها فيها تكريم للرسول عليه السلام، وهذه الآية مبنية على الإبهام، وهذا الإبهام للتعظيم.

وقد أورد الشيخ الشعراوي رحمه الله في خواطره أنّ الرسول عليه السلام رأى من آيات ربه الآية الكبرى، والله أعلم بهذا.

❊❊❊❊

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

كيف قال الله: ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾[النجم:٢٠] فوصف الثالثة بالأخرى والعرب إنما تصف بالأخرى الثانية لا الثالثة؟

الجواب:

الأخرى نعت للعزى والتقدير: أفرأيتم اللات والعزى الثانية ومناة الثالثة لأنها ثالثة الصنمين في الذكر، وإنما أخّر الأخرى رعاية للفاصلة. والله أعلم.

السؤال الثاني:

في رسم لفظة ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ في الآية أبدلت الألف واواً ومثلها كلمتا ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فما أقسام الإبدال في رسم المصحف؟

الجواب:

يشتمل الإبدال على خمسة أقسام، وهي :

١ـ إبدال الألف واواً:

أ ـ ترسم الألف واواً في أربعة أصول مطردة حيث وقعن غير مضافات وهي: الصلوة ـ الزكوة ـ الحيوة ـ الربوا .

ب ـ كما ترسم واواً في أربعة مواضع، وهي :

ـ ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ الأنعام ٥٢ـ الكهف ٢٨.

ـ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ النور ٣٥.

ـ ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ النجم ٢٠.

٢ـ إبدال الألف ياء :

أ ـ اتفقوا على رسم الألف المتطرفة ياء، وإنْ اتصلت بضمير أو هاء تأنيث. نحو: ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ـ ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ـ ﴿فَتَىٰ﴾ـ ﴿شَتَّىٰ﴾ـ ﴿أَدْنَىٰ﴾ـ ﴿مَجْرٜىٰهَا﴾ـ ﴿أَرْسَىٰهَا﴾ـ ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾.

ب ـ استثنوا كل ألف جاورت ياء قبلها أو بعدها، نحو: ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ـ ﴿ٱلْعُلْيَا﴾ـ ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ـ ﴿هُدَاىَ﴾ـ ﴿مَثْوَاىَ﴾ـ ﴿تَتْرَا﴾ـ ﴿كِلْتَا﴾ـ ﴿أَقْصَا﴾.

ج ـ لفظة ﴿يَحْيَىٰ﴾ كتبت بالياء اسماً كانت أو فعلاً.

د ـ اتفقوا على رسم الألف ياء في (أنىّ) بمعنى: كيف، وكذلك في [متى ـ بلى ـ حتى ـ إلى ـ على ـ لدى].

٣ـ إبدال :

تبدل النون ألفاً في :

ـ ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف:٣٢].

ـ ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ [العلق:١٥].

ـ ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ [محمد:٨].

٤ـ إبدال تاء التأنيث المربوطة تاء مفتوحة.

٥ـ إبدال الثلاثي الواوي ألفاً :

رُسم بالألف ما كان من الأسماء والأفعال من ذوات الواو على ثلاثة أحرف، نحو [الصفا ـ شفا ـ سنا ـ أبَّ] ما عدا التالي :

أ ـ لفظ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ فكتب بالياء أينما وقع.

ب ـ ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾ [النور:٢١].

ج ـ ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات:٣٠].

د ـ ﴿تَلَىٰهَا﴾ [الشمس:٢] ﴿طَحَىٰهَا﴾ [الشمس:٦].

هـ ـ ﴿سَجَىٰ﴾ [الضُّحى:٢].

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في كلمة (ضيزى) في آية سورة النجم ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾؟

الجواب:

(ضيزى) معناها: جائرة ظالمة. ويقولون: أصلها ضُيزى. يقولون: هذا من باب اسم التفضيل (الأفعل والفعلى) للمؤنث، نحو: أكبر كبرى، أصغر صغرى. وهذه (ضيزى) وزنها (فُعلى) في الأصل، لكن الضمة قلبت كسرة حتى تبقى صحيحة، والضاد مضمومة في الأصل وتغيّرت إلى كسر فصارت (ضِيزى) وهي كلمة عربية؛ لأنّ (ضاز) معناه: جار.

لدينا فعلان: (ضاز يضيز) بمعنى جار و(ضاز يضوز) بمعنى لاك الشيء ومضغه، والدلالة متغيرة تماماً، لكنّ هذا الاختيارسببه أنّ (ضيزى) ليس فقط جائرة، وإنما هذا الذي تلوكونه بألسنتكم وتمضغونه ليس له قيمة فجاء بهذه الكلمة الغريبة؛ لأنها قِسمة غريبة، وهي فعلاً من الكلمات الغريبة، فاستعملها لأنها قسمة غريبة ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾[النجم:٢١] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾[النحل:٥٧] فاختار الكلمة الغريبة للقسمة الغريبة.

إذن (ضيزى) تحتمل الدلالتين: قسمة جائرة غير عادلة، ويلوكونها بدون معرفة.

السؤال الثاني:

ما الأصل اللغوي لكلمة ﴿ضِيزَىٰ﴾؟

الجواب:

كلمة ﴿ضِيزَىٰ﴾ من الفعل: ضأز يضأز ضأزاً؛ أي: جار. وقسمة ضيزى: أي جائرة غير عادلة. والضوزة من الرجال الحقير الصغير الشأن.

والعرب تقول:

أـ ضُؤزى: بالضم والهمز.

ب ـ ضُوزى: بالضم بلا همز.

ج ـ ضِئزى: بالكسر والهمز.

د ـ ضِيزى: بالكسر بلا همز.

❁❁❁❁

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ و﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾؟

الجواب:

بشكل عام (نزّل) آكد وأقوى في موطن الاهتمام من(أنزل).

انظر الجواب في آية آل عمران ٣.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية ٢٣: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[النجم:٢٣] وقال في الآية ٢٧: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾[النجم:٢٧]، فلماذا؟

الجواب :

١ـ الآية ٢٣ جاءت بعد ذكر آلهتهم في الآيات[١٩ـ٢١]وتسميتها آلهة فقال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾[النجم:٢٣] أي بهواكم من غير دليل.

٢ـ الآية ٢٧ في تسمية الملائكة تسمية الأنثى، وأنّ الظن في أنّ الملائكة إناث لا يغني من الحق شيئاً ولا يفيد قاصد علم. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول :

متى تذكر أو تؤنث كلمة الشفاعة؟

الجواب :

١ـ في آية البقرة ٤٨ ذكّر الفعل فقال: ﴿يُقْبَلُ﴾ لأنّ الشفاعة هنا جاءت لمن سيشفع أو من ذي الشفاعة.

٢ـ في آية البقرة ١٢٣ أنّث الفعل فقال: ﴿تَنفَعُهَا﴾؛ لأنّ المقصود هو الشفاعة نفسها وليس الكلام عن الشفيع.

٣ـ في آيات يس ٢٣ والنجم ٢٦ أنّث الفعل؛ لأنّ المقصود هو الشفاعة نفسها.

❁❁❁❁

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول :

لماذ قال تسمية الأنثى ولم يقل تسمية البنات؟

الجواب :

١ـ المراد به الجنس.

٢ـ الإناث تحتمل معنيين: البنات، وأعلام البنات، أي أسماءهم كعائشة وحفصة.

٣ ـ مراعاة الفاصلة.

لذلك عندما قال: (تسمية الأنثى) تعيّن أنْ تكون للجنس وهي البنت والبنات.

والمعنى: كيف تدعون أنكم تعظمون الملائكة وتعبدونها وأنتم تسمونهم تسمية الأنثى؟ !!

❁❁❁❁

﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسات البيانية في الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ [النجم:٣٠] أي غاية ما يبلغون أنهم يأخذون بالظن.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ [النجم:٣٠] (هو) ضمير الفصل و﴿أَعۡلَمُ﴾ بمعنى عالم لا عالم مثله، كما يقال: (الله أكبر) أي كبير ولا أكبر إلا هو.

٣ـ قدّم العلم بمن ضل على العلم بالمهتدي في كثير من المواضع، كما في [سورة الأنعام ١١٧ـ وسورة القلم ٧] وهنا أيضاً في الآية؛ لأنه في هذه المواضع كلها المذكور نبيه عليه السلام والمعاندون، فذكرهم أولاً تهديداً لهم، وتسلية لقلب نبيه عليه الصلاة والسلام.

٤ـ قال في الضلال (عن سبيله) ولم يقل في الاهتداء إلى سبيله؛ لأنّ الضلال عن السبيل هو الضلال، ولا يكون الضلال إلا في السبيل ،ولأنّ من ضل عن سبيله لا يصل إلى المقصود سواء سلك سبيلاً أم لم يسلك.

وأمّا من اهتدى إلى سبيل الله فلا وصول إنْ لم يسلكه، فلا يكون مهتدياً إلا إذا اهتدى إلى كل مسألة يضر الجهل بها بالإيمان، فكان الاهتداء اليقيني هو الاهتداء المطلق، فقال هنا: ﴿بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ٣٠﴾ وقال: ﴿بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١١٧﴾ في الأنعام ١١٧. والله أعلم.

السؤال الثاني :

قال في سورة الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١١٧] وهنا قال: ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، فلماذا؟

الجواب :

لّما قال: ﴿ضَلَّ﴾ بصيغة الماضي تعلق الأمر بعلمه تعالى الأزلي وقت وجوده فعلم.

ولّما قال: ﴿يَضِلُّ﴾ تعلق الأمر عند الوقوع، وإنْ كان قد علم في الأزل أنه سيضل؛ لأنّ للعلم تعلقاً آخر عند حصوله التنفيذي، وهذا هو العلم الذي يبنى عليه الجزاء، ولا يُبنى الجزاء على علم الله الأزلي.

أي قال: (ضل) في علم الله الأزلي. وقال: (يضل) عند حصوله المؤكد التنفيذي.

السؤال الثالث :

ما اللمسة البيانية في التعبير ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الوارد في الآيات النحل ١٢٥ ـ النجم ٣٠ ـ القلم ٧؟

الجواب :

١ـ العرب تقول: أسرع من مشى ـ أكرم من طعم ـ أطيب من تعطر ـ أغلى من مات، وهكذا، وليس من عادتهم أن يقولوا: (أفصح بمن أنشد) أي بزيادة (الباء).

بينما في الآيات الثلاث اتصلت الباء ﴿بِمَن﴾؛ لأنّ في حذف هذه الباء فساد المعنى بحيث يكون أنّ الله أعلم الضالين عن سبيله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٢ـ ومثال ذلك: لو قلت إنَّ فلاناً أعلم من دَرّس النحو، لكان ذلك يعني أنه أعلم دارسي النحو. ولو قلت: فلان أعلم بمن درس النحو، لتغير المعنى وربما أنه لا يعرف النحو بنفسه، لكنه يعرف من درسه.

وهنا في الآية وضع (الباء) لكي يفصل بين معنى أفعل التفضيل ﴿أَعْلَمُ﴾ وما يأتي بعده.

ويؤيده ذلك آخر الآية ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فتكررت هذه الباء؛ لتؤكد المعنى الأول.

٣ـ في آية الأنعام ١١٧ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فإنك لا تجد هذه (الباء)، والفعل (يضل) بالمضارع بدلاً من الماضي (ضل) فما السر في ذلك؟

والجواب أنّ هذه الآية من سورة الأنعام تتحدث عن أمور في المستقبل أي أنّ الله أعلم بالذين سيضلون عن سبيله، بدليل قوله تعالى في الآية السابقة لها: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾[الأنعام:١١٦].

فتلاحظ أنّ الأفعال ﴿يُضِلُّوكَ﴾ـ ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ـ ﴿يَخْرُصُونَ﴾ كلها أفعال مضارعة تدل على الحال والمستقبل فناسبها أنْ يكون الفعل مضارعاً مثلها ﴿أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ ولا ينصرف الذهن إلى معنى غير ذلك.

٤ـ أمّا الآيات الأخرى فكانت تتحدث عن أشياء ماضية حدثت بالفعل وعُرِفَ أصحابها. انظر آية سورة النجم مثلاً ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾[النجم:٣٠] وكذلك آيات سورة القلم.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين التزكيتين ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾[الشمس:٩] ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾[النجم:٣٢]؟ وما معنى التزكية في القرآن الكريم؟

الجواب :

كثير من الكلمات يسمونه من المشترِك اللفظي بحيث يكون له أكثر من معنى يصح في حال، وآخر قد يكون منهياً عنه.أمثلة :

١ ـ (مشترِك ـ مشترَك) :

ـ (اشترك) فعل لازم وليس متعدياً. ولو قدّرنا الفعل لازماً بدون تقدير نقول (مشترِك) كما في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الصافات:٣٣].

ـ(مشترَك) في التعبير مثلاً كقوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ [طه:٣٢] كما نقول اشترك في كذا فيصير (مشترَك) في أمر من الأمور.

٢ ـ (زكّى نفسه) فيها معنيان:

ـ التطهير، ومنه الزكاة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣] والزكاة هي النماء في الحقيقة. وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس:٩] أي طهّر نفسه.

ـ ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم:٣٢] زكّى نفسه؛ أي نسبها إلى التزكية، قال: أنا جيّد أنا خير من كذا، ففي هذه الحالة لا يجوز، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي لا تقولوا أنا أحسن من هذا، أنا أفضل؛ لأنه تعالى أعلم بمن اتقى.

فمعنى (قد أفلح من زكاها) أي طهّرها، ومعنى (لا تزكوا أنفسكم)؛ أي لا تفتخر بنفسك، وكل واحدة لها معنى.

٣ـ ونظير ذلك الفعل (قوّم) بمعنى: عدّل، كقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيّنة:٥] و(قوّم) بمعنى أعطى للشيء قيمة ،كم تقوّم هذه الساعة مثلاً؟ أو هذه السلعة؟ (قوّم السلعة) أي بيّن مقدار قيمتها. (قوّم ولا تقوّم) يعني عدّلها، لكن لا تقوم قيمتها.

فإذن هذه من المشترك، وكل واحدة لها معنى.

السؤال الثاني :

ما أهم اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الكبائر جمع كبيرة وهي صفة، فما الموصوف؟ !!.

٢ـ قال في الكبائر: ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ ولم يقل: الفواحش من الإثم؛ لأنّ الكبائر إشارة إلى المقدار، والفواحش إشارة إلى ما فيها من وصف القبح، فكأنه قال: عظيمة المقادير قبيحة الصور.

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ أي الصغير من الذنب، يقال ألَمّ بالطعام إذا قلل من أكله، وفيها وجوه:

أ ـ استثناء منقطع؛ لأنّ اللمم ليس من الفواحش.

ب ـ استثناء غير منقطع؛ لأنّ كل معصية إذا نظرت إلى جانب الله تعالى فهي كبيرة. ولذلك قالوا: الفواحش هي كل معصية إلا ما استثنى الله تعالى منها ووعدنا بالعفو عنه.

ج ـ (إلا) بمعنى غير، والتقدير والفواحش غير اللمم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ جاء بالتوكيد ﴿إِنَّ﴾ وذكر لفظة الرب لأنها مشتقة من التربية والاهتمام. وجاءت كلمة ﴿وَٰسِعُ﴾ لتدل على عظيم عفوه وكرمه.

وجاءت الآية بالصيغة الاسمية؛ لتدل على الثبات، ولتدل على أنّ الذنوب كلها وإنْ كانت عظيمة، فإنها صغيرة إنْ قورنت بقليل عفو الله وكرمه.

٥ـ قوله: ﴿إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي إنْ كنتم في شك من علمه بكم فاذكروا حال إنشائكم من الأرض؛ لأنّ آدم أصله من تراب.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ﴾ الأجنة هم الذين في بطون الأمهات، وبعد الخروج لا يسمى إلا ولداً أو سقطاً.

وفي الآية تنبيه على كمال العلم والقدرة لله، فمن يعلم بحال الجنين لا يخفى عليه ما ظهر من حال العباد.

٧ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾ (هو) ضمير الفصل الذي يدل على أنه يعلم لا غيره. والمخاطب هنا خاص: الكفار، وعام: المؤمنون.

وفي الآية إرشاد للمؤمنين بأنْ لا يزكوا أنفسهم خيلاء، وفيه إشارة إلى وجوب الخوف من العاقبة، أي لا تقطعوا بخلاصكم أيها المؤمنون، فإنّ الله يعلم عاقبة من يكون على التقى.

السؤال الثالث:

ما دلالة النهي عن تزكية النفس في الآية؟

الجواب:

١ـ التزكية هنا عبارة عن مدح الإنسان نفسه، ومنه تزكية الشاهد في القضاء. قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم:٣٢] وحيث إنّ التزكية متعلقة بالتقوى، والتقوى صفة في الباطن، ولا يعلم حقيقتها إلا الله فلا جرم أنه لا تصلح التزكية إلا من الله؛ ولذلك قال الله: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾[النساء:٤٩].

٢ـ إنْ قيل: أليس النبي عليه السلام قال: (**والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض**)، فكيف نفهم هذا؟

والجواب: إنما قاله النبي عليه السلام حين قال المنافقون له: اعدل في القسمة؛ ولأنّ الله تعالى لمّا زكاه بدلالة المعجزات جاز له ذلك بخلاف غيره.

٣ـ الفعل (زَكَى) قد يكون بمعنى: نسب الشيء إلى (الزكاء)، كما في آية النجم ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: لا تنسبوها إلى زكاء الأعمال، ولا تثنوا عليها.

وقد يكون بمعنى (طهّر)، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ أي من طهرها. وعلى هذا يصح أنْ تقول: زكّوا أنفسكم ولا تزكوها. أي: طهروا أنفسكم ولا تمدحوها بزكاء الأعمال، فإنه لا يزكّي الأنفسَ إلا الله.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ۝٤٧ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ۝٤٨ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ۝٤٩ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠﴾

السؤال الأول:

ما دلالة حذف المفعول به في الآيتين [٤٣ و ٤٤]؟

الجواب:

حذف المفعول به على نوعين:

١ـ أنْ يحذف لفظاً لكنه مرادٌ معنى، والقصد هو: الحذف اختصاراً. ولا يُحذف إلا لدليل.

٢ـ أنْ يكون المفعول به غير مراد، ولا يصح تقديره؛ لأنّ تقدير أي مفعول به مفسد للمعنى. ويكون ذلك بحسب الحاجة، والقصد هو: الحذف اقتصاراً.

وقد تكون الحاجة لذكر المفعولين ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر:١] ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف:٦٥] أولذكر مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضُّحى:٥].

* شواهد قرآنية على النوع الأول :

ـ ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ [المدَّثر:١١] أي من خلقته وحيداً؛ لأنّ اسم الموصول لا بدّ له من عائد.

ـ ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٤٠] أي أنعمتها.

ـ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة:٢٤] أي فإنْ لم تفعلوا الإتيان ولنْ تفعلوه وقد حُذف للعلم به.

ـ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضُّحى:٣] والحذف هنا لإكرام الرسول عليه السلام فلا يناسب: وما قلاك.

ـ ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ۝٧٩﴾ [طه:٧٩] أي وما هداهم، وللعموم، أي: وما هدى غيرهم.

ـ ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة:٢١] الحذف هنا للعموم والتحقير للكافرين.

* شواهد قرآنية على النوع الثاني :

ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المائدة:٥٥] لم يذكر لمن يؤتون الزكاة؛ لأنّ القصد هنا أنْ يصف المؤمنين بإيتاء الزكاة.

ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الليل:٥-٦] لم يذكر من أعطى ولا ما أعطى؛ لأنّ القصد أنْ يصفهم بصفة العطاء والتقوى.

ـ ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه:٥٢] أي لا يتصف بالنسيان.

ـ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور:٦١] لم يذكر مفعول الأكل؛ لأنه لا يتعلق غرض بذكره.

ـ البقرة ١٨٧ : لم يذكر ما يأكلون وما يشربون.

ـ الفرقان ٦٧ : لم يذكر ماذا ينفقون.

ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [غافر:٦٨] أي أنه متصف بصفة الإحياء والإماتة.

ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النجم:٤٣-٤٤] أي متصف بصفة الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء.

ـ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص:٣] لم يذكر ما يلد، ولو ذكر لفسد المعنى.

السؤال الثاني :

جاء ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ في الآيات [٤٣ـ٤٤ـ٤٨ـ٤٩]ولم يأت به في الآيات [٤٥ـ٤٧ـ٥٠]، فما السبب؟

الجواب :

جاء ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ في كل موضع أُدعي فيه نسبة ذلك المعنى إلى غير الله، ولم يؤت به حيث لم يُدّع. لذلك لم يؤت به في الآيات التالية :

ـ ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾[النجم:٤٥].

ـ ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾[النجم:٤٧].

ـ ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾[النجم:٥٠].

لأنّ ذلك لم يُدّع لغير الله تعالى، وأُتي به في الباقي لادعائه لغيره وهي الآيات :

ـ ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾﴾[النجم:٤٣-٤٤].

ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾[النجم:٤٨-٤٩].

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى في الآية ٤٧ ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾[النجم:٤٧]؟

الجواب :

١ـ عند أكثر المفسرين أنّ الآية إشارة إلى الحشر.

٢ـ لكنْ يحتمل أنْ يكون المراد نفخ الروح الإنسانية في الإنسان، كما قال تعالى بعد خلق النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاماً، ثم: ﴿أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾[المؤمنون:١٤].

٣ـ قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ أي تعينت له نفخ الروح الإنسانية وإعادة الحشر، فهو الذي يقوم بذلك لا غيره.

٤ـ قوله: ﴿النَّشْأَةَ﴾ هي مصدر كالضربة على وزن (فَعلة) أي مرة بعد مرة؛ لذلك يعني النشأة الأخرى يوم القيامة بعد النشأة الأولى بخلق الناس في الدنيا.

السؤال الرابع :

ما دلالة الآية ٤٨ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨﴾ [النجم:٤٨]؟

الجواب :

أي أغنى من الفقر، وأقنى من الغنى فقنع.

❁❁❁❁

﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾

السؤال الأول :

لماذا زيدت ألف مع كلمة ﴿وَثَمُودَا۟﴾ في رسم المصحف؟

الجواب :

زيدت (ألف) مع كلمة ثمود في أربع آيات، وهي [هود ٦٨ـ الفرقان ٣٨ـ العنكبوت ٣٨ـ النجم ٥١].

وقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي الآيات الأربعة بالتنوين، وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص بترك التنوين فيها.

وبالتالي فإنّ هذه الألف ليست إلا عوضاً عن التنوين المفتوح ما قبله عند الوقف.

﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية المشتركة بين آية طه ٧٨ ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه:٧٨] وآية النجم ٥٤ ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [النجم:٥٤]؟

الجواب :

اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه:٧٨] هو استعماله لاسم الموصول ﴿مَا﴾ للتفخيم.

وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [النجم:٥٤].

❁❁❁❁

رابعاً ـ تناسب فواتح النجم مع خواتيمها :

١ ـ قال سبحانه في أول السورة :

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ – ٤].

وقال في أواخرها: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ [النجم:٥٦]. أي ليس ضلالاً ولا غواية ولا نطقاً عن هوى، وإنما هو وحي من الله سبحانه.

ثم قال في آخرها:

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾ [النجم: ٥٩ – ٦٢].

فقوله : ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النجم:٥٩] يناسب قوله في البدء: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣ - ٤].

٢ ـ ثم ذكر في أوائلها حديث المعراج، ومن ذلك قوله :

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٢ - ١٨].

وذلك يناسب أيضاً قوله في آخر السورة: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١].

٣ ـ ذكر في أوائل السورة ما يعبدونه من الأصنام، وذلك قوله :

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠].. . ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم:٢٣].

وطلب في آخر السورة السجود لله والعبادة له، وذلك قوله: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ [النجم:٦٢].

لقد قال في أول السورة: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ [النجم:١].

وقال في آخرها: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم:٦٢].

وهويّ النجم يقابله السجود، فكلاهما هويّ. فالتناسب بين البدء والختام من أكثر من جهة.

سورة القمر

أولاً ـ تناسب خواتيم النجم مع فواتح القمر :

قال سبحانه في خواتيم سورة النجم :

﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾[النجم: ٥٧ – ٥٨].

وقال في أول سورة القمر:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[القمر:١].

وقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾[القمر: ٦ – ٧].

فكلا الموضعين في الساعة واقترابها.

جاء في (روح المعاني): ((مناسبة أولها لآخر السورة قبلها ظاهرة فقد قال سبحانه: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧﴾[النجم:٥٧]، وهنا ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[القمر:١].

سؤال :

﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧﴾[النجم:٥٧] ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[القمر:١] ألا يعتبر هذا صورة من صور التكرار؟ والجواب أنّ الدلالة واحدة، لكنّ الأسلوب في التعبير مختلف. والقرآن ذكر في سورة القمر ما لم يذكره في النجم، فهناك إشارة وهنا توضيح، هناك لم يقل: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ

﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾[القمر:٦]. وهنا بيّنها، هناك لم يقل: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر:١].

هناك ذكر كلاماً عاماً، وهنا ذكر توضيحاً لما ذكره فيما تقدم كأنها مقدمة لأنّ: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ۝٥٧﴾[النجم:٥٧] هذه مجرد إشارة.

إذن في النجم إشارة وفي القمر توضيح، فقوله تعالى: ﴿يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾ [القمر:٦]. وهذه لم تذكر في النجم، فكأنه تبيين لما ذكره، وكأنما هي بعدها في التوضيح، وكأنها من سورة واحدة متصلة.

ثانياً ـ هدف السورة :

التعرّف على الله من خلال النقم :

هذه السورة تتحدث بمعظم آياتها عن نماذج لمن كذّب بآيات القرآن وتحمل السورة طابع التهديد والوعيد والإنذار مع صور شتّى من مشاهد العذاب والدمار. وقد تكرر فيها ذكر: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦﴾[القمر:١٦] وكذلك: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾[القمر:١٧]. وتحدثت عن قوم نوح: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢﴾ [القمر:١٢]، وقوم عاد: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩﴾ [القمر:١٩]، وقوم ثمود: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۝٣١﴾[القمر:٣١]، وقوم لوط: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ۝٣٤﴾[القمر:٣٤]، وآل فرعون: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ

عَزِيزٍ مُّقۡتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾[القمر:٤٢]. وكلها تتحدث عن كيفية غضب الله تعالى لنتعرف عليه من خلال النقم التي لحقت بمن كذّب بهذا القرآن.

وقد ختمت السورة بآية بيّنت مآل السعداء المتقين لتحافظ على توازن أسلوب القرآن في الترغيب والترهيب: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾﴾[القمر:٥٤].

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

يحدّث ـ داوود موسى بيسكوك ـ رئيس الحزب الإسلامي البريطاني فيقول: إنّ سبب إسلامي كان أنني استمعت إلى مناظرة بين علماء الفضاء الأميركيين مع مجموعة من العلماء البريطانيين في التلفزيون البريطاني فقال البريطانيون للأميركان: كم أنفقتم من المليارات حتى وصلتم إلى القمر؟ فما الذي جئتم به؟ هذه الأحجار هل قيمتها تساوي المليارات التي أنفقتموها؟ فخشي الأميركان من تشويه سمعتهم أمام جمهورهم في أميركا وأوربا فقالوا: لا، نحن لم نصعد من أجل هذا، وإنما صعدنا من أجل أنْ نحقق في ظاهرة أذهلتنا، فقد وجدنا أنّ القمر مشقوق نصفين ،وأنّ كل نصف ابتعد عن النصف الآخر، وأنه عاد والتحم النصفان وأنّ دليلنا على ذلك هو أنّ سلاسل الجبال التي كانت ملتحمة بعضها مع بعض. . هذه السلاسل لما عاد الالتحام حدث لها انزياح فأصبح

نصف الجبل هذا يلتحم مع النصف الآخر ونصف الجبل الآخر يلتحم مع نصف الجبل الآخر وهكذا جميع الجبال. .. أنصاف الجبال التي في سلاسل جبال في إحدى الجهات وجدوها متقدمة عن مثيلاتها وأنصافها الأخرى مما دل على أنّ القمر قد انشق.

وهذه معجزة للرسول محمد ﷺ سجلها القرآن الكريم في أوائل سورة القمر.

❀❀❀❀

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾

السؤال الأول :

لماذا رُسم الفعل ﴿تُغْنِى﴾ بالياء في آية يونس ١٠١ وبدون ياء ﴿تُغْنِ﴾ في آية سورة القمر ٥؟

الجواب :

١ـ بشكل عام خط المصحف لا يقاس عليه، لكنْ من الغريب أنْ نحس أنّ للفصل والوصل غرضاً بيانياً وله دلالته.

٢ـ قال في آية القمر: ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ [القمر:٥] وقال في يونس: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾[يونس:١٠١] فزاد في آية يونس على ما في القمر، فزاد في الرسم تبعاً لذلك.

٣ـ لمّا زادت دواعي الإغناء في يونس زاد الإغناء، ولمّا نقصت الدواعي في القمر نقص شيء من الحدث تبعاً لذلك، فَنَقْصٌ من الرسم في القمر مناسبٌ لنقص الدواعي.

والله أعلم.

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (نُكْر) بسكون الكاف و(نُكُر) بضم الكاف؟

الجواب :

١ـ قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾[القمر:٦] جاءت (نُكُر) بضم الكاف هنا، ولا تصلح هنا مع الفاصلة أنْ تأتي(نُكر) بتسكين الكاف.

٢ـ صيغة (فُعُل) بضم العين غير صيغة (فُعْل) بتسكين العين ولكل منها دلالة خاصة. يقال: باب (فُتُح) أي مفتّح لا يُغلق، ويقال: من وجد باباً مُغلقاً فإنّ هناك بابًا (فُتُحاً) هو باب الله. ويقال: قارورة (فُتُح) أي ليس لها غطاء أصلاً.

٣ـ صيغة (فُعُل) أبلغ من (فُعْل)؛ لأنّ فيها توالي ضمّتين، و(نُكُر) أبلغ وأشد في النكارة من (نُكر) بتسكين الكاف، ولو لاحظنا ما ورد في الآيات التي فيها (نُكر) و(نُكُر) نجد أنه من الصحيح أنّ الفاصلة تقتضي كلاً من التعبيرين والعبارتين أو الوزنين، لكنّ الدلالة تختلف.

٤ـ في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾[القمر:٦] هذه الآية في الآخرة، وهي غير مألوفة، والصوت الذي يدعوهم إلى الخروج غير مألوف، فالأمر مُستغرب، ولم يسمعوا به، والدعوة هائلة والأمر غير مألوف فيما سبق من حياتهم ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ

﴿٨﴾ [القمر: ٧ - ٨] فليس له نظير فجاء بـ (نُكُر) شديد النكارة ولم يقل (نُكر) بتسكين الكاف.

٥ـ أمّا في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الكهف:٨٧] فلم يقل (نُكُراً) علماً أنّ الحديث في الآخرة أيضاً؛ وهذا لسببين:

أ ـ أولاً قال: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ ولم يقل: (من كفر) وليس بالضرورة أنّ الظالم هو كافر، فكل كافر ظالم، وليس كل ظالم كافراً.

ب ـ وثانياً أنه قال: ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ إذن سينال عذاباً في الدنيا، فإذا كان العذاب مُجزياً في الدنيا سقط عنه في الآخرة، وإذا لم يكن مجزياً عُذب في الآخرة. وإذا أقيم على أحدٍ الحدّ في الدنيا بسبب ذنب خاص، فإنه لا يُعذب عليه في الآخرة. فهذا العذاب نكارته ليس بتلك الشدة التي في آية سورة القمر.

٦ـ أما في قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف:٧٤] قتل النفس في الأرض كثير، وليس مستغرباً كالأمر في آية سورة القمر، فالقتل يحصل رغم استنكاره.

٧ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾ [الطلاق:٨] هذا في الدنيا كالصيحة أو الخسف أو غيرها وليس في الآخرة، وليست بنكارة ما في الآخرة.

٨ـ واختلاف الصيغ كثير منها: [عسِر وعسير] ولكل منهما دلالة خاصة و[طويل وطُوال] وتقال مثلاً إذا كان شخصان كلاهما طويل، لكنّ أحدهم أطول من الآخر، فيقال له: (طُوال) إذا كان بالغ الطول.

﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (خشعاً أبصارهم) و(خاشعةأبصارهم) و(أبصارها خاشعة) كما في الآيات: ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾[القمر:٧]، ﴿خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾ [المعارج:٤٤]، ﴿خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَـٰلِمُونَ﴾[القلم:٤٣] ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩﴾[النازعات:٩]؟

الجواب :

١ـ (خُشّع) هذا الجمع على وزن (فُعّل). والخشوع هو الانكسار والذلة ويكون للإنسان عموماً وللقلوب وللأبصار والوجوه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝٢﴾ [الغاشية:٢] ويظهر فيها الذلة والانكسار، ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢﴾[المؤمنون:٢] فهوخشوع عام في القلب والجوارح.

٢ـ (خُشّع) جمع مفرده (خاشع) مثل :(سُجّد وساجد). قال الله في الآيتين في السؤال ﴿خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ﴾ ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ﴾ (خُشّع) جمع على وزن (فُعّل) هذا الوزن يفيد التكثير والمبالغة، نظير قولنا في المبالغة مثل (قُلّب) نقول: هذا رجُل قُلّب، أي كثير

التقلب وسريع التقلب، وبَرْق (خُلّب) أي ليس فيه مطر، ورجُل (حُوّل) أي كثير التحوّل.

وهذه من صيغ المبالغة، وبهذا المعنى اتضح الفرق بين خاشع وخُشّع و(خاشعة) اسم فاعل، و(خُشّع) جمع يفيد التكثير، هذا هو الفرق في الدلالة.

٣ـ يبقى سبب الاختيار: لماذا هنا قال خُشّعاً وهنا خاشعة؟

نقرأ الآية في سورة القمر ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر: ٦ - ٨]:

أ ـ قال: ﴿شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾ نُكُر أي شديد النكارة غير مألوف ولا معروف. صيغة (فُعُل) من صيغ المبالغة الدالة على شدة النكارة غير المألوفة وغير المعروفة.

ب ـ ثم تقديم الحال: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ بينما في آيات سورة المعارج كلها مؤخرة: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج: ٤٣ - ٤٤] الحال متأخرة هنا، بينما في سورة القمر الحالة متقدمة لشدة الأمر ﴿خُشَّعًا﴾، وهي الحال الدالة على الكثرة.

ج ـ قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر:٧-٨] مهطعين أي مسرعين، مادّي أعناقهم خائفين، ولم يذكر في سورة المعارج مثل هذه الأشياء. وكل هذه الأمور تدل على الموقف والهول وشدة النكارة، فقال: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ فجاء بالصيغة التي تدل على الكثرة والمبالغة وقدّمها.

بينما أقصى ما قال في سورة المعارج ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج:٤٣] وهذه يشاهدونها، وهم يسرعون إلى أصنامهم وهي حالة مألوفة، لكن لمّا قال: ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾[القمر:٦] هذا غير مألوف، شديد النكارة، وهوغير معروف.

د ـ في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾[القمر: ٧ – ٨] وصفهم كالجراد في الكثرة والحركة.

٤ـ أيها الأنسب لمن يعرف اللغة؟ أين يضع (خشعاً) و(خاشعة)؟ لا شك أنه يضعها في مكانها. وهذه موازين كالمعادلة الرياضية، قدّم خشعاً وخاشعة على الإبصار، وأمّا في آية ﴿ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾[النازعات:٩] فهذه إخبار، مبتدأ وخبر.

السؤال الثاني :

وردت كلمة (أجداث) في القرآن ثلاث مرات، والقبور ثماني مرات فهل هناك فرق بين الجدث والقبر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يس ٥١.

السؤال الثالث :

هناك كلمات أخرى مرادفة للقبر مثل: [لحد ـ ريم ـ رمس] لكنها لم ترد في القرآن الكريم. فما اللحد؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يس ٥١.

السؤال الرابع :

كيف وصفت هيئة عرضهم في آية الكهف ٤٨ ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴿٤٨﴾﴾ على صف منتظم، وفي آية القمر ٧ ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ بأنهم منتشرون بغير نظام ولا صفوف كالجراد؟

الجواب :

آية الكهف عند السؤال، وآية القمر عند خروجهم من القبور وحشرهم إلى القيامة.

❁❁❁❁

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استحدام صيغة ﴿عَسِرٌ﴾ في آية (٨) سورة القمر؟ وما الفرق بين (عَسِر) و(عسير)؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في سورة القمر: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾[القمر:٨].

لفظة ﴿عَسِرٌ﴾ من أوزان الصفة المشبّهة [فعِل وفعيل] فتأتي هاتان الصفتان للمبالغة، أو صفة مشبّهة، يُقال: فرِح وطويل. و(عَسِر) غير (عسير).

٢ـ (عسِر) تستعمل للأشياء الداخلية، بينما (أعسر) تستعمل للصفات الظاهرة والجسمية.

ومثال ذلك:

(شريف وأشرف): شريف صفة عامة، وأشرف تعني: المرتفِع الكتفين.

(رئيس وأرأس) رئيس صفة عامة، وأرأس بمعنى: رأسه كبير.

صيغة (أفعل) مثل أحمر تستعمل للنعوت والحُلي الظاهرة.

(مليح وأملح) مليح بمعنى جميل، وأملح بمعنى أبيض اللون.

(نشِط ونشيط) نشِط (مندفع وهي حالة اندفاعية) أمّا نشيط فهي صفة عامة.

٣ـ وكذلك الأمر في (عسِر و عسير) فيقال: (عسِر) عليه الأمرُ فهو عسِرٍ فالأمر خاص به. وقد يكون عسِراً عليه، لكنه ليس كذلك على غيره كما يعسر أمر ما على طفل، ولا يعسر على من هو أكبر منه.

أمّا (عسير) فتقال عندما يكون الأمر عسيراً في ذاته، ويدل على الثبوت خِلقة أو اكتساباً.

بينما (عسِر) فهو نسبي، وهو وصف الكافرين الذين يقولون ﴿هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ۝٨﴾ [القمر:٨] لأنه نسبي لهم، لكنّ الله تعالى ييسره على من يشاء. وهو لا شك يوم عسير، كما وصفه تعالى في سورة المدّثر ﴿ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠﴾ [المدَّثر:٩-١٠] فهو على الكافرين عسير، لكنْ قد لا يكون كذلك على غيرهم. ولو لم يحدد الله تعالى أنه عسير على الكافرين لكان عسيراً على الكل.

فكلمة [عسِر وعسير] اشتقاقهما من مادة واحدة (ع س ر)، لكنّ المعنى اختلف باختلاف الصيغة. [عسِر وعسير وأعسر] كلها صفات مشبهة لكنْ لكل منها معنى مختلف عن الأخرى.

❁❁❁❁

﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ﴾ تم إلحاق ضمير المؤنث بالفعل قبل ذكر الفاعل وهو (قومُ نوح)، وهذا جائز بالاتفاق وحسن، بينما إلحاق ضمير الجمع بالفعل هو قبيح عند الأكثرين، فلا يجوزون: كذبوا قوم نوح، بل يجوزون (كذبت).

والعرب تؤنث مع الكثرة، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ .

٢ـ قوله تعالى: ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ أي كذبوا بآياتنا.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ أي كذبوا نوحاً عليه السلام بالرسالة.

٤ـ قوله تعالى: ﴿عَبْدَنَا﴾ فيه تشريف وإكرام لنوح عليه السلام؛ لأنّ مقام العبودية لله مقام تشريف.

كما أنّ قوله: ﴿عَبْدَنَا﴾ أدل على صدقه عليه السلام؛ لأنّ العبد مأمور بإبلاغ ما يوحى إليه، ولا يستطيع التغيير والتبديل من نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦)﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٥-٤٦].

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ إشارة إلى أنه أتى بالآيات الدالة على صدقه حيث رأوا ما عجزوا عنه، فقالوا: هو مصاب بالجنون، فبيّن الحق سبحانه مبالغتهم في التكذيب.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَازْدُجِرَ (٩)﴾ هو إخبار من الله أو حكاية قولهم، والمعنى: أوذي وزجر، وهو كقوله تعالى: ﴿كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ [الأنعام: ٣٤].

فقال: (وازدجر). أي فعلوا ما يوجب الانزجار من دعائهم. ولو قال: (زجروه) ما كان يفيد أنه تأذى منهم؛ لأنّ الفعل (أوذي) لازم، ولا يقال إلا عند حصول الفعل لا قبله.

والمقصود من الآية تقوية قلب النبي ﷺ بذكر من تقدمه.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠)﴾

السؤال الأول:

ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ لمّا بيّن الحق في الآية السابقة أنهم زجروا سيدنا نوحاً عليه السلام دعا ربه أني مغلوب.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَنِّي﴾ بالفتح على معنى بأني، وقرىء بالكسر (إني) على أنه دعاء، فكأنه قال: إني مغلوب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿مَغْلُوبٌ﴾ أي غلبني الكفار فانتصرْ لي منهم لا من نفسي.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَانْتَصِرْ﴾ وجاء بصيغة الإطلاق ولم يقيد كما أطلق في ﴿مَغْلُوبٌ﴾ لتشمل كل الأمور، نحو :

ـ انتصر لي أو لنفسك فإنهم كفروا بك.

ـ أو لدينك، فإني عجزت عن الانتصار لدينك.

ـ أوانتصر للحق، ولا يكون فيه ذكره ولا ذكر ربه، وهذا يقوله عادة قوي النفس من يوقن بكون الحق معه.

والله أعلم.

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة هود: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود:٤٤]، وقال في سورة القمر: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر:١١-١٢] لِمَ قدّم هنا السماء على الأرض؟

الجواب:

١ـ في سورة القمر قال: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ [القمر:١١] فبدأ بالسماء، لأنّ نوحاً عليه السلام في البداية دعا ربه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر:١٠] والداعي تفتح له أبواب السماء، فدعا ربه ففتح أبواب السماء بماء منهمر.

وهذه الإجابة كانت فعلية، والدعوة تفتح لها أبواب السماء، دعا ربه ففتحنا أبواب السماء، وهذه هي الإجابة، وجاء بـ (الفاء) في [فدعا ـ ففتحنا]؛ لتدل على السرعة في الإجابة، ولم يقل: (فتح أبواب السماء لدعوته فاستجبنا له)، وإنما قال: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ [القمر:١١].

٢ـ في سورة هود ليس هناك أصلاً دعاء!! ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود:٤٠].

السؤال الثاني :

ما أهم اللمسات البيانية في هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ [القمر:١١] أي كأنّ الماء جاء وفتح الباب، دلالة على أنّ الماء جرى كأفواه القُرب.

٢ـ قال مع السماء: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [القمر:١١] ولم يقل: (وشققنا السماء)؛ لأنّ السماء ما لها من فطور، وقال في الأرض: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر:١٢] لأنّ الأرض ذات الصدع.

٣ـ وقال: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر:١٢] فكأنّ الله فجّر الأرض كلها عيوناً لتقابل كثرة العيون سعة أبواب السماء، فيحصل بالكثرة ههنا ما حصل بالسعة ههنا.

٤ـ قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر:١٢] أي أمر الإهلاك، ولم يصرح بينما عند الرحمة ذكر الإنجاء صريحاً بقوله: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ وأسند الأمر إليه سبحانه تكرماً منه.

ونحو ذلك ذكر القرآن في موضع آخر العنكبوت ١٤ ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ ولم يقل: فأُهلكوا. وقال في آية العنكبوت ١٥: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ فصرح بالإنجاء ولم يصرح بالإهلاك؛ لأنّ الله تعالى لا ينسب عمل الشر إليه، بل ينسب عمل الخير إليه.

٥ـ قوله تعالى : ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ (الدسر) جمع دسار مثل كتب وكتاب، وأصل (دَسَرَ) بمعنى أدخل بقوة أو شدّ بقوة، بمعنى ربط بين لوحين بقوة بالمسمار أو الحبل أو الليف.

وبالتالي (ذات ألواح ودسر) أي سفينة أو فلك، لكنه لم يذكرها وذكر الصفة وحذف الموصوف.

والسبب أنّ جو الآيات والسياق جو رعب وخوف: ماء يغمر كل شيء وريح تعصف وموج كالجبال، وبالتالي تكون الصورة أنه محمول (على) وليس (في) ألواح مشدودة ضمن موج كالجبال، فيتذكر قدرة الله كيف حمل نوحاً ومن معه على الألواح والدُسُر، ولم يقل (سفينة) حتى لا تعطي نوعاً من الأمن والطمأنينة.

فهذه هي الصورة التي رسمها القرآن، وعندما يسمعها الإنسان ينتقل فوراً للتشبث برحمة الله تعالى التي أنقذت نوحاً ومن معه وهو في هذه الحال.

٦ـ قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ وهذا أبلغ من (حفظنا) والمراد هو حفظ الله للسفينة خلالَ جرّيها؛ ولهذا يُقال: الرؤية لسان العين، وهي جزاء لسيدنا نوح عليه السلام لصبره على قومه ودعوته: ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر:١٠].

٧ـ قوله تعالى: ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر:١٤] الذي كُفر هو سيدنا نوح عليه السلام؛ أي كُفرت دعوته.

وقوله تعالى: ﴿جَزَآءً﴾ أي مجازاة. أي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام فإنه كان نعمة أنعمها الله على قومه فكفروها. وكذا كل نبي نعمة من الله تعالى على أمته.

٨ـ قوله تعالى: ﴿كُفِرَ﴾ فيه عدة وجوه :

أـ أنْ يكون (كَفَر) بالفتح مثل شَكَر، قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

ب ـ أنْ يكون من الكُفر لا من الكفران؛ أي جزاء لمن أُنكر شأنه.

ج ـ أو بتقدير: كُفِرَ به، وهو نوح عليه السلام، وتُرك لظهور المراد.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

لماذا جاء وصف السفينة في سورة القمر على هذا النحو ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾[القمر:١٣] ولم يستعمل الفلك أو السفينة؟

الجواب :

١ـ العربي يميل بطبعه إلى رتابة النهايات في الجُمل؛ لذلك جاء عنده السجع، والسجع يراه العربي كلاماً عالياً عندما يكون الكلام مسجوعا في النثر، والسجع هو أن تنهي الجمل بحرف واحد، مثلما قال: (من مات فات وكل ما هو آتٍ آت).

وفي الشعر هناك القافية، أوحرف الرويّ الذي هو فيها ملازم لحرف واحد يأتي. وهذه طبيعة قبائل العرب ويميلون إلى ذلك، ويأنسون به، ويرون فيه نوعاً – على قولهم– من الموسيقى يأنسون لها.

٢ـ وعندما نأتي إلى القرآن الكريم نجد نهايات الآيات أو ما يسمى برؤوس الآي تلزم في كثير من الأحيان حرفاً واحداً، وعلماؤنا تحرّجوا أنْ يسموه سجعاً أو أنْ يسموا ذلك قافية ابتعاداً بالقرآن عن لفظ السجع والقافية لأنه من كلام البشر، فأطلقوا عليه كلمة الفاصلة القرآنية، وفواصل القرآن جاءت على ما يأنس به العربي. لكنْ هل كانت الفاصلة مرادة لذاتها من غير علاقة بالمعنى؟ الجواب قطعاً لا؛ ولذلك إذا كان المعنى يقتضي التضحية بالفاصلة فالآية تضحّي بالفاصلة، كما في آية الأحزاب ٤.

وفي سورة الضحى لم يضح بالفاصلة وإنما أراد الفاصلة لكنه مرتبط بالمعنى، فلما قال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾[الضُّحى:٣] فما قال: ما قلاك، بل حصل على الفاصلة لكنْ في الوقت نفسه نزّه ضمير الرسول عليه السلام من أنْ يرتبط بالقلى الذي هو البغض.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾[القمر:١٣]: الدُسُر جمع دسار مثل كتب وكتاب والدسر أو الدسار، يستعملها العربي لمعنى المسمار ؛لأنّ (دسر) هي في الأصل بمعنى: أدخل بقوة أو شدّ بقوة.

فقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾[القمر:١٣] يعني الفلك لكن لم يذكرها، وإنما ذكر الصفة فحذف الموصوف وذكر الصفة.

ومثال ذلك بيت للمتنبي الذي كان فارساً شاعراً وقتله بيتٌ من الشعر قال:

مفـــرشي صـــهوة الحصـــان ولكـــ ـــن قميصـــي مـــسرودةٌ مـــن حديـــد

مفرشي صهوة الحصان (المكان الذي يوضع عيله السرج) أي أنا هناك حتى من غير سرج، ولكنْ قميصي (القميص مذكّر) مسرودة بالحديد (مؤنث). كيف يقول المتنبي

قميصي مسرودة؟ قال: هو ما أراد القميص وإنما أراد أنْ يقول: قميصي درعٌ مسرودة من حديد، فحذف الموصوف وأبقى الصفة ،على غرار الآية: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾.

٤ـ لِمَ لم يقل هنا: فلك، مع أنه استعمل الفلك ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾؟

السبب أنّ جو الآيات والسياق جو رعب وخوف: ماء يغمر كل شيء وريح تعصف، وموج كالجبال، وبالتالي تكون الصورة أنه محمول (على) وليس (في) ألواح مشدودة ضمن موج كالجبال، فيتذكر قدرة الله كيف حمل نوحاً ومن معه على الألواح والدُسُر، ولم يقل (سفينة) حتى لا تعطي نوعاً من الأمن والطمأنينة.

وقال: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ﴾[القمر:١٣] ما قال: (في)، فعندما يتخيل الإنسان هذا المشهد، هو فوق ألواح ودسر، وهذا الماء بهذا الشكل يزداد رعباً، ويتذكر أنّ قدرة الله سبحانه وتعالى حملت نوحاً ومن معه على هذه الألواح والدُسُر.

هذا المعنى يفوت لو قيل في غير القرآن: (وحملناه على فلك أو في فلك أو في سفينة أو على السفينة).

فهذه الصورة التي رسمها القرآن، وعندما يسمعها الإنسان ينتقل فوراً للتشبث برحمة الله تعالى التي أنقذت نوحاً ومن معه، وهو في هذه الحال.

السؤال الرابع:

في قصة نوح عليه السلام في الآية ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر:١٤] هل ﴿كُفِرَ﴾ وافقت السياق ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ [القمر: ١٢ - ١٣] أم لها معنى؟ ولماذا لم تأت (كَفَر)؟

الجواب:

الذي (كُفِر) تعود على سيدنا نوح عليه السلام، أي هي تجري جزاء لسيدنا نوح الذي دعا ربه أني مغلوب فانتصِر، فحمله ربُ العزة على ذات ألواح ودسر، وهي سفينة، وهي تجري برعايته سبحانه جزاء لمن كان كُفِر. فلا يصح أنْ تكون (جزاء لمن كان كَفَر) أي ثواباً لصبره على قومه. ونوح عليه السلام دعا ربه أني مغلوب فانتصِر، فربنا سبحانه وتعالى استجاب له وحمله.

السؤال الخامس:

قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ كيف استعمل القرآن الكريم كلمتي [أعين وعيون]؟

الجواب:

١ـ حيثما وردت ﴿أَعْيُنٌ﴾ في القرآن أُريد بها الأعين الباصرة، ولم يرد بها القلة، وقد جاء هذا الجمع في (٢٢) موضعاً، منها :

أـ بمعنى الرعاية في أربعة مواطن: [هود ٣٧ـ المؤمنون ٢٧ـ الطور ٤٨ـ القمر ١٤].

ب ـ بمعنى الباصرة في (١٨) موضعاً، منها [الأعراف ١٧٩ـ الكهف ١٠١].

٢ـ ووردت كلمة ﴿وَعُيُونٍ﴾ في القرآن الكريم في (١٠) مواضع كلها بمعنى عيون الماء، كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥﴾ [الحجر:٤٥] وقوله: ﴿فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات:٤١].

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية: ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١﴾ ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية محمد ١٥.

❁❁❁❁

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر:١٧] فما اللمسة البيانية في كلمة (مدّكر)؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة ﴿مُّدَّكِرٍ﴾ في سورة القمر ست مرات في الآيات: [(١٥)-(١٧)-(٢٢)ـ(٣٢)-(٤٠)-(٥١)].

وهذا سؤال صرفي يُدرس في الصرف، ويسمى: الإبدال.

٢ـ عندما نصوغ على صيغة (افتعل) وتقلباتها [مفتَعل ومفتعِل] المشهور أنّ (افتعل) تأتي بالتاء، مثل: اختبر واجتهد واشتهر، لكنْ مع بعض الحروف لا تأتي التاء، فتُبدل دالاً (مع الدال والذال).

أ ـ مثلاً (اذتكر) هي صيغة (افتعل) من (ذَكَر)، والمفروض أنْ نقول: (مذتكر)، هذا هو القياس.

ب ـ وكذلك (ادّعى) المفروض أنْ نقول: (ادتعى) على وزن (افتعل). لكنّ العرب تستثقل هذا، فتقلب الذال والدال دالاً، فمع الذال تتحول إلى دال فتصير (مذدكر) ثم الذال تتحول إلى الدال وتدغم فتصبح (مدّكر) على وزن (مفتعل). فيقولون ﴿مُّدَّكِرٍ﴾ كما في الآية: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [يوسف:٤٥] (ادّكر) بمعنى ذكر.

ج ـ وتبدل التاء مع الصاد والضاد مثل: ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ والقياس (اصتبر) بالتاء، فيبدلون التاء طاء، وكذلك (اطّلع)، والقياس (اضتلع). وليس هناك في المعجم (دكر) وإنما ذكر، وهذه قاعدة صرفية.

❁❁❁❁

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

تكرر قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ في أربع مواضع في سورة القمر في الآيات [١٦ـ ١٨ـ ٢١ـ ٣٠] فما المقصود منه؟

الجواب:

١ ـ هذا التعبير جاء به القرآن مرة بعد ذكر العذاب كما في قصة نوح عليه السلام، و مرة جاء به قبل ذكر العذاب، كما في قصة ثمود، وأخرى أتى به مرتين قبل ذكر العذاب وبعد ذكر العذاب، كما في قصة عاد، فما السبب في ذلك؟

والجواب: أنّ هذا التعبير ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أتى في حالتين هما :

أـ أنْ يذكر القوم ومخالفتهم رسولهم فيقول: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي فكيف عاقبناهم، ويكون السؤال بقصد بيان العذاب.

ب ـ أنْ يذكر القوم ويذكر مخالفتهم رسولهم ثم يذكر عقابهم فيقول: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي أليس هذا ما تستحقونه؟ ويكون القصد من ذلك هو التعجيب والتهويل من عقوبة الله لهم وسوء عاقبتهم.

٢ـ وأمّا الجواب عن سبب مجيئه مرة واحدة في قوم نوح، و مرة واحدة في قوم ثمود، ومريتن في (عاد)، فذلك – والله أعلم –:

أ ـ أنّ تكذيب (عاد) أعم من تكذيب (نوح وثمود)، فقد قال في نوح: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ [القمر:٩] فذكر أنهم كذبوا عبد الله أي رسوله وهو نوح عليه السلام.

ب ـ وقال في ثمود ٢٣ـ٢٤: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾ فذكر أنهم كذبوا بالنذر.

ج ـ وأمّا عاد فلم يذكر بماذا كذبوا ولا من كذبوا، وإنما قال: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ فكان تكذيبهم أعم، وذكر التعبير مرتين قبل العذاب وبعده ليجمع حالتي البيان والتهويل، فعمّ ذلك الحالتين، وهذا أعم من أنْ يذكر حالة واحدة، فناسب العموم للعموم. والله أعلم.

٣ـ المعنى العام للآية هو تنبيه الخلق على عاقبة التكذيب وعظم العاقبة. وحذفت الياء من ﴿وَنُذُرِ﴾ كما حذف ياء ﴿يَسۡرِ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤﴾ [الفجر:٤] وكذلك عند الوقف، ومثله في القرآن كثير، نحو: ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ـ ﴿يُنقِذُونِ﴾ـ ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ـ ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾.

والنذر جمع نذير، أي: كيف كان عاقبة عذابي وعاقبة إنذاري؟ !!

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾

السؤال الأول :

ذكّر في آية القمر ٢٠ فقال: ﴿نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾ وأنثها في الحاقة٧ فقال: ﴿نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ فما سبب ذلك؟ وهل يصح وضع إحداهما في مكان الأخرى؟

الجواب :

المعاني اللغويـــة :

لقد ذكر علماء العربية والمفسرون أنّ (النخل) اسم جنس يذكّرنظراً للفظ ويؤنث نظراً للمعنى، وإنما وضع كل صفة بمكانها مراعاة للفاصلة والصحيح أنّ ذلك مراعاة للمعنى وليس للفاصلة وحدها، وإنْ كانت الفاصلة تقتضي أن تكون كل لفظة بمكانها.

إنّ العرب قد تؤنث للكثرة وتذكر للقلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف:٣٠] و ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحُجُرات:١٤] وقد تؤنث للمبالغة، نحو: [راوية وداهية].

أي أنّ القاعدة العامة هي أنّ التأنيث يفيد التكثير والمبالغة.

البيـــــــان :

(النخل) في آية الحاقة أكثر منه في آية القمر، يدل على ذلك السياق :

١ـ قال في القمر: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾[القمر:١٩].

وقال في الحاقة: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾[الحاقة:٦] فزاد في وصف الريح في الحاقة، فهي أشد مما في القمر، وإذا كانت كذلك كان تدميرها أكبر وأبلغ واقتلاعها أكثر.

٢ـ قال في القمر: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾[القمر:١٩].

وقال في الحاقة: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾[الحاقة:٧] فزاد في الحاقة في بيان وقت التدمير والعذاب، ولا شك أنّ طول المدة يقتضي تدميراً أكثر وأبلغ، فالريح

تقتلع وتدمر في سبع ليال وثمانية أيام أكثر مما تفعله في يوم، فزاد في النخل المقتلع في الحاقة.

٣ـ لمّا زادت الريح شدةً وزمناً في الحاقة، ذكر أنها استأصلتهم كلهم فلم تبق منهم أحداً، فقال: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة:٨] ولم يقل مثل ذلك في القمر.

٤ـ إنّ النخل المنقعر معناه المنخلع عن مغارسه الساقط على الأرض... وأمّا النخل الخاوية فهي الخربة التي خَلَت أعجازها بِلىً وفساداً فانقلعت عن منابتها... فالنخل الخاوية تشمل النخل المنقعر وزيادة. فكل نخل منقعر هو خاوٍ، وليس كل خاوٍ منقعراً.

فأنّث الخاوية؛ لأنه أكثر من المنقعر، وأنّ دماره أبلغ، وجعلها في سياق الدمار الشامل.

ومن هذا يتبين أن :

أ ـ الخاوي أكثر من المنقعر.

ب ـ أنّث الخاوي فقال: ﴿خَاوِيَةٍ﴾ فزاد كثرة ومبالغة؛ لأنّ التأنيث قد يأتي للكثرة والمبالغة.

ج ـ وضع النخل الكثير المدمر مع الريح المتصفة بزيادة التدمير، وهي صفة العتو ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ [الحاقة:٦].

د ـ ووضعه أيضاً مع زيادة وقت التدمير وهو سبع ليال وثمانية أيام بخلاف ما دمر في يوم.

هـ ـ ووضعه مع استئصال القوم فلم ينج منهم أحد.

لذلك ترى أنه لو لم تكن الفاصلة تقتضي ما وضع لاقتضاه المعنى، فزاد حسناً على حسنٍ، فلا يصح وضع إحداهما مكان الأخرى، والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين كلمة ريح ورياح في القرآن الكريم؟

الجواب :

كلمة (ريح) في القرآن الكريم تستعمل للشّر، كما في قوله تعالى في سورة القمر: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾[القمر:١٩].

أمّا كلمة (الرياح) فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات، كما في قوله تعالى في سورة النمل: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾[النمل:٦٣].

وفي سورة سبأ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾[سبأ:١٢] واستعملت كلمة (ريح)مع سليمان، لكنها لم تُخصص لشيء، فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر؛ لأنّ الله سخّرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء.

السؤال الثالث:

قال في فصلت ١٦: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ وفي القمر ١٩ ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ وفي الحاقة٧ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾، فما السبب؟

الجواب :

إنّ (اليوم) قد يُعبر به عن (الأيام) كقولهم: يوم الحرة ويوم بعاث.

وقد يُراد به اليوم الذي بدأ به الريح.

❁❁❁❁

﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴾ (٢٤)

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة (بشر) للدلالة على المفرد فى الآية ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ [القمر:٢٤]؟

الجواب :

١ـ في سورة الحجرقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ (٦٨)﴾ [الحِجر:٦٨] كلمة (ضيف) جاءت بالمفرد مع أنّ الملائكة جمع، فلماذا؟

وكلمة (ضيف) تقال للمفرد وللجمع في اللغة، مثلها كلمة (خصم) تقال للمفرد وللجمع ﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ (٢١)﴾ [ص:٢١] وهذه ليست مختصة بالإفراد. وكذلك كلمة (طفل) تأتي للمفرد وللجمع.

٢ـ وكذلك كلمة (بشر)، كما في الآية ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ [القمر:٢٤] جاءت للمفرد، بينما في الآية ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾ [المائدة:١٨] جاءت للجمع.

٣ـ عندنا كلمات تكون للمفرد وللجمع، منها كلمة (ضيف) فتكون للمفرد وللجمع (ضيوف وأضياف) وعندنا (خصم وخصوم) و(طفل وأطفال) و(رسول ورسل) تستعمل مفرداً وجمعاً، وهذا يسمى في اللغة: (اشتراك).

٤ـ وكلمة (الرسول): تأتي بمعنى الرسالة والإرسال، كما في الآيات: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾[الشعراء:١٦] ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾[طه:٤٧].

❁❁❁❁

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة اللاشيء؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الرعد ١٧.

❁❁❁❁

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾

السؤال الأول:

في آية سورة ق ١٣ قوله تعالى: ﴿وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ﴾ ولم يقل مثل ذلك مع الأنبياء الآخرين، مع أنه ورد ﴿قَوۡمُ لُوطٖ﴾ في سبعة مواضع أخرى من القرآن في آيات [هود ٧٠ـ ٧٤ـ ٨٩ـ الحج ٤٣ـ الشعراء ١٦٠ـ ص١٣ـ القمر ٣٣]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية ق ١٣.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ ؟

الجواب :

١ـ الحاصب هو اسم للحجارة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ أي عذاباً حاصباً، إذ المقصود بيان جنس العذاب لا بيان من على يده العذاب أي هو ما حُصبوا به من السماء.

والعذاب مع قوم نوح كان بالطوفان والإغراق، ومع قوم عاد بالريح ومع قوم ثمود بالصيحة، ومع قوم لوط بالحاصب، حيث طمس أعين القوم إلا قليلاً منهم، وهم الذين دخلوا دار لوط عليه السلام يراودونه عن ضيفه ثم صبّحهم العذاب العام بقلب الأرض فيهم (المؤتفكات).

٢ـ ورد في السورة قصص أربع أقوام مع أنبيائهم، وهم [قوم نوح ـ قوم عاد ـ قوم ثمود ـ قوم لوط] وقد تكرر بعد ذكرعذاب الأقوام الثلاثة [قوم نوح وقوم عاد وقوم ثمود] قوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٠﴾ [القمر:٣٠] أربع مرات في الحكايات الثلاث الأولى، لكنْ لم يذكرها مع عذاب قوم لوط في الحكاية الرابعة، كما في الآيات [٣٦ـ٣٩] بل قال في حكايتهم: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٩﴾ [القمر:٣٩] مرتين، فلماذا؟

والجواب:

أـ عادة التكرار يكون ثلاثاً بقصد التأكيد، كما في قول النبي ﷺ « **ألا هل بلغت**» **ثلاثاً**، وقال ﷺ في حديث آخر «**فنكاحها باطل باطل باطل**».

ب ـ تم ذِكْرُ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾[القمر:٣٠] في ثلاث حكايات أربع مرات، واحدة مع قوم نوح للتعظيم، ومرتين في حكاية قوم ثمود للتعظيم والبيان في الآيتين[١٨ـ٢١] ورابعة في حكاية قوم عاد للتهويل. فالمرة الأولى للإنذار والمرات الثلاث للإنكار. كما هو الحال في سورة الرحمن حيث ذكر الله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(٣١) مرة كانت المرة الأولى للبيان، والباقي للإنكار.

ج ـ في حكاية قوم لوط قال تعالى: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ أي أعماهم وأذهب الله صورة أعينهم وضوءها، فصارت كالصفحة الملساء، وهذا عذاب لهم. والقول: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ هوعلى ألسنة الملائكة عليهم السلام، وأُسند إليه تعالى مجازاً؛ لأنه سبحانه الآمر.

ثم كان العذاب العام المذكور في الآيتين[٣٨ و ٣٩] ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾ فكان العذاب مرتين: الأول خاص للمراودين والآخر عام.

ولذلك قال تعالى: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾[القمر:٣٧] مرة أخرى بعد قوله: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾[القمر:٣٧] والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ﴿نِعۡمَةٗ مِّنَّا﴾ كما في آية الزمر ٤٩ و﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ كما في آية القمر ٣٥؟

الجواب:

١ـ في القرآن يستعمل ﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ أخصّ من ﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾.

٢ـ ولا يستعمل ﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ إلا مع المؤمنين فقط.

٣ـ أمّا ﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ فعامة يستعملها مع المؤمن والكافر.

* شواهد قرآنية:

ـ﴿وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ٤٣ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٤٤﴾ [يس:٤٣-٤٤] هذه عامة.

ـ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾ [الكهف:٦٥] ﴿مِّنۡ عِندِنَا﴾ يستعمل (عندنا) خاصة و (منا) عامة.

٤ـ وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿نِعۡمَةٗ مِّنَّا﴾ و ﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾، فيستعمل ﴿مِّنَّا﴾ عامة و ﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ خاصة، كما في الآيات: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ﴾ [الزُّمَر:٤٩] ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥﴾ [القمر:٣٤-٣٥].

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ﴾ (٤٤)

السؤال الأول :

لِمَ حمل على المعنى في يس٣٢ فأخبر عن ﴿كُلّٞ﴾ بجميع ومعناهما واحد ﴿وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴾ (٣٢) [يس:٣٢] وحمل على اللفظ في القمر٤٤؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يس ٣٢.

❁❁❁❁

﴿ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾ (٤٨)

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الجر والجذب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٥٠.

❁❁❁❁

﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ (٥١)

السؤال الأول :

ما الفرق بين أتباع وأشياع؟

الجواب :

١ـ الأشياع هم أتباع الرجل على جماعة واحدة، والأتباع هم أنصار الرجل، لكن ما الفرق؟

٢ـ الأشياع أنصار أيضاً، لكنّ الأشياع أعمّ. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾﴾[القمر:٥١] المخاطَب هو في زمن الرسول عليه السلام وأشياعهم الأمم السابقة، ونحن أشياع سيدنا محمد عليه السلام، بينما أتباعه الذين معه وقتها.

٣ـ القرآن الكريم لم يستعمل (التبع) إلا من كان مع الرسول عليه السلام وقتها، وكل أتباع الرجل من كان معه ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [إبراهيم:٢١].

٤ـ الأشياع ليس بالضرورة، واستعملها الله تعالى للمتقدم والمتأخر وعندما تكلم القرآن عن سيدنا نوح عليه السلام قال: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الصافات:٧٥] ثم قال: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾[الصافات:٨٣] أين إبراهيم عليه السلام من نوح عليه السلام؟ من شيعته أي من شيعة نوح وصحيح أن الفروع مختلفة، لكنّ أصل الرسالة واحد. وسيدنا نوح عليه السلام كان أسبق بكثير من إبراهيم.

٥ـ الأشياع أعمّ من الأتباع، الأتباع من كانوا معه فقط، ولا يستعمل للمتأخر. (التبع) يكون معه و(الأشياع) عامة، وفي القرآن يستعمل الأشياع أعمّ من التبع.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة (نَهَر) بفتح الهاء وكلمة (مقتدر) في قوله تعالى في سورة القمر: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[القمر:٥٤-٥٥]؟

الجواب :

١ـ النَهَر: بالفتح لها عدة معانٍ، منها :

أ ـ هي من السعة في العيش والرزق وما تقتضيه السعادة.

ب ـ وهي من الضياء، ومقتطعة من كلمة (نهار)؛ لأنّ الجنّة ليس فيها ظلمة ولا ليل.

ج ـ ونهر بمعنى مجرى الماء ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ﴾[محمد:١٥] و ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [القمر:٥٤] بمعنى أنهار وسعة وضياء وهذا ما يسمى التوسع بالمعنى.

والمراد هنا أنّ المتقين في جنات وعند الأنهار، وحَسُن إطلاق اللفظ للمجاورة، كما قال الشاعر :

علفتها تبنــاً ومــاء بارداً

أي: علفتها تبناً وسقيتها ماء بارداً. وكما يقال: تقلدت سيفاً ورمحاً، فالرمح لا يتقلد، ولكن للمجاورة.

٢ـ وفي قوله تعالى في سورة محمد: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ

هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾﴾ [محمد:١٥] لم ترد كلمة (تجري للأنهار)؛ لأنّ الماء الآسن لا يكون إلا بركود الماء، فلم يتطلب السياق ذكر كلمة (تجري)، أمّا في قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ فلم يكن هناك من داع لتحديد (غير آسن)؛ لأنه جاء وصف الأنهار بالجريان، الأمر الذي لا يؤدي إلى أنْ يأسن الماء.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾؟ ولماذا لم يستعمل كلمة (مقام)؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ هذه هي الآية الوحيدة في القرآن الكريم كله التي وردت في وصف الجنة بهذا التعبير ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾.

ودلالة (مقعد صدق) أنّ المقاعد الأخرى كلها كاذبة، وهذا هو المقام الوحيد الصدق؛ لأنها إمّا أنْ تزول بزوال القعيد أو الملك، وهذا المقعد الوحيد الذي لا يزول. وقد يأتي الصدق في معنى الجودة، فيقال: نسيج صدق، بمعنى مقعد الخير ولا أفضل منه.

٢ـ إذن ما دلالة كلمة (مقعد)؟ ولماذا لم يستعمل كلمة (مقام)؟

أ ـ لأنّ الأكرم هو القعود، وهو يدل على الانتهاء من القيام والراحة.

ب ـ ولأنه قد ورد في كل القرآن الكريم كلمة (مقام) في ذكر مقام الربّ ومعها يذكر الخوف ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦] فكلمة (مقام) تعني معه الخوف،

فمن خاف المقام يؤمّن، وكما أنهم خافوا مقام ربهم في الدنيا أمنّهم في الآخرة ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾؟

الجواب :

١ـ استعمل القرآن كلمة (مليك) من المُلك، وهو الحكم، ولم يقل (مالك) من التملك، والمَلِكُ ليس مالكاً. والله تعالى جمع لنفسه المتملك والملك ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾.

٢ـ الفرق بين مليك ومَلِك: هذه هي الآية الوحيدة التي وردت فيها كلمة (مليك) في القرآن.

و(المَلِك) على صيغة فَعِل، وأما (مليك) فهي على صيغة فعيل. وصيغة (فَعِل) تختلف عن صيغة (فعيل) بالدلالة، فصيغة (فعِل) تدل على الأعراض وتدلّ على الأشياء الطارئة، مثال: رجل عَسِر، أمّا (فعيل) فتدل على الثبوت مثل جميل وصغير وقصير، وهي صفة مشبهة، أي صفات ثابتة أو تدل على التحول إلى الثبوت، فلا يُسمّى الخطيب خطيباً من أول خطبة بل بعد عدة خطب. وكما يقال: فَقِه المسألة. فهو فقِه. ويقال: فَقُه الرجل. أي صار فقيهاً، وكذلك نقول: (عَسَر) الأمر، فهو عَسِر، و(عَسُر) الأمرُ فهو عسير.

وبما أنّ المقعد في الآية ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ ورد في مقام الاستمرارية وجب قول مليك مقتدر ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾.

٣ـ واستخدام كلمة (مقتدر) تفيد المبالغة في القدرة، وتماشت مع سياق الآية؛ لأنها تشمل مبالغة في الوصف والجزاء والطاعة والأجر والسعة ولذا اقتضى المبالغة في القدرة.

فانظر كيف بالغ وأعظمَ في الأجر، وبالغَ وأعظمَ في المُلك، وبالغَ وأعظمَ في القدرة لمن بالغ وجدّ في عمله وصدق فيه وهم المتقون.

السؤال الرابع :

ما دلالة الظرف ﴿عِندَ﴾ في الآية ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾؟

الجواب :

[عند] ظرف زمان أو مكان لبيان مظروفها حساً أو معنى، وهي لا تفارق النصب على الظرفية إلا إلى الجر بـ (من) كقوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾[الكهف:٦٥].

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾[النمل:٤٠].

ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[النمل:٤٠].

ـ ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾[النجم:١٤-١٥].

ـ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[القمر:٥٥].

- ﴿قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾[التحريم:١١].

- ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[النحل:٩٦].

السؤال الخامس :

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[القمر:٥٤-٥٥] لم وحّد تعالى: (النهر) في هذه الآية ولم يجمعه، مع أنّ الجنات قبله (جمع) بخلاف المواضع الأخرى من القرآن الكريم، فإنه إذا جمع الجنة، جمع النهر أيضاً، فيقول: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[الحج:١٤]؟

الجواب :

١ـ السبب أنه جمع في لفظ (النَهَر) عدة معان وأعطى أكثر من فائدة لا يفيدها فيما لو قال: (أنهار)؛ ذلك أنه علاوة على أنّ فواصل الآيات تقتضي (النهر) لا (الأنهار)؛ لأنّ آيات السورة على هذا الوزن، فقد جاء قبلها: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر:٥٢-٥٣] وجاء بعدها: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٥] فإنّ المعنى أيضاً يقتضي ذلك، وذلك من جهات أخرى، منها:

٢ـ أنّ النهر اسم جنس بمعنى الأنهار، وهو بمعنى الجمع والكثرة، ومنه قوله عليه السلام: «**أهلك الناس الدينار والدرهم**» والمراد بالدينار والدرهم الجنس لا الواحد.

٣ـ وجاء في (معاني القرآن): "و(نَهَر) معناه أنهار، وهو في مذهبه كقوله: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾[القمر:٤٥] وزعم الكسائي أنه سمع العرب يقولون: أتينا فلاناً فكنا في لحمة ونبيذة فوحّد ومعناه الكثير".

٤ـ ومنها: أنّ من معاني (النَهَر) أيضاً السعة، والسعة ههنا عامة تشمل سعة المنازل وسعة الرزق والمعيشة، وكل ما يقتضي تمام السعادة السعة فيه.

جاء في (البحر المحيط): "ونَهَر: أي سعة في الأرزاق والمنازل". وجاء في (روح المعاني): "وعن ابن عباس تفسيره بالسعة والمراد بالسعة سعة المنازل على ما هو الظاهر، وقيل: سعة الرزق والمعيشة، وقيل: ما يعمهما".

٥ـ ومنها: أنّ من معاني (النَهَر) أيضاً الضياء.

جاء في (لسان العرب): "وأمّا قوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [القمر:٥٤] فقد يجوز أنْ يعني به السعة والضياء.

٦ـ وقيل في قوله: ﴿جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي: في ضياء وسعة؛ لأنّ الجنة ليس فيها ليل، إنما هو نور يتلألأ". وجاء في (معاني القرآن) للفراء: "ويقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [القمر:٥٤] في ضياء وسعة".

٧ـ وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فإنّ المتقين في جنات وأنهار كثيرة جارية، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السعة وفي ضياء ونور يتلألأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة.

٨ـ فانظر كيف جمعت هذه الكلمة هذه المعاني كلها، إضافة إلى ما تقتضيه موسيقى فواصل الآيات، بخلاف ما لو قال: (أنهار)، فإنها لا تعني إلا شيئاً واحداً.

ثم انظر كيف أنه لمّا كان المذكورون هم من خواص المؤمنين، وهم المتقون وليسوا عموم المؤمنين، أعلى أجرهم ودرجتهم، فقال: ﴿وَنَهَرٍ﴾ ولم يقل: (وأنهار)، ولمّا أعلى

أجرهم ودرجتهم وبالغ في إنعامهم وإكرامهم جاء بالصفة والموصوف بها يدل على المبالغة فقال: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ ولم يقل: (ملك قادر)، فإنّ (مليك) أبلغ من (مَلِك) و(مقتدر) أبلغ من (قادر) فإنّ كلمة (مليك) على صيغة (فعيل)، وهي أبلغ وأثبت من صيغة (فَعِل).

جاء في (روح المعاني): ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾، أي: ملك عظيم المُلك، وهو صيغة مبالغة، وليست الياء من الإشباع".

٩ـ ولمّا جاء بالصيغة الدالة على الثبوت قال: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ "ذلك لأن هذا المقعد ثابت لا يزول، فهو وحده مقعد الصدق، وكل المقاعد الأخرى كاذبة؛ لأنها تزول إمّا بزوال الملك لصاحبه، وإمّا بزوال القعيد، وإمّا بطرده، وهذا المقعد وحده الذي لا يزول، وقد يفيد أيضاً أنه المقعد الذي صدقوا في الخبر به".

١٠ـ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إنّ معنى الصدق ههنا يفيد معنى الخير أيضاً والجودة والصلاح، فجمعت كلمة (الصدق) ههنا معنيي الخير والصدق معاً، كما جمع (النَهَر) أكثر من معنى، ثم انظر كيف أنهم لمّا صدقوا في إيمانهم وعملهم، كان لهم مقعد الصدق.

١١ـ و(المقتدر) أبلغ أيضاً من (القادر)؛ ذلك أنّ (المقتدر) اسم فاعل من (اقتدر) وهذا أبلغ من (قدر)، فإن صيغة (افتعل) قد تفيد المبالغة والتصرف والاجتهاد والطلب في تحصيل الفعل بخلاف (فَعَل) ومنه اكتسب واصطبر واجتهد، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨٦].

١٢ـ جاء في (الكشاف) في هذه الآية: "فإنْ قلت: لم خصّ الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟

قلت: في الاكتساب اعتمال، فلمّا كان الشر مما تشتهيه النفس، وهي منجذبة إليه وأمّارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولمّا لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال".

وجاء في (البحر المحيط): "والذي يظهر لي أنّ الحسنات، هي مما تكتسب دون تكلف والسيئات ببناء المبالغة".

وقال سيبويه: "كسب: أصاب، واكتسب: تصرف واجتهد".

فجاء ههنا، أي: في قوله: ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ بالصيغة الدالة على القدرة البالغة مع الملك الواسع الثابت.

فانظر كيف بالغ وأعظم في الأجر، وبالغ وأعظم في الملك، وبالغ وأعظم في القدرة لمن بالغ وجد في عمله وصدق فيه وهم المتقون. والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة القمر مع خواتيمها :

قال في أولها:

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾[القمر:١].

ثم ذكر طرفا من أحداثها بقوله:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾[القمر:٦-٧-٨].

وذكر الساعة في خواتيمها وطرفاً من أحداثها مما هو بعد الخروج من الأجداث الذي ذكره في بداية السورة، وذلك ابتداء من قوله: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾[القمر:٤٦-٤٧-٤٨]. . .

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾[القمر:٥٠].

إلى أنْ يقول في خاتمة السورة :

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[القمر:٥٤-٥٥]. فكأنها تتمة لما ذكر من الأحداث في أول السورة.

والله أعلم.

سورة الرحمن

أولاً ـ تناسب خواتيم القمر مع فواتح الرحمن :

قال سبحانه في خاتمة سورة القمر :

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥) ﴾[القمر: ٥٤ - ٥٥].

وقال في بداية سورة الرحمن :

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ (٢) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ (٣) ﴾[الرحمن:١-٢-٣].

والمليك المقتدر هو الرحمن الذي علّم القرآن وخلق الإنسان. ويكونون في مقعد الصدق إذا أطاعوا ما في القرآن.

جاء في (روح المعاني): ((لمّا أبرز قوله سبحانه : ﴿ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥) ﴾[القمر:٥٥] بصورة التنكير فكأن سائلا يسأل ويقول:مَن المتصف بهاتين الصفتين الجليلتين؟ فقيل:الرحمن)).

والمليك المقتدر هو الرحمن الذي علّم القرآن فيكون مقعد صدق لمن أطاع ما في القرآن.

ثانياً ـ هدف السورة :

التعرف إلى الله تعالى من خلال النعم :

سورة الرحمن مكّية وهي تعرف بـ (عروس القرآن) كما ورد في الحديث الشريف: **(لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن)**. وقد ابتدأت بتعداد نعم الله تعالى على عباده التي لا تحصى ولا تعد، وفي طليعتها تعليم القرآن. ثم أسهبت الآيات في ذكر نعم الله تعالى وآلائه في الكون وفيما خلق فيه: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرحمن:٧]، و: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾ [الرحمن:١٠]، و: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢﴾ [الرحمن:١٢]، و ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ [الرحمن:١٩]. ثم عرضت السورة لحال المجرمين: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾[الرحمن:٤١] وحال المتقين السعداء: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمن:٤٦] وتكرر فيها ذكر ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧﴾ وردت (٣١) مرة في السورة. وقد ورد في الحديث عن ابن عمر أنّ رسول الله عليه السلام قرأ سورة الرحمن على أصحابه فسكتوا فقال: ما لي أسمع الجنّ أحسن جواباً لربها منكم؟ ما أتيت على قول الله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧﴾ إلا قالوا: لا بشيء من نعمك نكذب فلك الحمد.

فكيف نختار بعد أن تعرّفنا على كل هذه النعم من الله تبارك وتعالى؟

وهذ السورة هي أول سورة في القرآن موجهة إلى الجنّ والإنس معاً وفيها خطاب مباشر للجن: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٢ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝٣٣﴾[الرحمن:٣١-٣٢-٣٣].

وختمت السورة بتمجيد الله تعالى والثناء عليه؛ لأنّ النعم تستحق الثناء على المنعم، وهو أنسب ختام لسورة سميّت باسم من أسماء الله الحسنى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾﴾[الرحمن:٧٨] وهذا الختام يتناسب مع البداية في أروع صور البيان.

❁❁❁❁

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ الحق سبحانه خلق الكون من عدم وأوجدنا من عدم ووضع لنا المنهج الذي يحفظ القيم وينظم حركة الحياة قبل أنْ توجد الحياة.

لذلك فالمنهج المتمثل في القرآن وُضع أولاً ليحدد لك مهمتك وقانون صيانتك قبل أنْ توجد أيها الإنسان.

٢ـ الله خلقنا وخلق الجن لعبادته، أي لغرض يجب أنْ يكون مرسوماً عنده مسبقاً، فلمّا كان القرآن هو كتاب العبادة إلى قيام الساعة كان الأسبق فالغرض أسبق من الخلق.

٣ـ من ناحية أخرى، القرآن هو أصلاً قبل خلق الإنسان وكلام الله موجود قبل خلق الإنسان.

لذلك من حيث العلة القرآن أسبق من الإنسان، ومن حيث الوجود القرآن أسبق من الإنسان.

٤ـ لذلك في آيات سورة الرحمن ذكر العلة أولاً ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ ثم ذكر بعدها ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣﴾ ثم قال: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ بالإطلاق قبل خلق الإنسان أصلاً، فلم يقل: علم الإنسان البيان، وإنما ذكرها بالإطلاق قبل خلق الإنسان.

٥ـ ومن الآيات نفهم الترتيب الزمني:

أ ـ العلة: لأنّ الغرض أسبق من العمل.

ب ـ الغرض: هو العبادة، والقرآن كتاب العبادة وهو أسبق وجوداً فقدّم؛ لأنه هو أسبق على العلة والغرض والفضل.

ج ـ ثم خلق الإنسان.

السؤال الثاني :

ما دلالة تقديم تعليم القرآن على خلق الإنسان في آية سورة الرحمن مع أنه يتصور أنّ الخلق يكون أولاً ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن:١-٢-٣-٤] ؟

الجواب :

١ـ ربنا خلق الإنسان والجن للعبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦] وأي واحد يريد أنْ يصنع شيئاً يجب أنْ يكون الغرض مرسوماً عنده. فلمّا كان خلق الإنسان والجن لغرض العبادة، والقرآن هو كتاب العبادة التي سيستغرق

الإنس والجن إلى قيام الساعة، فهذا الكتاب هو للغرض من خلق الإنسان فهو الأسبق؛ لأنّ الغرض أسبق من الخلق.

فالإنسان خُلِق للعبادة وكتاب العبادة قبله.

٢ـ والأمر الآخر هو أنّ القرآن هو أصلاً قبل خلق الإنسان، والقرآن هوكلام الله ومن علم الله، وهو موجود قبل الإنسان. فإذن من حيث العِلّة هو أسبق من الإنسان ومن حيث الوجود هو أسبق من الإنسان.

٣ـ (الرحمن علّم القرآن) لم يقل: علّم الإنسان القرآن، بل قال: (علّمه البيان)؛ لأنّ البيان يتأخر عن الإنسان، أمّا القرآن فمتقدم.

وحتى لو كان التعليم متأخراً لكنّ القرآن متقدم.

٤ـ الغرض أسبق من العمل :

أ ـ فإذا كان الغرض العبادة، فالقرآن هو كتاب العبادة أسبق وجوداً وواقعاً، فقدّم.

ب ـ وإذا كان على الفضل فهو أسبق، وإذا كان على الزمن فهو أسبق.

ج ـ وإذا كان على العِلّة والغرض فهو أسبق.

القرآن ليس بالضرورة أنْ يراعي الترتيب الزمني، وإنما بحسب الضرورة أو حسب السياق، حسب الأسبق أو حسب الأفضل، وأحياناً يقدّم المتأخر.

السؤال الثالث :

ما دلالة الفعل ﴿عَلَّمَ﴾بتشديد اللام؟

الجواب :

هناك [علِم وعلّم]، الرحمن برحمته علّم القرآن وأراد أن يرحم خلقه فعلّمهم القرآن.

عندنا الفعلان (علّم) أو(أعلَم) والفرق بينهما أنّ (أعلم) في مرة واحدة أمّا (علّم) فيحتاج لوقت أطول. تقول: (علّمته الحساب) للتكثير والمبالغة ويقتضي وقتاً أطول وممارسة أكثر، أمّا (أعلم) فيكون في لحظة واحدة تقول مثلاً :أعلمته مسألة. ونحو ذلك الفعلان [نبّأ وأنبأ] فما يقتضي ممارسة أكثر وحدث أكثر يستعمل له التضعيف (فعّل).

السؤال الرابع :

السؤال عن سبب ترتيب الآيات والعلاقة بين علم القرآن وعلم البيان ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[الرحمن: ١ – ٤]؟

الجواب :

١ـ كأنّ الذي يخطر في الذهن أنْ يقول في غير القرآن: الرحمن خلق الإنسان علمه البيان علمه القرآن. أي يبدأ بخلق الإنسان وتعليم البيان ثم تعليم القرآن.

٢ـ الأمر ليس أمر ترتيب تاريخي، والقرآن لا يتحدث حديثاً تاريخياً وإنما هذه السورة تبدأ باسم الرحمن، وأسماء الله سبحانه وتعالى كلها تتضمن معنى الصفة. وعندما تقول: (الرحمن) تتخيل الرحمة، بينما عندما تذكر لفظ الجلالة وتقول:(الله) يخطر ببالك ما يخطر من صفات الله: الرحمن، الرحيم، الملك، السميع، البصير وغيره من الصفات.

وفي هذه السورة بدأ باسمه (الرحمن)، ومن رحمته أنه علّم القرآن لمحمد عليه السلام، وهذا من أعظم رحمات الله عز وجل أنه علّم القرآن لرسول الله عليه السلام حتى يبثه للناس.

٣ـ ثم انتقل إلى خلق الإنسان الذي سيُخاطب بالقرآن، وإلى الميزة التي أُعطيها وهي أنه كان مبيّناً، أي كان ذا لغة، فإذن من رحمة الله عز وجل الرحمن أنه علّم رسوله عليه السلام القرآن وخلق الإنسان وعلّمه البيان حتى يفهم القرآن.

٤ـ فالآيات مترابطة متشابكة، وهذا نظامها، وليس كما يتخيل الإنسان من أول نظرة.

فمن رحمة الله تعالى القرآن وتعليمه للرسول عليه السلام، ثم خَلْقُ الإنسان وتعليمه البيان ليُدرك القرآن الذي ذكره قبل ذلك.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾

السؤال الأول :

يقول تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام:٩٦] و ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن:٥] فما دلالة ذلك؟

الجواب :

في قوله تعالى : ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ أي وسيلة لحساب الزمن، والله قال: ﴿لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[يونس:٥] وهذا يدل على أنّ الشمس لها حسابٌ والقمر له حساب.

أمّا الآية الثانية ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾[الرحمن:٥] أي يجريان بحسابٍ دقيق مقرر معلوم من الحق سبحانه وتعالى.

السؤال الثاني :

ما معنى الآية ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾[الرحمن:٦] ؟

الجواب :

١ـ في النجم قولان :

أ ـ نجم السماء، والمراد به جميع النجوم. والأرجح أن هذا هو الصواب والله أعلم؛ لأنّ القرآن صرّح بسجود نجوم السماء والشجر، كما في آية الحج١٨ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ ۝١٨﴾ ولم يذكر في آية من كتابه سجود ما ليس له ساق بخصوصه.

ب ـ النجم هو النبات الذي قد نجم على الأرض ليس له ساق، والشجر ما كان له ساق.

٢ـ وفي سجودهما أقوال :

أ ـ سجود ظلهما.

ب ـ أنّ سجودهما هو دوران الظل معهما ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ﴾[النحل:٤٨].

ج ـ هوسجودٌ الله أعلم به، ففيهما من الصنعة والقدرة التي توجب السجود والخضوع.

❁❁❁❁

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تكرار لفظ (الميزان) في ختم الآيات الثلاث [٧ـ٨ـ٩]؟

الجواب :

في ذلك توكيد أكثر في إيفاء الحقوق، وعدم التطفيف لفرط الحاجة إليه في المعاملات الجارية بين الناس، إضافة إلى مراعاة الفاصلة القرآنية.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الإنس والإنسان والناس والأنام والبرية والبشر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المؤمنون ٣٣.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين [فاكهة وفواكه] في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المؤمنون ١٩.

السؤال الثالث :

استعمل القرآن أحيانا (النخل) وأحيانا (النخيل)، فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٦.

السؤال الرابع :

ما الحكمة في ذكر الفاكهة باسمها لا باسم أشجارها، وذكر النخل باسمها لا باسم ثمرها؟

الجواب :

شجرة النخل بالنسبة إلى ثمرتها عظيمة، وفيها من الفوائد الكثيرة من الانتفاع بجُمّارها وبالطلع والبسر والرطب، إضافة إلى أكمامها ويدخل فيه لحاؤها وليفها ونواها، فثمرتها في أوقات مختلفة كأنها ثمرات مختلفة فهي أتم نعمة بالنسبة إلى الغير من الأشجار، فذكر النخل باسمه وذكر الفاكهة دون أشجارها، فإنّ فوائد أشجارها في عين ثمارها.

والجُمّار: بضم الجيم وتشديد الميم هو شحم النخل و:جَمَرَ النخلة تجميراً أي قطع جُمّارها.

والطلع: هو طلع النخلة؛ أي منتوجها.

والبُسر: أول طلع النخلة ثم: (خَلال) بالفتح، ثم: (بَلَح) بفتحتين، ثم: (رُطب).

و(الأكمام) جمع (كِم) بكسر الكاف، وهو ما يظهر من النخلة في ابتداء إثمارها شبه اللسان، وقيل: هو ليفها. واختار ابن جرير شموله للأمرين.

السؤال الخامس :

في بداية سورة الرحمن قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾الآية تدل على خلق الإنسان ولم يقل :(الأنام) التي تدل على المخلوقات عامة، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

ذلك لأنّ الإنسان هو الذي أُنزل عليه الكتاب أو القرآن وبيّنه للثقلين. و(علّمه البيان) بمعنى: ليبيّن عن نفسه، والبيان هو القدرة على التعبير عمّا في النفس. أمّا كلمة (الأنام) فتدل على المخلوقات عامة، وليست كلها معدة لتعلم البيان. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تكرار الآية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة الرحمن؟

الجواب :

١ـ تكرار الآيات قد يكون للتوكيد والتذكير بالنعم، فكان مع كل مرة يذكر نعمة من النعم يذكّر الثقلين بها.

وربنا يريد أنْ يقرر النِعم على عباده على الثقلين الجن والإنس فيكرر هذا الشيء، وهذا أمر يجري في كلامنا العادي، وإذا أردنا أن نذكر أحدهم بالنعمة نقرره، كما نقول: لقد تعهدك فلان أتنكر ذاك؟ وأدخلك المدارس وأنفق عليك، أتنكر ذاك؟ وأدخلك الجامعة، أتنكر ذاك؟ فهذا من باب التذكير بالنعم، ربنا يذكرنا بالنعم ويقررنا ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

٢ـ نلحظ أنه في ذكر النار من قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن:٣١] تكررت الآية﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ سبع مرات على عدد أبواب جهنم، أمّا في ذكر الجنة ابتداء من الآية ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن:٦٢] تكررت الآية ثماني مرات على عدد أبواب الجنة.

٣ـ وللعلم فقد تكررت هذه الآية في السورة (٣١) مرة.

السؤال الثاني :

لمن يوجّه الله تعالى خطابه في قوله في هذه الآية ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾؟

الجواب :

١ـ يقول المفسرون إن المقصود بهما الثقلان؛ أي الإنس والجنّ. لكنّ السؤال: لماذا جاءت أول مرة؟ ولمن الخطاب هنا؟

يقول عامة المفسرين إنه ليس بالضرورة عندما تخاطب واحداً أو جماعة أنْ يسبقه كلام، فمن الممكن مخاطبة جماعة لأول مرة بدون سابق خطاب نحو: (أين أنتم ذاهبون؟) ومع ذلك فقد ورد قبلها ما يدل على المخاطبين فقد قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾ [الرحمن:١٠] والأنام من معانيها (الثقلان) أي الإنس والجنّ، وقسم من المفسرين يحصرونها بهذا المعنى ومن معانيها البشر، وقسم آخر يقول: إنها تعني كل المخلوقات على الأرض، لكنْ قطعاً من معانيها: (الثقلان) مما يشمل الإنس والجنّ.

٢ـ من ناحية أخرى بداية السورة فيها خطاب المكلفين ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾[الرحمن:٨-٩] والمكلفون هم الإنس والجنّ.

فإذا أخذنا معنى الأنام المقصور على الثقلين انتهى الأمر، وإذا أخذنا المعنى أنه المخلوقات جميعاً، فالآيات تفيد التخصيص.

لذلك قوله تعالى: ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ هو خطاب للثقلين مباشرة دون أنْ يسبقه كلام.

السؤال الثالث :

جاء الخطاب في الآية للثقلين (بالمثنّى)، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ ﴾بالجمع، لماذا؟

الجواب :

الخطاب للثقلين بالمثنى هو للفريقين عموماً، وهما فريقان اثنان (فريق الإنس وفريق الجنّ) على غرار قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ ﴾ [ص:٢٢] وقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحُجُرات:٩] وصيغة الجمع تدل على أنّ الخطاب هو لكل فرد من أفراد هذين الفريقين.

السؤال الرابع :

ما إعراب قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾؟

الجواب :

﴿ فَبِأَيِّ﴾ جار ومجرور، (أيّ) اسم مجرور، وهو مضاف و﴿ءَالَآءِ﴾ مضاف إليه، وهو مضاف و(رب) مضاف إليه وهو مضاف، والضمير (كما) مضاف إليه و﴿تُكَذِّبَانِ﴾ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة.

❁❁❁❁

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم؟

الجواب :

الله سبحانه خلق الإنسان من تراب، ثم جعله طيناً ثم جعله حمأً مسنوناً ثم صلصالاً؛ لذلك وردت هذه المراحل موزعة على عدة آيات :

قال تعالى: ﴿مِّن تُرَابٍ﴾[الروم:٢٠].

قال تعالى: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾[الصافات:١١].

قال تعالى: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾[الحجر:٢٦].

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤﴾ [الرحمن:١٤] ـ والصلصال هو الطين اليابس الذي لم يطبخ، لكن له صلصلة؛ أي صوت إذا نقر.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۝٢٠﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة الجدار والسد والبرزخ والحواجز؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٤٦.

❁❁❁❁

﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن:٢٧] و﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨﴾ [الرحمن:٧٨]، مرة ﴿ذُو﴾ ومرة ﴿ذِي﴾ فما اللمسات البيانية الموجودة في الآيتين؟ وما دلالة ذكر الوجه؟

الجواب :

الوجه هو الذات، وهذا استعمال مجازٍ مرسل، كما في استعمال الأيدي في الأنفس ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[الشورى:٣٠] فليست الأيدي التي كسبت وإنما الإنسان هو الذي كسب، فهذا مجاز مرسل وعلاقته جزئية.

لذلك يوجد في الآية مجاز مرسل ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ أي ذاته، والمجاز المرسل جاء في كثير من الآيات :

- ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾[آل عمران:٢٠] أسلمت، هل الوجه فقط؟ كل الجسد بما يشتمل، لكنّ الوجه هو أكرم شيء، فإذا أسلمت وجهك لله فقد أسلمت نفسك، أي الذات كلها.

- ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾[الإنسان:٩].

- ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١١٢] كيف يُسلِم وجهه فقط؟ يسلم الكل، أي الذات.

- ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾[الرعد:٢٢].

- ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[البقرة:١٤٤] (وجه) مجاز مرسل.

❀❀❀❀

﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الإمام أحمد بن حنبل كان يتكلم ويشرح قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩] فقام رجل فسأله: ما شأن ربنا اليوم؟ فسكت الإمام أحمد بن حنبل ورجع للبيت، وحاول يقلب يميناً ويساراً ولم يستطع أنْ يجيب، وفي اليوم الثاني أيضاً تكررت نفس الحالة ونفس السؤال والإمام أحمد لم يجب فعاد للبيت حسران تعبان ويريد أنْ يفهم الموضوع وهو أمام الناس، فرأى النبي ﷺ في الرؤيا وحكى له القصة فقال له: يا رسول الله: ما شأن ربنا اليوم؟ قال له: أمورٌ يبديها ولا يبتديها. الإمام أحمد كغيره من العلماء فهم هذه الجملة بالضبط. فلمّا جاء اليوم الثالث وسيدنا أحمد تكلم في نفس الموضوع وجاء هذا السائل فقال له: ما شأن ربنا اليوم؟ قال له الإمام أحمد: (أمورٌ يبديها ولا يبتديها) فقال له الرجل: يا أحمد صلِّ على من علّمك.

٢ـ المعنى العام: لا تظنوا أنّ الله سبحانه خلق النواميس والقوانين وقال لها: اعملي أنتِ، لا، فهو سبحانه كل يوم هو في شأن.

ولذلك حين سئل أحد العلماء: ما شأن ربك الآن، وقد صحّ أنّ القلم قد جف؟ فقال: شؤون يُبديها لا شؤون يبتديها. أي لا يتغير حكمه. أي أنّ المعنى: سوق المقادير إلى المواقيت. فإذا جاء ذلك الوقت تعلقت إرادته بالفعل فيه فيوجد.

بمعنى أنه في كل يوم يشفي سقيماً ويمرض سليماً ويعزّ ذليلاً ويذل عزيزاً ويغفر ذنباً ويفرج كرباً ويبرم رزقاً، فيوجد تعالى من الأفعال المختلفة ما لا يحصر ولا يحصى في آن واحد.

٣ـ والله لا يشغله شأن عن شأن أصلاً، أسبابه تمنع أسباباً أخرى لكنها لا تمنع الفاعل.

فهو سبحانه قد رسم كل شيء وجعل له زماناً ليظهر، فهو سبحانه قيوم أي: مُبَالغ في القيام على مصالحكم.

٤ـ ونقرأ في الحديث النبوي الشريف: «**إنّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل**»

ولكن نهار من؟ وليل من؟ والنهار والليل في زمن لا ينقطع، إذن فالله تعالى يده مبسوطة دائماً لا يقبضها أبداً كما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾[المائدة:٦٤].

سبحان من خصّ العــــزيز بعزه والنـــاس مســتغنون عــن أجناســه
وأذل أنفــــاس الهـواء وكـل ذي نفـــسٍ فمحتــــاج إلى أنفاســه

❁❁❁❁

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا قدّم الجن على الإنس في آية الرحمن ٣٣ بينما عكسها في آية الإسراء ٨٨؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الإسراء ٣٣.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال (إذا) و(إن) في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ ـ (إنْ):

تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة :

شواهد للمعاني المشكوك في حصولها: الأعراف ١٤٣.

شواهد للمعاني المحتملة: البقرة ١٩١ـ المائدة ٦ .

شواهد للمعاني المستحيلة: الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣ .

شواهد للمعاني المفترضة ـ القصص ٧١.

٢ـ (إذا): تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع، كما في الآيات [البقرة ١٨٠ ـ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤].

٣ـ شواهد مشتركة تتضمن (إذا وإنْ) معاً :

[التوبة ٥ ـ البقرة ١٩٦ ـ البقرة ٢٣٩ ـ البقرة ٢٨٢ ـ النساء ٢٥ ـ البقرة ١٨٠].

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعشر هو الجماعة العظيمة، وتحقيقه أنّ المعشر هو العدد الكامل الكثير الذي لا عدد بعده إلا بالابتداء فيه حيث يعيد الآحاد، ويقول: أحد عشر واثنا عشر، وثلاثون أي ثلاث عشرات، فالمعشر كأنه محل العشر الذي هو الكثرة الكاملة.

٢ـ الخطاب عام للإنس والجن، بمعنى أنه لا مهرب ولا مخرج لكم عن ملك الله تعالى، وأينما توليتم فثم مُلك الله، وأينما تكونوا أتاكم حكم الله.

❁❁❁❁

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

بماذا اعترض المستشرقون على هذه الآية؟

الجواب :

اعترض المستشرقون على الآية وقالوا كيف يناسب ذلك قول الله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مع أنّ الآية تتحدث عن نقمة وعذاب؟

والجواب: أنّ الآية منسجمة كل الانسجام؛ لأنّ من النعمة أن ننبهك بالعظة للأمر الذي ينتظرك والعذاب الذي أُعد لك حتى لا تقع في أسبابه، فالذي يعلم حقيقة العذاب على الفعل لا يقترفه، فيكون بذلك له نعمة.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة النار ومرادفاتها؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ١٠.

السؤال الثالث :

كيف ثنى الضمير في قوله: ﴿عَلَيْكُمَا﴾ مع أنه جمع قبله بقوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ والخطاب مع طائفتي الإنس والجن؟

الجواب :

١ ـ من ناحية المعنى: في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ هو خطاب للجن والإنس، بمعنى: إنْ استطعتم باجتماعكم وقوتكم فانفذوا، ولن تستطيعوا ذلك مجتمعين أو متفرقين، فهو خطاب عام.

وأمّا قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ فهو لبيان الإرسال على النوعين لا على كل واحد منهما.

٢ ـ من ناحية اللفظ: فالخطاب في قوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ هو للمعشر وأما قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ فهو خطاب للنوعين.

٣ ـ الشواظ: هو لهب النار وهو لسانه، وأمّا النحاس فمعروف وقيل الدخان.

٤ ـ قيل: إنّ ذكر الأمرين بعد خطاب النوعين يحتمل أنْ يكون لاختصاص كل واحد بواحد، فالنار الخفيفة للإنس، والنحاس الثقيل للجن لأنه يخالف جوهره، فإنّ الإنس ثقيل والنار خفيفة، والجن خفاف والنحاس ثقيل.

كما يحتمل ورودهما على حد واحد منهما وهو الأظهر. والله أعلم.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمن:٣٩] هذا مغاير لآيات تؤكد سؤال المجرمين عما كانوا يعملون ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف:٦] ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزُّخرُف:٤٤]؟

الجواب :

١ـ هذه مشاهد من يوم القيامة. ففي مشهد لا يتكلمون ولا يُسأل أحد وإنما صمت عام يبقى الناس فيه أربعين ألف سنة أو أكثر لا يتكلمون، ثم بعد ذلك يكون السؤال والجواب.

إذن هي مشاهد قبل الحساب، ففي المشهد الأول لا يتكلم أحد ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه:١٠٨] والملائكة لا يتكلمون، هذا هو المشهد، ليس فيه كلام، ويبقى الناس لا يتكلمون، ثم يذهبون إلى آدم وحتى يقول البعض: اللهم أرحنا من هذا ولو إلى النار.

٢ـ السؤال المنفي في آية الرحمن ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ وكذلك آية القصص ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ هو أخص من السؤال المثبت في قوله تعالى في سورة الحجر : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ لأنّ هذه

فيها تعميم السؤال في كل عمل، والآيتان قبلها ليس فيهما نفي السؤال إلا عن الذنوب خاصة.

٣ـ المعنى: لا يُسأل عن فعله أحد منكم، ولكن يُسأل بقوله: لمَ فعل الفاعل، أي لا يُسأل سؤال استعلام، بل يُسأل سؤال توبيخ وتقريع، وهذا فيه نوع من العذاب.

٤ـ قيل: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾[الحِجر:٩٢] سؤال توبيخ وتقريع و ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٣٩] هو سؤال استعلام واستخبار؛ لأنّ الله أعلم بذنبه منه.

٥ـ وقيل: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾[الحِجر:٩٢] لمَ عملوا و ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ﴾[البقرة:٢٧٣] ولا يُسألون ماذا عملوا؛ لأنّ الله أعلم بذلك.

٦ـ وأمّا سؤال الموؤودة ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ فالمراد بسؤالها توبيخ قاتلها؛ لأنها هي تقول: لا ذنب لي، فيرجع اللوم على من قتلها ظلماً.

وكذلك سؤال الرسل، فإنّ المراد به توبيخ من كذبهم مع إقامة الحجة عليه بأن الرسل قد بلغته.

❁❁❁❁

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمن:٤٦] ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ [الرحمن:٦٢] هل يمكن شرح مفصل للآيتين؟

الجواب :

نقرأ الآيات حتى تتضح: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾ [الرحمن:٧٧].

١ـ في الأولى العليا قال: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الرحمن:٤٨] وفي الثانية قال: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٤] الأولى أعلى؛ لأنّ الأفنان تطلق على ضروب عدة، والأفنان جمع فنن، وهي الأغصان، أو جمع (فن) أي تدل على عموم النعم من الأشجار والألوان المختلفة والثمار، وقال عطاء: في كل غصن فنون من الفاكهة، وهذه لا يفيد معها مدهامتان، و(مدهامتان) أي شديدتا الخضرة تميل إلى السواد، فلم يذكر نِعَم وإنما ذكر الخضرة. و(مدهامتان) كلمة عربية ومفردها على صيغة (إفعالّة) وهي قليلة في اللغة مثل: احمارّ واصفارّ وهي أشد وفيها مبالغة أكثر، و(أدهم) من مدهامتان؛ أي يميل إلى السواد.

لذلك (مدهامتان) أي مائلتان إلى السواد من شدة الخضرة. فهنا إذن ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٖ ﴿٤٨﴾﴾ [الرحمن:٤٨] أعلى.

٢ـ ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرحمن:٥٠] مقابل ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن:٦٦] أي فيهما ماء قليل وتجريان أقوى، وأقل من الضخ النضح.

٣ـ ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [الرحمن:٥٢] أكثر وأقوى من ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخْلٞ وَرُمَّانٞ ﴾ [الرحمن:٦٨].

٤ـ ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۢ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٖۚ ﴾ [الرحمن:٥٤] مقابل ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٖ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن:٧٦] في الأولى ذكر البطائن ولم يذكر الظاهر، البطائن من إستبرق، فما بالك بالظواهر؟ ولذلك قسم قالوا: الظواهر هي من النور الجامد.

٥ـ قال: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ [الرحمن:٥٦] مقابل ﴿ حُورٞ مَّقْصُورَٰتٞ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن:٧٢] (قاصرات) لا تنظر إلى غير زوجها ولا ترى أفضل منه ولا أحب منه، فهي قاصرة الطرف على زوجها، أمّا (مقصورات) أي مثل المحبوسات في الخيام محددة إقامتهم.

٦ـ وقال: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن:٥٨] ولم يقلها في مقصورات في الخيام ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن:٥٨].

٧ـ ثم قال: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠] ولم يقل مثل ذلك في الثانية. إذن في كل لفظة في الأولى أعلى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦].

السؤال الثاني :

ربما يظهر سؤال، وهو أنّ الجنتين الأوليين جزاء لمن خاف مقام ربه، فلِمنْ اللتان من دونهما؟

الجواب :

لا نعلم، ربما لمن هو دونهم. كل من يقول: لا إله إلا الله موحد يدخل الجنة. جنتان هما بستانان خارج القصر وداخله، والجنة بمعنى البستان. وذكر القدامى أنه تكرر (فبأي آلآء ربكما تكذبنان) مع كل جنة ثماني مرات على عدد أبواب الجنة، وأبواب الجنة ثمانية كما في الحديث.

وربما يكون المكان واحداً لكنّ الدرجة وما بها من مميزات تختلف من إحداها عن الأخرى، كما قال تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[الأنفال:٤].

السؤال الثالث :

قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦] فما معنى (جنتان)؟ وهل هي جنة واحدة أم جنتان؟

الجواب :

الجنة هي البستان، وهي مفردة ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾[الكهف:٣٥] ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القلم:١٧] الجنة هي دار السعادة عموماً، وكل واحد عنده أكثر من جنة.

ثم أطلقت الجنة على دار السعادة عموماً بما يقابل جهنم دار الشقاء. وكل واحد في منزلته له أكثر من جنة ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾[الرحمن:٤٦] أي بستانان في منزلته هي خاصان به، و ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾[الرحمن:٦٢] أي تحتهما وأقل منهما. المهم له جنتان في منزلته هو، داخل قصره بستان وخارج قصره بستان.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

يقول الله تعالى في سورة الرحمن في الآية ٤٦ : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ وفي الآية ٦٢ :﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ أي بلفظ التثنية.

بينما يقول في نفس السورة في الآية ٥٦: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ وفي الآية ٧٠ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾[الرحمن:٧٠] وكلتا الآيتين تتحدثان عن الحور العين فعدل عن صيغة (فيهما) إلى صيغة ﴿فِيهِنَّ﴾ بالجمع، فلماذا؟

الجواب :

١ـ قالوا: لأنّ نعيم الجنة مشترك، فيصح أن يشترك فيه الجميع في التمتع بأنهار الجنة وثمارها، إلا في نعمة الحور العين، فلها خصوصيتها فكأنّ الحق تبارك وتعالى يحترم مشاعر الغيرة عند الرجل، ففي هذه المسألة يكون لكل واحد منا جنته الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد.

٢ـ وحور الجنة تجمع بين حسن الصورة والجمال والعز والشرف والكمال فتزداد اللذة لسبب كمالها؛ لذلك ينبغي أنْ يكون لكل واحدة مايليق بها من المسكن الواسع. لذلك

تصير الجنة التي هي واحدة من حيث اتصال أشجارها تحتوي على مساكن كثيرة فيها للحور؛ لذلك قال: ﴿فِيهِنَّ﴾.

٣ـ وقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة قال: «**بينما نحن عند النبي ﷺ إذ قال: بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب. فذكرت غيرته فوليت مدبراً**». فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟

٤ـ ذكر الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦] ثم قال بعدها: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ وجاءت بصيغة الجمع، وهؤلاء المتكئون لكل واحد منهم حور عين و(هنّ) بالجمع، فناسب ﴿فِيهِنَّ﴾.

فانتقل إلى صورة الجمع، جنات بالجمع تخص المؤمن، و في الجنات قاصرات الطرف كذلك بالجمع.

❁❁❁❁

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال الوصف ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ لأهل الجنة خاصة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٣١.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة التحصيل الزراعي؟

الجواب :

الكلمات هي :

جنى: تستعمل للفواكه الموسمية ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾[الرحمن:٥٤].

حصد: عندما يكون الزرع يابساً، وتستعمل (حصاد) للخير و(حصيد) للشر ﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾[الأنبياء:١٥].

حصد: عندما يقطع الزرع وهو أخضر رطب﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ﴾.

قطف: كل ما هو حلو المذاق والمنظر يقال له (قطف)، كما في العنب والعسل ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾[الحاقة:٢٣].

❁❁❁❁

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾

السؤال الأول :

في القرآن الكريم يذكر الجن قبل الإنس في مواطن كثيرة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات:٥٦] أمّا في سورة الرحمن فقدم الإنس: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾[الرحمن:٥٦] فما دلالة التقديم والتأخير؟

الجواب :

١ـ التقديم والتأخير يقتضيه المقام، والسياق أحياناً يقدّم الجنّ على الإنس كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]؛ لأنّ الجن وجودهم أسبق من الإنس، ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر:٢٧] وإبليس وجوده قبل وجود آدم.

٢ـ وفي قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمن:٣٣] قدّم الجنّ على الإنس؛ لأنّ الجن أقدر على النفاذ من الإنس وهم كانوا يستمعون، فلمّا تحداهم بالنفاذ بدأ بمن هو أقوى؛ أي بالجنّ.

٣ـ وقال تعالى في سورة الرحمن: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن:٥٦] الكلام عن الحور: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن:٧٢]، ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن:٥٦]، ونفسياً إذا كان أحدهم يريد أنْ يتزوج امرأة وعلِم أنه اتصل بها رجل سابق يحجم عن الزواج، أمّا إذا قيل له: جنّي اتصل بها، فإنه يقول: هذا كلام وخرافة.

ولذلك قدّم الإنس؛ لأنّ النفس إذا طمثها إنسي يحجم عنها، ولذلك قدّم ما تشمئز منه النفس أولاً، فبدأ بالإنس؛ لأنّ هذا أدعى إلى طهارتها، ولو قال: (لم يطمثهن جن ولا إنس) فهي ليست بتلك المنزلة، فقدّم ما هو أشد. والآية تتكلم عن نساء الجنة، عن

حور الجنة: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن:٧٢] وهنّ نساء الجنة كما قال ربنا: ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ [الواقعة:٣٦].

السؤال الثاني :

قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾ [الرحمن:٧٤] أي لم يفتضهن ونساء الدنيا لا يفتضهن الجان، فما فائدة تخصيص الحور بذلك؟

الجواب :

معناه أنّ (قاصرات الطرف) إنسيات للإنس وجنيات للجن، فلم يطمث الإنسيات إنسي ولا الجنيات جني.

وفي هذه الآية دليل على أنّ الجن يواقعون كما يواقع الإنس.

❀❀❀❀

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠] وقولنا: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

الجواب :

١ـ النفي بـ (هل) ليس نفياً محضاً، بل هو استفهام أُشرب معنى النفي، فقد يكون مع النفي تعجب أو استنكار أو غير ذلك من المعاني.

٢ـ وقوله تعالى في آية سورة التوبة ٥٢: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة:٥٢] يختلف عن قولنا: (ما تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) فإنّ الأولى ليست نفياً خالصاً؛ لأنّ فيها من التحدي والاستخفاف ما لا يؤديه النفي المحض، بخلاف الثانية فهي نفي محض.

٣ـ النفي الصريح إنما هو إقرار من المخبر، وأمّا الاستفهام فإنّ المقصود منه مخاطبة المخاطب لإشراكه في الأمر.

فقولنا: (ما جزاء الإحسان إلا الإحسان) هو نفي يقوله المتكلم ابتداء.

أمّا قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠]، فهو استفهام يترك للمخاطب ليقوله.

٤ـ قيل: إنّ في القرآن ثلاث آيات في كل منها مئة قول. وهي :

أـ قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:٨].

ج ـ قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠].

السؤال الثاني :

ما معاني حرف الاستفهام (هل)؟

الجواب :

هل: حرف استفهام مختص بالتصديق فيجاب بنعم أو لا. لكنّ هناك معاني أخرى أشهرها :

١ـ الأمر: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة:٩١].

٢ـ التمني: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝١١﴾ [غافر:١١].

٣ـ العرض: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [النازعات:١٨].

٤ـ التشويق: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾ [الصف:١٠].

٥ـ التعليم والإرشاد: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣﴾ [الكهف:١٠٣].

٦ـ التبكيت: ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥﴾ [الحج:١٥].

٧ـ الإلزام: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام:١٤٨].

٨ـ النفي: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣﴾ [الإسراء:٩٣].

٩ـ التهويل والتعظيم: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية:١].

١٠ ـ التحذير: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾ [محمد:٢٢].

١١ ـ بمعنى (قد): ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان:١].

بشكل عام هذه المعاني ليست مجردة عن الاستفهام، بل يشوبها كلها معنى الاستفهام.

❁❁❁❁

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكرالنخل والرمان مع الفاكهة في سورة الرحمن، مع أنّ النخل والرمان من الفاكهة؟

الجواب :

من حيث الحكم النحوي هذا ما يُسمّى عطف الخاص على العام، كما في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨] والصلاة الوسطى مشمولة في الصلوات، لكنْ لأهميتها وعظمة شأنها ذكرت وحدها، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨] وجبريل من الملائكة، وذكره يفيد رفعة منزلته عند الله، وكذلك قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن:٦٨] والنخل والرمان من الفاكهة، وهي فاكهة أهل الجنة.

السؤال الثاني :

استعمل القرآن أحيانا (النخل)وأحيانا (النخيل)، فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٦.

❁❁❁❁

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما السر في استعمال ﴿فِيهِنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن:٥٦] ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمن:٧٠] مع أن باقي الآيات ورد فيها

﴿فِيهِمَا﴾ مثل : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾[الرحمن:٥٠]، ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾[الرحمن:٥٢]، ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾[الرحمن:٦٦]، ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾[الرحمن:٦٨]؟

الجواب :

١ـ في سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[الرحمن:٤٦] هذا نوع من الإكرام لمن خاف مقام ربه، و يطبّق ما يريده ربه، وهذا الإكرام ليس جنة واحدة، وإنما يُوهَب جنتين.

٢ـ الاسم :(مَنْ) لفظه لفظ مفرد، ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ وهي عامّة لفظها لفظ مفرد، حتى أنّ البعض قال: ما الدليل على أنّ لفظها لفظ مفرد؟ فقالوا الدليل أن تأبّط شرّاً (هو شاعر جاهلي معروف) جمعها على (منون) يقول:

أتوا ناري فقلت: منون أنتم؟ فقالوا: الجِنّ قلت: عِموا ظلاماً

والشاعرأوقد ناراً في الليل،فصار أضيافه من الجنّ.

٣ـ (منْ) عندما يستعمله القرآن يراعي لفظه مرة ومعناه مرة، فيقدّم مراعاة اللفظ على مراعاة المعنى، كما في الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[البقرة:٨] يقول: مفرد، ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] جمع، وما قال (وما هو) هذا السياق موجود في القرآن في مواطن كثيرة.

فعندما يكون (من) مراداً به الجمع يستعمل أولاً المفرد ثم بعد ذلك يأتي إلى الجمع. كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[النساء:٦٩] (ومن يطع) مفرد ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ

﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾[النساء:٦٩] جمع، فالسياق يراعي اللفظ ويراعي المعنى، ويقدّم مراعاة اللفظ على مراعاة المعنى.

كان العرب يلاحظون هذا ويعجبون ويقفون إجلالاً لكلام الله سبحانه وتعالى عندما يسمعونه، كهذا الذي سمع قوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾[فُصِّلَت:١٣] وضع يده على رأسه قال: ستسقط على رأسي، فكانوا يتحسسون هذا.

٤ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦)﴾[الرحمن:٤٦] الذي خاف مقام ربه من آدم إلى قيام الساعة هم جماعة وليس واحداً، والخائفون كُثُر، فإذن جنتان لأول، وجنتان لآخر، وجنتان لكل واحد، إذن تكون جنّات، ولذلك نجد القرآن في موضع آخر قال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾، ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠)﴾ ثم قال: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ عندما جاء يتحدث عن الخائفين قال: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾. ولم يقل: متكيء؛ لأنه راعى المعنى هنا.

فلمّا قال: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ المتكئون لا يكون لهم حوراء واحدة، وإنما حور عين، ولا يكون لهم قاصرة طرف وإنما قاصرات.

فلمّا جاء لذكر النساء في يوم القيامة كان لا بدّ أن يجمع فقال: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الرحمن:٥٦].

٥ـ وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠)﴾ [الرحمن:٧٠]، استمر يتكلم ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢)﴾ [الرحمن:٦٢] لأنّ الجنة مراتب، والرسول عليه السلام يقول: **(اسألوا الله الفردوس الأعلى)**.

٦ـ ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾[الرحمن:٦٢] رجع للجنتين التي هي لكل واحد خاف مقام ربه ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾ [الرحمن:٦٨] فصارت جنات، فلمّا جاء إلى ذكر الخيرات الحسان قال: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾[الرحمن:٧٠]

و (الخيرات) جمع خيرة التي أصلها خيّرة وخُفّفت، وهي جمع الزوجات. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٌ فِي ٱلۡخِيَامِ ۝٧٢﴾

السؤال الأول :

لماذا لم يذكر في كثير من السور الحور العين بالرغم من ذكر الجنات؟

الجواب :

كثير من السور لم يذكر فيها الحور العين بالرغم من ذكر الجنات. وللعلم فقد وردت الكلمات التالية في القرآن الكريم :

الحور: أربع مرات في الآيات:[الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الرحمن ٧٢].

عين: أربع مرات في الآيات: [الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الصافات ٤٨].

الجنة (٦٦) مرة.

جنات (٦٩) مرة.

جنتك (٢) مرتان.

جنته (١) مرة واحدة.

جنتي (١) مرة واحدة.

جنتان (٣) مرات.

جنتين: (٤) مرات.

ونلاحظ أنه عندما يذكر القرآن الكريم أزواج أهل الجنة لا يذكر معها الحور العين مراعاة لنفسية المرأة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ في آيات[البقرة ٢٥ـ آل عمران ١٥ـ النساء ٥٧] فلم يذكر الحور العين مع الأزواج.

❁❁❁❁

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال الوصف ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ لأهل الجنة خاصة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرحمن ٥٤.

❁❁❁❁

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٧] و ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن:٧٨]، مرة ﴿ذُو﴾ ومرة ﴿ذِى﴾ فما اللمسات البيانية الموجودة في الآيتين؟ وما دلالة ذكر الوجه؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرحمن ٢٧.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الرحمن مع خواتيمها :

قال سبحانه في أولها:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾[الرحمن: ١ - ٤].

١ ـ فذكر خلق الإنسان في أول السورة.

ثم ذكر عاقبته ونهايته في آخرها.

فذكر عاقبة المجرمين المكذبين: ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ﴾ [الرحمن:٤١].

ثم ذكر عاقبة من خاف مقام ربه إلى أنْ قال في خاتمة السورة :

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ٧٦﴾[الرحمن:٧٦].

فذكر خلقه أولاً وعاقبته في الأخير.

٢ ـ افتتحت السورة باسم من أسمائه سبحانه وهو: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١﴾[الرحمن:١]

وختمت بذلك أيضاً فقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾[الرحمن:٧٨].

والله أعلم.

سورة الواقعة

أولاً ـ تناسب خواتيم الرحمن مع فواتح الواقعة :

يكاد يكون أغلب سورة الرحمن في اليوم الآخر، وذلك من قوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧)﴾ [الرحمن:٣٧] إلى خاتمتها، وذلك قوله سبحانه: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)﴾[الرحمن:٧٦].

وبداية سورة الواقعة في القيامة، وذلك قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ١ – ٢].

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لما قبلها أنّ ما قبلها تضمن العذاب للمجرمين والنعيم للمؤمنين، وفاضل بين جنتي بعض المؤمنين وجنتي بعضهم الآخر بقوله:﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢)﴾ [الرحمن:٦٢] فانقسم العالم بذلك إلى كافر ومؤمن مفضول ومؤمن فاضل.

ثانياً ـ هدف السورة :

الاختيار بين نماذج ثلاثة :

سورة الواقعة مكّية، وهي تشتمل على أحوال يوم القيامة، وتركّز على انقسام الناس إلى ثلاث طوائف [أصحاب اليمين: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة:٨] – أصحاب الشمال: ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩)﴾ [الواقعة:٩] – و(السابقون):

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠﴾ [الواقعة:١٠]، وتحدثت السورة عن مآل كل من هذه الطوائف وما أعدّه الله تعالى لهم من الجزاء العادل. وتحدثت السورة عن دلائل قدرة الله تعالى في الكون: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ٥٨﴾ [الواقعة:٥٨] و: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ٦٣﴾ [الواقعة:٦٣] و: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ٦٨﴾ [الواقعة:٦٨] و: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ٧١﴾ [الواقعة:٧١] لتجيب عن سؤال: من مالك الكون غير الله تعالى؟

ثم تتحدث عن لحظات خروج الروح، وحال كل من الطوائف الثلاث في هذا الموقف، ثم تنتقل إلى التذكير بعاقبة كل منهم: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ٨٨﴾ [الواقعة:٨٨] و: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ٩٠﴾ [الواقعة:٩٠] و: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢﴾ [الواقعة:٩٢].

فكأنها السورة ابتدأت بذكر الطوائف الثلاث، ثم عرضت لقدرة الله تعالى في الكون وبأنه مالك الكون كله في الوسط، ثم اختتمت بذكر الطوائف الثلاث وعاقبتهم في الآخرة.

وختمت السورة: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ٩٦﴾ [الواقعة:٩٦] تسبيح لله تعالى العظيم لتمهّد لبداية سورة الحديد.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة :

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة (كان) فى قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ ﴾[الواقعة:٧] ؟

الجواب :

(كان) يفرد لها النُحاة بكلام في زمنها:

١ـ الزمان الماضي المنقطع: كأنْ تقول: كان نائماً واستيقظ، كان مسافراً ثم آب.

٢ـ الزمان الماضي المستمر (كان الاستمرارية) بمعنى: كان ولا يزال كما في الآيات: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء:١١] ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء:١٠٠] ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء:٥٨] ويسمونها (كان) الاستمرارية، أي هذا كونه منذ أن وُجِد.

٣ـ زمن الاستقبال، كما في الآية: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ [النبأ:١٩] أي صارت في المستقبل، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾[الواقعة:٧] أي صرتم، أصبحتم.

(كان) فيها كلام كثير عند النُحاة، غير كان التامة والناقصة من حيث الزمن.

السؤال الثاني :

ما أهم اللمسات البيانية في هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ (إذا) تأتي في القرآن للكثير الحصول والمقطوع في حصوله مثل هذه الآية. والأظهر أنّ قوله تعالى: (إذا رجت) بدل من قوله :(إذا وقعت الواقعة). والرج :هو التحريك الشديد.

٢ـ البَسُّ: هو التفتيت والطحن، والهباء: هو الهواء المختلط بأجزاء التراب تظهر في أشعة الشمس إذا دخلت من كوة.

٣ـ هناك علاقة بين الحروف والمعاني، فالهواء إذا خالطه أجزاء أرضية ترابية ثُقّل من لفظه حرف، فأُبدلت الواو الخفيفة بالباء التي لا ينطق بها إلا بإطباق الشفتين بقوة، وتصير الكلمة (هباء) بدل (هواء).

٤ـ جوانب الإنسان أربعة: يمين وشمال وخلف وأمام. وجَعْلُ الله الخلق على ثلاثة أقسام ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧﴾[الواقعة:٧] وهودليل غلبة الرحمة فذكرتعالى :

أ ـ أصحاب اليمين: وهم الناجون، ويعطون كتبهم بأيمانهم مكرمين فغطى جهة اليمين.

وقيل لهم: أصحاب اليمين؛ لأنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، أو لأنهم على يمين أبيهم آدم كما رآهم النبي عليه السلام ليلة الإسراء، أو لأنهم ميامين أي (مباركون). واليُمن بركة.

ب ـ وذكر أصحاب الشمال مقابلهم، ويعطون كتبهم بشمائلهم مهانين فغطى جهة اليسار. والعرب تسمي الشمال شؤماً، كما تسمي اليمين يمناً.

ج ـ وذكر السابقين الذين لا حساب عليهم ويسبقون الخلق من غير حساب، وهم المقربون بين يدي الله ويشفعون للغير، وهم أعلى منزلة من أصحاب اليمين، فغطى جهة الأمام.

ثم لم يذكر الله مقابل الخلف قوماً مؤخرين عن أصحاب الشمال لا يلتفت إليهم لشدة الغضب عليهم، فكانت القسمة رباعية فصارت بفضل الله ثلاثية وهو كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[فاطر:٣٢] ولم يقل: منهم متخلف عن الكل.

٥ ـ بعد أنْ ذكر الله أنّ الناس سيكونون ثلاثة أصناف، بدأ بذكر أصحاب اليمين ثم بأصحاب الشمال ثم ذكر السابقين؛ لأنّ يوم القيامة فيه من التخويف الشيء الكثير ـ ترغيباً وتخويفاً ـ فقدّم سبحانه أصحاب اليمين الذين يسمعون ويرغبون ثم أصحاب الشمال.

ثم ذكر السابقين ليجتهد أصحاب اليمين ويقربوا من درجتهم، وإنْ كان لا ينالها أحد إلا بجذبٍ من الله تعالى، فإن السابق يناله ما يناله بجذب. وإليه الإشارة بقولهم :جذبٌ من جذبات الرحمن خيرٌ من عبادة سبعين سنة.

٦ـ قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [الواقعة:٩] مقابل الميمنة، فهو من باب الشؤم عليهم، وهناك تقابل في الجهات :

أ ـ اليمين هو الجانب المعروف من الآدمي، ولفظ الشمال في مقابلته.

ب ـ الأيمن مقابل الأيسر، والميمنة مقابل الميسرة، واليمنى مقابل اليسرى.

ج ـ سموا الشمال يساراً، وهو مشتق من الشيء اليسير، فصار في مقابلة اليمين تكرهاً لجعل جانب من الإنسان شؤماً.

د ـ لا تستعمل الشمال كما تستعمل اليمين، فلا يقال الأشمل ولا المشملة ولا يقال في مقابلة اليمين لفظ من باب الشؤم، لذلك سموا الشمال يساراً.

فذكر الله الكفار بلفظين مختلفين ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ و ﴿أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية الخامسة: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾ [الواقعة:٥] وقوله تعالى في آية النمل٨٨: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ وفي آية طه١٠٥ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥﴾ [طه:١٠٥] فما أحوال الجبال في القرآن؟

الجواب :

ذلك باختلاف الأحوال. ففي أول الأمر تسير سير السحاب وتُرى كالواقفة في رأي العين لعظمها، ثم بعد ذلك تتضاءل فتكون كالعهن المنفوش، ثم تنسف فتكون الأرض قاعاً صفصفاً.

ويمكن تلخيص أحوال الجبال في القرآن الكريم عند قيام الساعة في ست حالات، وهي :

١ـ الاندكاك: لقوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤﴾ [الحاقة:١٤].

٢ـ أنْ تصير: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ كما في [آية القارعة ٥ والمعارج ٩].

٣ـ أنْ تصير كالهباء فتتبدد، وهي قوله تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾[الواقعة:٥-٦].

٤ـ أنْ تنسف؛ لأنها مع الأحوال المتقدمة قارةٌ في مواضعها على الأرض فتنسف عنها بإرسال الرياح لقوله تعالى: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾[طه:١٠٥].

٥ـ أنّ الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتطيرها شعاعاً في الهواء، وهي قوله تعالى: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[النمل:٨٨].

٦ـ أنْ تصير سراباً، بمعنى: لا شيء، كحال السراب إذا جاء المرءالموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيئاً.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما كلمات منظومة اللاشيء؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الرعد ١٧.

❁❁❁❁

﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام (ما) في الآيتين وليس (من)؟

الجواب :

١ـ (من) لذات من يعقل، للذات، من هذا؟ هذا فلان، من أبوك؟ أبي فلان، من أنت؟ أنا فلان.

إذن (من) لذات العاقل، سواء كانت اسم استفهام أم شرط أم نكرة موصوفة أم اسم موصول.

٢ـ (ما) تستعمل للسؤال عن ذات غير العاقل، مثل: ما هذا؟ هذا حصان، ما تأكل؟ آكل كذا. وتستعمل لصفات العقلاء. مثل أن تقول: من هذا؟ تقول خالد، ما هو؟ تقول تاجر، شاعر. وقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[النساء:٣] صفة للعاقل، أي انكحوا الطيّب من النساء.

و(ما) تستخدم لذات غير العاقل وصفاتهم (ما لونه؟ أسود) ولصفات العقلاء ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾[الشمس:٧] الذي سواها هو الله.

ومهما كان معنى (ما) سواء كانت (الذي) أو غيره فهذه دلالتها ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾[الليل:٣] من الخالِق؟ الله هو الخالق.

٣ـ إذن (ما) قد تكون لصفات العقلاء ثم قد تكون للسؤال عن حقيقة الشيء ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[الفرقان:٦٠] يسألون عن حقيقته، وكذلك فرعون يتساءل عن الحقيقة فقال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء:٢٣].

٤ـ وقد يؤتى بها للتفخيم والتعظيم. كما في الآيات: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة:٣] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧﴾ [الواقعة:٢٧] ففيها تفخيم وتعظيم. وهذا أسلوب استفهام أُريد به التعجب من شأن هؤلاء في السعادة وشأن أولئك في الشقاوة.

والتعظيم يكون في الخير أو في السوء، أو ما يصيبه المرء من السوء أو الخير. والنُحاة ذكروا هذه المعاني لـ (ما) في كتب النحو والبلاغة.

السؤال الثاني :

لماذا لم يرد تصنيف لأصحاب المشأمة في سورة الواقعة على غرار تصنيف أصحاب الميمنة والسابقين؟

الجواب :

قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة: ١ - ١١] والسؤال أنّ أهل اليمين (ميمنة وسابقون)، فلماذا لم يصنف أصحاب المشأمة على صنفين؟

١ـ ليست المسألة مسألة تقسيم، وإنما نحن في هذه الدنيا مؤمنون وغير مؤمنين. المنافقون كافرون في الحقيقة لكن يتظاهرون بالإيمان، والمنافق كافر ولكن يتظاهر بالإيمان؛ ولذلك صار أشد، لأنّ عنده صفة الكفر إضافة إلى صفة المخادعة.

٢ـ المطلوب في هذه الحياة المنافسة في الخير ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين:٢٦].

وأنا عندما أعلم أنّ الجنة درجات وأعلاها الفردوس الأعلى، وعندي نوع من الهِمّة أحاول أنْ أسابق الآخرين في الارتقاء إلى هذه الدرجة العليا، ففيها مجال للمنافسةالكبيرة.

٣ـ لذلك عندنا في الآخرة (أصحاب يمين)، وهؤلاء جنتهم لها صفات معينة، وعندنا (السابقون السابقون) وجنّتهم أيضاً لها صفات معينة. وأنا عندما أقرأ هذه الآيات أحرص على الأفضل، فأحاول أنْ أقدم الخيرما استطعت.

٤ـ لكنّ الذي سيدخل جهنم هو سيشوى بمجرد دخولها ولا مجال للتمايز، حتى الدركات هم نازلون فيها، وليس هناك مجال للتنافس في أخذ الأفضل، وهذا الذي سيشوى، سواء كان في الدركة الأولى أو الثانية فهو مشوي مشوي، ولا مجال لتشجيعه على التنافس، وهم في داخلها ويصطرخون، نسأل الله السلامة والعافية.

وأمّا في الجنة فهناك مجال منافسة للأفضل؛ ولذا كان عندنا ميمنة وسابقون.

٥ـ إذن الغرض من التقسيم – والله أعلم– هو الحث على المنافسة؛ لأنّ هناك أكثر من درجة، وهناك مراتب والناس عند الله سبحانه وتعالى مقامات وليسوا سواء. قال تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[الأنفال:٤].

لذلك جاء التقسيم (ميمنة وسابقون)، بينما أهل النار لا يحتاجون إلى تقسيم؛ لأنه ليس فيها حثٌّ على المنافسة والمسابقة، ولا مجال للترغيب.

والكافر كيف يتسابق في النار؟ هل يزيد من سيئاته ليتسابق في أهل النار؟ فهم لا يقسّمون.

ولله المثل الأعلى، مثل طلبة الجامعة فالناجحون يقسّمون بحسب درجاتهم، لكنّ الذي يرسب في صفه هو راسب، أي سيعيد العام ولا يوجد راسب رقم ٤٠ وراسب رقم ٣٠، هو راسب وسيعيد الفصل الدراسي، لكنْ في الآخرة لا توجد إعادة أبداً.

❁❁❁❁

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما كلمات منظومة المسارعة والتسابق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١١٤.

❁❁❁❁

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا عرّف (النعيم) في الآية ١١ ونكّرها في الآية ٨٩ ﴿ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴾ [الواقعة:٨٩]؟

الجواب :

١ـ عرّف (النعيم) باللام، ونكّرها (نعيم) في آخر السورة: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة:٨٩] علماً أنّ المذكور في آخر السورة هو واحد من السابقين فله جنة واللفظ نكرة، وهذه معرفة بالإضافة، فما الفرق بينهما؟

والجواب :

هناك فرقان: لفظي ومعنوي :

أ ـ فرق لفظي: السابقون معرفون باللام المستغرقة لجنسهم، فجعل موضع المعرّفين معرفة، وأمّا هناك فهو غير معرّف؛ لأنّ قوله: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الواقعة:٨٨] أي إنْ كان فرداً منهم، فجعل موضعه غير معرف مع جواز أنْ يكون الشخص معرّفاً وموضعه غير معرف كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾[الحجر:٤٥] و ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[القمر:٥٤] وبالعكس أيضاً.

ب ـ فرق معنوي: عند ذكر الجمع في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ جمع الجنات في سائر المواضع﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾.

٢ـ السابقون نوع أعلى من المتقين، ولهم منازل ليس فوقها منازل فهي صارت معروفة، لكونها في غاية العلو، أو لأنها لا أحد فوقها، وأمّا باقي المتقين فلكل واحد مرتبة وفوقها مرتبة، فهم في جنات متناسبة في المنزلة لا يجمعها صف واحد لاختلاف منازلهم، بينما جنات السابقين على حدٍّ واحد في أعلى عليين ويعرفها كل واحد، فلا حاجة لتعريف جنة (السابق).

٣ـ قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾[الواقعة:١٢] بإضافة الجنة إلى النعيم، ولم يقتصر على ذكر جنات فقط، وفي ذلك فائدة للتمييز عن الملائكة، فإنّ قرب الملائكة هو قرب الخواص عند الملك الذين هم للأشغال، فهم ليسوا في نعيم وإن كانوا في لذة عظيمة، ولا يزالون مشفقين قائمين بباب الله يَرِدُ عليهم الأمر ولا يرتفع عنهم التكليف. والسابقون في الآية لهم قربٌ عند الله كما يكون لجلساء الملوك، فهم لا يكون بيدهم شغل ولا يَرِدُ عليهم أمر فيتلذذون بالقرب ويتنعمون بالراحة.

❁❁❁❁

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤ ﴾

السؤال الأول :

في آيات سورة الواقعة ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤﴾[الواقعة:١٤] و﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠﴾ [الواقعة: ٣٨ - ٤٠] ما الفرق بين (ثلة) و(قليل)؟

الجواب :

١ـ الثلة هي الجماعة الكثيرة، والقليل قليل.

٢ـ قوله تعالى في السابقين ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُولَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤﴾[الواقعة: ١٠ - ١٤]:

السابقون هم الأنبياء وأتباعهم وهم ثلة من الأولين، وأمّا السابقون من الآخرين فهم قلة.

وأصحاب اليمين هم دون السابقين، فقال (ثلة) و (وثلة) فهم كثر في الأولين والآخرين.

٣ـ وقسم يقول: إنه في كل أمة ومع كلّ نبي في صدرها ثُلة، وما بعدهم يكونون قلة. وبالنسبة للأمة الإسلامية هي على هذا القياس، والله أعلم، أي أنّ الثلة هم جماعة **"خير القرون قرني"** والقلة بعد هذا العصر. فالثلة في خير القرون وما بعدهم قليل. اللهم اجعلنا من هذا القليل.

السؤال الثاني :

ما اللطيفة التي سمعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه حول الأقلين؟

الجواب :

رجل صالح في عهد عمر رضي الله عنه كان يدعو الله أنْ يكون من الأقلين، فسمعه عمر وسأله: وما الأقلون؟ فأشار إلى قوله تعالى :

ـ ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾[هود:٤٠].

ـ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[سبأ:١٣].

ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[ص:٢٤].

ـ ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[الواقعة:١٣-١٤].

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[الواقعة:١٤]؟

الجواب :

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾من يستطيع أنْ يحكم هذا الحكم؟ ومن يستطيع أنْ يرسل قولاً يتلى إلى يوم القيامة أنّ أكثر الناس ليسوا بمؤمنين وأنّ أقل الناس هم المؤمنون؟ !!!

إنه الوحي... إنه الله العليم القادر.

انظر إلى أحوال الدنيا عبر القرون لتتأكد من صدق القرآن وتجد أنّ الفئات الباغية تفوق الفئات الصالحة بعددها وعدتها.

وجاء القرآن مع الأحاديث النبوية لتبشر القلة المؤمنة برضوان الله وجنته بالرغم أنّ الأحاديث النبوية تؤكد أنه لا يدخل الجنة إلا واحد من كل ألف، وارتعد المسلمون عندما نزلت الآية ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[الواقعة:١٣-١٤] فطمأنهم النبي ﷺ فقال: (**ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود**).

وهذه الفئة القليلة هي التي حظيت بجنة الله تعالى ورضوانه، اللهم اجعلنا منهم. اللهم آمين.

قال الشاعر الجاهلي السموءل :

تُعيرنا أنّا قليل عديدُنا ... فقلتُ لها: إنّ الكرام قليل

وما ضرّنا أنّا قليل وجارنُا ... عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال الوصف ﴿ مُتَّكِـِٔينَ﴾ لأهل الجنة خاصة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٣١.

❊❊❊❊

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (ولدان) و(غلمان)؟

الجواب :

١ـ الولدان هم الصغار، أمّا الغلمان، فمفردها (غلام)، وهو الشاب الذي أوشك على البلوغ.

٢ـ الوليد منذ أنْ يولد إلى أنْ يصل إلى سن البلوغ الغُلمة يسمى ولداً ثم يقال له: غلام.

٣ـ في الجنة عندما يذكر غلمان يقول: غلمان لهم، أي مختصون بهم ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور:٢٤] ولا يقول: (ولدان لهم) لأنهم صغار. أمّا ولدان فعامّة ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة:١٧] الغلام أقل من الشاب سنّاً، أو بداية الشباب إذا طرَّ شاربه.

﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾[الواقعة:١٩]في سورة الواقعة وقوله: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات:٤٧] في سورة الصافات؟ فما الفرق بيت الصيغتين؟ و هل يصح وضع أحدهما مكان الآخر؟

الجواب :

قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة:١٩] وفي سورة الصافات ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾[الصافات:٤٧].

١ـ كلمة ﴿يُنزِفُونَ ﴾في سورة الواقعة (بكسر الزاي) من (أنزف) وله معنيان:

أ ـ أنزف يُنزِف بمعنى سَكِر وذهب عقله.

ب ـ وبمعنى: نفد شرابه وانقطع.

ويقال أنزف القوم إذا نفد شرابهم، وأنزف الرجل أي فَنِي شرابه. وأنزف إذا ذهب عقله من السُكْر، والمنزوف هو السكران المنزوف العقل وقد نُزِفَ.

لذلك معنى الآية في الواقعة: أنّ شرابهم لا ينفد ولا ينقطع. وأنهم لا يسكرون بسببه.

٢ـ كلمة ﴿يُنزَفُونَ ﴾في سورة الصافات (بفتح الزاي) من الفعل :

(نزف)، وهو مبني للمجهول (يُنزَف) أي ذهب عقله من السُّكر.

ومعنى الآية في الصافات: أنّ شرابهم لا يُذهب عقولهم، فلا يسكرون بسببه السؤال: هل يصح وضع أحدهما مكان الآخر؟

الجواب:

إذا استعرضنا الآيات في السورتين وجدنا ما يلي:

وردت ﴿يُنزِفُونَ﴾ في الواقعة في سياق السابقين المقربين من أهل الجنة وجزائهم ونعيمهم في الجنّة. وهم قِلّة وفي درجات عليا، وهم أعلى الخلق من المكلفين.

وسياق آيات سورة الصافات إنما هو في عباد الله المؤمنين المخلَصين وهم أقلّ درجة من السابقين المقربين.

والسابقون أعلى من هؤلاء، وإنه ليس كل مخلصٍ هو من السابقين بينما كلُ سابقٍ مُخلص؛ ولذلك نرى الجزاء مختلفاً.

١ـ قال في الصافات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الصافات: ٤١ - ٤٢] ففسر الرزق بالفواكه.

وقال في الواقعة: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: ٢٠ - ٢١] فقد ذكر اللحم إضافة إلى الفاكهة. . ثم ذكر أنهم يتخيرون الفاكهة واللحم ولم يذكر في الصافات أنهم يتخيرون، بل قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾ [الصافات:٤١] فما في الواقعة أعلى.

٢ـ قال في الصافات: ﴿فَوَٰكِهُ﴾ وفي الواقعة ﴿وَفَٰكِهَةٍ﴾ والسبب أنّ الفاكهة اسم جنس، وهي أعم وأوسع من كلمة الفواكه؛ لأنه يشمل الحبة الواحدة والاثنتين والجمع، ويشمل عموم الأنواع.

فالتفاحة الواحدة فاكهة وليست فواكه، والتفاحتان فاكهة وليستا فواكه والتفاح فاكهة. . وكذلك التين والرمان والعنب فاكهة. . أمّا الفواكه فتقال للأنواع؛ ولذلك نقول: (فاكهاني) للذي يبيعها ولا نقول: (فواكهي)؛ لأنّ الفاكهاني يبيع أنواعاً كثيرة من الفاكهة.

وإيضاح ذلك أنك تقول للتفاح وحده فاكهة وإنْ كثر.. ولا يقال له: فواكه، فإنْ جمعت معه الرمان والتين والتمر صح أنْ يقال لها: فواكه وأنْ يقال لها: فاكهة، أي أنّ الفاكهة تطلق على النوع الواحد وعلى الأنواع، وتقال للمفرد والمثنى والجمع، وأمّا الفواكه فلا تطلق إلا على ما تعدد ولا تطلق على الحبة والحبتين ولا على النوع الواحد.

.. لذلك فالفاكهة أعم وأشمل ويندرج تحت اسمها جميع الفواكه.. لذلك يأتي القرآن بـ[الفاكهة] في مواطن السعة، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾﴾ [الرحمن: ١٠ - ١١] في حين قال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المؤمنون: ١٨ - ١٩].

فلمّا ذكر الأرض على العموم قال: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ ولمّا ذكر الجنات في الأرض ذكر الفواكه، وذلك أنه خصص الفواكه التي في الجنات في حين أطلقها في آية الرحمن.

لذلك لمّا قال في سورة الواقعة: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الواقعة: ٢٠] عُلِم أنها أنواع كثيرة وليست نوعاً واحداً. .. فما في الواقعة أعلى.

٣ـ قال في الصافات: ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ [الصافات: ٤٢ - ٤٣] وقال في الواقعة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة: ١١ - ١٢] فذكر أنهم مقربون في جنات النعيم، وهو أعلى من مجرد الإكرام؛ لأنه يشمله وزيادة.

٤ـ قال في الصافات: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الصافات:٤٤] وقال في الواقعة: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة: ١٥ - ١٦] فذكر أنّ السرر موضونة أي منسوجة بالذهب مشبكة بما يسر الناظر، ثم ذكر الاتكاء عليها للزيادة في التنعم، ولم يقل مثل ذلك في الصافات.

٥ـ قال في الصافات: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ [الصافات:٤٥] وقال في الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الواقعة:١٧] فلم يذكر الطائفين في آيات الصافات وذكرهم في الواقعة زيادة في التنعم.

٦ـ قال في الصافات: ﴿بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الصافات:٤٥] وقال في الواقعة: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة:١٨] فزاد الأكواب والأباريق على الكأس ولا شك أنّ تنوع الأواني هو لتنوع الأشربة وتعددها، فتنعم السابقين أعظم وأعلى.

٧ـ قال في الصافات: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات:٤٧] وقال في الواقعة: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة:١٩] فذكر في الصافات ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ والغول هو الفساد أو الإهلاك أو اغتيال العقول وهو السُّكر... أي أنها لا تفسدهم أو لا تُهلكهم أو

لا تغتال عقولهم ولا تسكرهم، بينما ذكر في الواقعة أنهم لا يصيبهم منه صداع ولا يسكرون، وهذا الشراب لا ينفد.

لذلك فإنّ نفي الغول لا ينفي ما دونه من الآفات، فإنك إذا قلت [هذا الشراب لا يميت] فإنه لا ينفي أنْ يكون فيه بعض أنواع العلل دون الموت. . وأما في سورة الواقعة فإنه نفى الأدنى وهو الصداع فانتفاء الأكبر إذاً هو من طريق الأولى، وعلى هذا فإنّ انتفاء الغَول لا ينفي الصداع، وانتفاء الصداع ينفي الغَول فيكون ما في الواقعة أعلى.

وإذا كان الغَول بمعنى اغتيال العقول وهو السُّكر فإنه نفى بقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات:٤٧] شيئاً واحداً عنها، فإنّ معنى ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات:٤٧] لا يُنزَفون كمعنى ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات:٤٧] ولكنّ إحداهما صفة الخمرة والأخرى صفة لشاربها.... وأمّا في الواقعة فإنه نفى عنها شيئين: الصداع والسُكر، وهذا أتم.

ثم إنه في الصافات نفى عنهم السُكر فقال: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات:٤٧] بفتح الزاي أي لا يسكرون عنها. .. بينما في الواقعة نفى السُّكر ونفاد الشراب فقال: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ بكسر الزاي، أي أنّ الشارب لا يسكر ولا ينفد، فهذا أتم وأكمل.

٨ـ قال في الصافات: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٨ - ٤٩] وقال في الواقعة: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة: ٢٢ - ٢٣] فذكر في

الصافات صفة جسمانية واحدة، وهي: ﴿عِينٌ﴾والعِين جمع عيناء وهي الواسعة العين في جمال. . وذكر في الواقعة صفتين، وهما ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾[الواقعة:٢٢] والحَوَر البياض.

كما ذكر في الصافات: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات:٤٩] وفي الواقعة: ﴿كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة:٢٣] وأنت تحس الفرق بين تشبيه المرأة البيضاء بالبيضة، وتشبيهها باللؤلؤة المكنونة.

٩ـ وقال في الواقعة: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾﴾[الواقعة: ٢٥ - ٢٦] فنفى سماع الرديء من القول والساقط منه وأثبت الحسن: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا﴾ [الواقعة:٢٦] فكان التنعم بالنفي والإثبات. . ولم يذكر مثل ذلك في الصافات.

فناسب ﴿يُنزَفُونَ﴾ بالبناء للمعلوم ما في الواقعة و ﴿يُنزِفُونَ﴾ بالبناء للمجهول ما في الصافات.

ومّما زاده حسناً قوله في الصافات: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾[الصافات:٤٥] بالبناء للمجهول، فناسب ﴿يُنزَفُونَ﴾ بالبناء للمجهول.

وقال في الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الواقعة:١٧] بالبناء للمعلوم فناسب ﴿يُنزِفُونَ﴾بالبناء للمعلوم.

فانظر كيف ذكر في الواقعة التقريب، وهو يشمل الإكرام وزيادة. . وذكر السرر وزيادة وهي أنها موضونة، وذكر التقابل وزيادة وهو الاتكاء وذكر الطواف وزيادة

وهي الولدان المخلدون، وذكر الكأس وزيادة وهي الأكواب، وذكر العين وزيادة وهي الحور، ونفي السُكر وزيادة وهي عدم النفاد، وزاد نفي اللغو والتأثيم وإثبات السلام.

فيا ترى أين تصلح كلٌ من كلمتي ﴿يُنزَفُونَ﴾ و ﴿يُنزِفُونَ﴾؟ وأين تضعها أنت؟ وهل هذا كلام بشر أم هو تنزيل رب العالمين؟

❁❁❁❁

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٍ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا قُدمت الفاكهة على اللحم في الآيتين[٢٠-٢١]؟ ولماذا خُصصت الفاكهة بالتخيير واللحم بالاشتهاء؟

الجواب:

١- قوله: ﴿وَفَٰكِهَةٍ﴾ بالجر معطوف على جنات النعيم، وهذا العطف في اللفظ للمجاورة لا في المعنى كقولهم: تقلدت سيفاً ورمحاً.

٢- خُصصت الفاكهة بالتخيير واللحم بالاشتهاء؛ وذلك لأنّ الفاكهة تَحْضُرُ عندهم فيتخير المؤمن منها ما يشاء.

وفي كلمة: ﴿يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ولم يقل: يختارون؛ لأنّ في التخير باباً من أبواب التكلف فكأنهم يأخذون ما يكون في نهاية الكمال، وهذا لا يوجد إلا ممن لا يكون له حاجة ولا اضطرار.

أمّا اللحم فالمروي أنّ الطائر يطير فتميل نفس المؤمن إلى لحمه فينزل مشوياً أو مقلياً كما يشتهيه.

٣ـ وقُدمت الفاكهة على اللحم؛ لأنّ الفاكهة دائمة الحضور، واللحم يُشهى ويحضر عند الاشتهاء، وهذا يدل على عدم الجوع؛ لأنّ الجائع حاجته للحم أكثر من الفاكهة.

وحالة المؤمن في الجنة تشبه حال الشبعان في الدنيا، فيميل إلى الفاكهة أكثر؛ ولذلك قدّمها.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ ما كلمات منظومة الحب القلبي في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٣١ .

❊❊❊❊

﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا لم يذكر في كثير من السور الحور العين بالرغم من ذكر الجنات؟

الجواب:

كثير من السور لم يذكر فيها الحور العين بالرغم من ذكر الجنات. وللعلم فقد وردت الكلمات التالية في القرآن الكريم :

الحور: أربع مرات في الآيات [الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الرحمن ٧٢].

عين: أربع مرات في الآيات [الدخان ٥٤ـ الطور ٢٠ـ الواقعة ٢٢ـ الصافات ٤٨].

الجنة (٦٦) مرة.

جنات (٦٩) مرة.

جنتك (٢) مرتان.

جنته (١) مرة واحدة.

جنتي (١) مرة واحدة.

جنتان (٣) مرات.

جنتين (٤) مرات.

ونلاحظ أنه عندما يذكر القرآن الكريم أزواج أهل الجنة لا يذكر معها الحور العين مراعاة لنفسية المرأة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ في آيات [البقرة ٢٥ـ آل عمران ١٥ـ النساء ٥٧] فلم يذكر الحور العين مع الأزواج.

❁❁❁❁

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ [النبأ:٣٥]؟ وما الفرق بين اللغو والتأثيم؟

الجواب :

١ـ بدأ الله ذكر النعم الفعلية وقابلها بأعمالهم حيث قال: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ثم ذكر النعم القولية في مقابلة أذكارهم الحسنة، أي بدأها بالنعم المرئية بالنظر، وختم بمثلها وهي نعمة المخاطبة، فما يعطيهم الله تعالى من النعمة تكون نعمة لم ترها عين ولا سمعتها أُذن ولا خطرت على قلب بشر.

٢ـ (اللغو) هو الكلام غير المعتبر وغير المفيد، وهو مكروه عند المعتبرين من الرجال، وأمّا(التأثيم) فهو منسوب إلى الإثم. والمعنى أنهم لا يتكلمون اللغو ولا يصدر منهم لغو ولا ما يشبه اللغو. والتأثيم أبلغ من الكذب.

٣ـ في آية سورة النبأ ٣٥ يقول الله: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ [النبأ:٣٥] أي لا يسمعون كذباً، ولا أحد يقول لآخر: (كذبت) بعكس الدنيا. والكذاب كثير الكذب.

السؤال الثاني :

ما دلالة الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلًا﴾؟ ولماذا كرر كلمة ﴿سَلَٰمًا﴾؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلًا﴾هو استثناء منقطع؛ لأنّ السلام ليس من جنس اللغو، وقد يكون استثناءً متصلاً مجازاً في المعنى، كأنْ تقول: ما لي ذنب إلا أحبك، فتستثني المحبة من الذنب.

٢ـ قوله: ﴿قِيلًا﴾ هو مصدر، يقال: قال قولاً وقيلاً. واستعمل (قيلاً) لعدم اختصاص هذا القول بقائلٍ معين، ويسمع هذا القول دائماً من الملائكة والناس ومن رب العزة.

٣ـ كرر لفظة: ﴿سَلَٰمًا﴾ إشارة إلى تمام النعمة؛ وذلك لأنّ أثر السلام في الدنيا لا يتم إلا بالتسليم ورد السلام، فكذلك في الآخرة يقولون: ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾.

ثم إنه لمّا قال الله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾[يس:٥٨] لم يكن له رد لأنّ تسليم الله على عبده هو تأمين للعبد، وأمّا الله تعالى فهو منزه عن أنْ يؤمنه أحد، والرد إنْ كان فهو قول المؤمن: (سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين).

السؤال الثالث :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾[الواقعة:٢٦] وقوله: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ﴾ [هود:٦٩]؟

الجواب :

قوله تعالى في سورة هود: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ أتم وأبلغ من قولهم (سلاماً) فأراد إبراهيم عليه السلام أنْ تكون تحيته أفضل.

أمّا هنا في الجنة فلا يتفضل أحد على الآخر مثل التفضل المذكور آنفاً إذ هم من جنس واحد وهم المؤمنون، ولا ينسب أحدٌ إلى أحدٍ تقصيراً.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفائدة في ذكرهم بلفظ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ عند ذكر الأقسام وبلفظ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ عند ذكر الإنعام؟

الجواب :

(الميمنة) على وزن مفعلة أي بموضع اليمين، وفيها دلالة على الموضع كالمحكمة لموضع الحكم. فالأزواج الثلاثة في أول الأمر يتميز بعضهم عن بعض لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الروم:١٤] وقال: ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ فأشار إليهم في الأول بلفظ يدل على المكان، ثم عند الثواب وقع تفرقهم فهم لا يتشاركون في المكان، فذكر النوع أي الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم.

السؤال الثاني :

ما الحكمة من ذكر: ﴿فِى سِدْرٍ﴾ و(السدر) هو من أشجار البوادي ليس بمر ولا حلو ولا طيب؟

الجواب :

١ـ اقتصر المفسرون في الجواب بأنّ الجنة تمثَّل بما كان عند العرب محموداً، وهو صواب لكنه غير فائق، والفائق الرائق الذي هو بتفسير كلام الله لائق، هو أنْ نقول إنَّ البليغ يذكر طرفي أمرين يتضمن ذكرهما إشارة إلى جميع ما بينهما، كما يقال: فلان ملك الشرق والغرب، أي ملكهما وملك ما بينهما.

٢ـ وأوراق الأشجار على نوعين: صغيرة وكبيرة. وأوراق السدر في غاية الصغر وأوراق الموز في غاية الكبر، فقوله: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الواقعة: ٢٨ - ٢٩] فيه إشارة إلى الطرفين جامعة لجميع الأشجار نظراً إلى أوراقها، والورق أحد مقاصد الشجر.

٣ـ ونظيره في الثمار، فقد ذكر الله الأعناب والنخيل: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ [يس: ٣٤] فإنّ النخل من أعظم الأشجار المثمرة والكرم من أصغر الأشجار المثمرة، وبينهما أشجار فوقعت الإشارة إليهما جامعة لسائر الأشجار.

٤ـ قوله: ﴿مَّخْضُودٍ﴾ أي مأخوذ الشوك، ولولا الشوك لكان منتزه العرب وأوراقه كثيرة متداخلة.

٥ـ قوله: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ هو شجر الموز، ومنضود هو صفة إمّا للورق وإمّا للثمر فأوراقه بعضها فوق بعض، وقرط الموز مرتب بعضه فوق بعض.

السؤال الثالث:

ما كلمات منظومة التحصيل الزراعي؟

الجواب:

كلمات منظومة التحصيل الزراعي هي:

جنى: تستعمل للفواكه الموسمية ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن: ٥٤].

حصد: عندما يكون الزرع يابساً، وتستعمل (حصاد) للخير و(حصيد) للشر ﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٥].

خضد: عندما يقطع الزرع وهو أخضر رطب ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾[الواقعة:٢٨].

قطف: وهو كل ما هو حلو المذاق والمنظر. يقال: قطف العنب والعسل ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[الحاقة:٢٣].

❊❊❊❊

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات في بيان أنواع النعيم في الجنة؟

الجواب :

١ـ الظل الممدود: أي الدائم الذي لا زوال له، وظل الأشجار في الجنة ليس مبعثه الشمس كما في الدنيا، بل هو ظل يخلقه الله تعالى.

٢ـ قوله: ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾[الواقعة:٣١] أي مسكوب من فوق، جارٍ في غير أخدود في الهواء.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾[الواقعة: ٣٢ - ٣٣] لمّا ذكر الله الأشجار التي يطلب منها ورقها ذكر بعدها الأشجار التي يقصد منها ثمرها، وهنا توجد نقاط، منها :

أـ قدّم الأشجار المورقة على غير المورقة على طريقة الارتقاء من نعمة إلى نعمة فوقها.

ب ـ ذكر الأشجار المورقة بأنفسها، وذكر أشجار الفواكه بثمارها؛ لأنّ الأوراق حسنها عند كونها على الشجر، وأمّا الثمار فهي مطلوبة في أنفسها سواء كانت عليها أم مقطوعة؛ ولهذا صارت الفواكه لها أسماء تعرف بها أشجارها.

ج ـ وصف الفاكهة بالكثرة لا بالطيب واللذة؛ لأنّ الفاكهة على وزن فاعلة أي ذات فكهة، وهي لا تكون بالطبيعة إلا باللذة، وأمّا الكثرة فحيث ذكر الله الفاكهة ذكر ما يدل على كثرتها؛ لأنها ليست لدفع الحاجة حتى تكون بقدر الحاجة، بل هي للتنعيم فوصفها بالكثرة والتنوع.

د ـ قوله: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ أي ليست كفاكهة الدنيا، فإنها تنقطع في أكثر الأوقات وفي كثير من المناطق.

هـ ـ قوله: ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ أي لا تمنع من الناس لطلب ثمنها.

وقدّم نفي كونها مقطوعة؛ لأنّ القطع للموجود والمنع بعد الوجود؛ لأنها توجد أولاً ثم لا تمنع عن أصحاب الجنة.

٤ـ قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ أي مرفوعة القدر والقيمة، مرفوعة بعضها على بعض فوق السريرعالية.

وقد يُراد من الفرش النساء؛ لذلك جاء بعدها مباشرة : ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾ [الواقعة:٣٥]، والله أعلم.

السؤال الثاني :

إن قيل: ما معنى الظل في الجنة حيث لا شمس فيها وإنما يكون الظل حيث تكون الشمس؟

الجواب :

ظل أشجار الجنة من نور العرش؛ لئلا تبهر أبصار أهل الجنة فإنه أعظم من نور الشمس، وقيل من نور قناديل العرش.

وفرَّق أهل اللغة بين الفيء والظل، فقالوا: الفيء ماكان بالعشي أي بعد الظهر؛ لأنه الذي نسخته الشمس، والظل ما كان بالغداة؛ لأنه لم تنسخه الشمس. وفي الجنة ظل وليس فيء؛ لأنه لا شمس فيها قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾[الواقعة:٣٠] وأنشدوا :

فلا الظل من برد الضحى ولا الفيء من برد العشي يذوق

السؤال الثالث :

قوله تعالى في الآية ٣٣: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ما كلمات منظومة القطع والاجتثاث والنزع؟

الجواب :

الكلمات هي :[اجتث ـ قلع ـ قطع ـ نزع ـ صرم].

انظر التفصيل في آية هود ٤٤.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١﴾ [الواقعة:٣١]، ما أنواع المياه التي وردت في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية سورة محمد ١٥.

❁❁❁❁

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين حميم ويحموم؟

الجواب :

(الحميم) هو الماء الحار ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾[محمد:١٥] من حمّ والحُمّى.

و(الحميم) يأتي من الشيء وضده، حتى أنه يستعمل للماء البارد أيضاً (مشترك لفظي).

و(اليحموم) هو الدخان الأسود الشديد السواد ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾[الواقعة:٤٣].

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآيات في بيان أنواع العذاب لأهل الشمال؟

الجواب :

١ـ في هذه الآيات ذكر السموم والحميم إشارة من الأدنى إلى الأعلى فالهواء والماء أبرد الأشياء، ومع ذلك فالهواء سموم والماء حميم، فما ظنكم ياكفار بالنار؟ ! أو كأنه قال للكفار: أبردُ الأشياء لكم أحرُّها فكيف حالكم مع أحرِّها؟ !!

والسموم هي ريح حارة أو هي هواء متعفن يُمرض أو يقتل غالباً وأصله من السم كسم الحية ينفذ في المسام فيفسدها.

٢ـ والحميم هو الماء الحار، واليحموم اسم من أسماء جهنم معناه الدخان الحار المظلم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾[الواقعة:٤٤] أي لا بارد فيطلب ولا ذو كرامة أُعد للجلوس فيه. فلا مدح فيه أصلاً لا حساً ولا عقلاً.

❁❁❁❁

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (مِتم) بكسر الميم و(مُتم) بضم الميم؟

الجواب :

١ـ الموت في (مات) بالفعل الماضي ومنسوب إلى المتكلم أو المتكلمين قد ورد في أحد عشر موضعاً في القرآن الكريم.

٢ـ لفظة: ﴿مِتُّ﴾ للمتكلم أو المتكلمة بكسر الميم، كما في سورة مريم: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾[مريم:٢٣] و ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾[مريم:٦٦]، و ﴿أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾[الأنبياء:٣٤].

٣ـ لفظة :﴿مِتُّمْ﴾ في سورة المؤمنون: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ [المؤمنون:٣٥]، و ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[آل عمران: ١٥٧ - ١٥٨].

٤ـ لفظة :﴿مِتْنَا﴾ في سورة المؤمنون ﴿ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٢]، والصافات ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الصافات:١٦]، ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الصافات:٥٣]، ق ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾[ق:٣]، والواقعة ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الواقعة:٤٧].

٥ـ حيثما وردت (مِتم) بكسر الميم في الأحد عشر موضعاً الميم مكسورة عند [نافع، يعني أهل المدينة، والمغرب العربي، حمزة والكسائي].

٦ـ وحيثما وردت (مُتم) بضم الميم في الأحد عشر موضعاً الميم مضمومة عند [ابن كثير (مكة)، ابن عامر (بلاد الشام) وأبي عمرو (البصرة) وشعبة عن عاصم (قبائل من الكوفة)].

٧ـ حفص عن عاصم وحده (كسر الميم) في تسعة مواضع، و(ضمّ الميم) في موضعين.

٨ـ الراوي هو ناقل لما يسمع ممن سمع عن رسول الله عليه السلام ولا يتصرف، ومعناه (شعبة عن عاصم) في الأحد عشر موضعاً ضم الميم بينما (حفص عن عاصم) روى بكسر الميم إلا في آل عمران في الموضعين قال: مُتم، لِمَ؟ لا يمكن أنْ نقول: لِمَ، سوى بقولنا: إنّ القبائل قرأت هذا عن رسول الله عليه السلام.

والقراءات كلها عن رسول الله عليه السلام، فهذه لهجاتها، وهي هكذا تنطق.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال التعبيرين ﴿تُرَابًا وَعِظَامًا﴾/ ﴿عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾في القرآن الكريم؟

الجواب :

الرفات: هو الفتات والحُطام من كل شيء، فإذا بلي الرفات أصبح تراباً؛ ولذلك فإنّ (التراب والعظام)أدل على البلى من (العظام والرفات) لسبب ما ذُكر آنفاً.

ولذلك بَعْث (التراب والعظام) أبعد في عقول المنكرين وأغرب من بعث (العظام والرفات)، وهذا يتضح من السياق الذي يرد فيه كل من التعبيرين.

١ـ وردت ﴿تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ في أكثر من موضع في القرآن، وهذا شيء طبيعي؛ لأنه عندما تنبش القبر تجد أولاً التراب ثم العظام. انظر الآيات [المؤمنون٣٥ـ ٨٢ـ الصافات ٥٣ـ الواقعة ٤٧].

٢ـ بينما وردت ﴿عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾مرتين في سورة الإسراء [٤٩ـ٩٨].

٣ـ آية الإسراء ٤٩ كانت في مناقشة أحد المشركين لرسول الله عليه السلام وفي يده عظم فكسره وطحنه بيده فأصبح العظم رفاتاً لا تراباً، أي فيه أجزاء مكسرة، فناسب هنا ﴿عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾.

٤ـ في آية الإسراء ٩٨ أعاد العبارة نفسها؛ لأنه أعاد ذكر الحالة.

٥ـ القرآن يعبّر عن أقوالهم وليس نقل أقوالهم نفسها، فيمكن أنهم قالوا مثلاً: أهذا العظم بعد أنْ كسرته وصار فتاتاً أيعود؟

وكلام الله لا يشبهه بشر، حتى أنّ عبارة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (وافقت ربي في ثلاث)، لم يقل (وافقني ربي)، وإنما يعني: عبارته جاءت بالمعنى الذي جاء به القرآن، فهو لم يوافقه في لفظه، وإنما في المعنى العام.

٦ـ أنه حيث ذكروا: التراب والعظام أضافوا إلى ذلك ذكر الموت فيقولون ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ وذلك للزيادة في العجب وللتوسع في الاستبعاد والإنكار، فالميت لا يحيا وإنْ كان حديث الموت، فكيف إذا أصبح تراباً وعظاماً؟

ولم يُذكر مثل ذلك مع العظام والرفات.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[الشعراء:٣٨] و ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾[الواقعة:٥٠] ما الفرق بين استخدام (اللام) و(إلى)؟

الجواب :

١ـ اللام قد تكون للتعليل، ومن معانيها: التعليل، مثل قولنا: جئت للاستفادة، هذه لام التعليل، وقد تأتي اللام للانتهاء.

٢ـ أمّا (إلى) فمعناها الأساسي: الانتهاء.

* شواهد قرآنية :

﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[فاطر:١٣] للتعليل، كما تقول: أنا أعددتك لهذا اليوم، كنت هيأتك لهذا اليوم.

﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[لقمان:٢٩]. أي يجري إلى الأجل المسمى عند الله.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[الشعراء:٣٨] جمعناهم لغرض هذا اليوم وما فيه حتى نبين حقيقة موسى عليه السلام، أعددناهم لهذا ليوم.

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة:٥٠] أي مسوقون إلى ميقات يوم معلوم، يخرجون من الأجداث سراعاً، يتبعون الداعي لا عوج له، ثم يأتون إلى مكان محدد يجتمعون فيه، أي منتهى الغاية.

❁❁❁❁

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الواقعة:٥١] في سورة الواقعة، ثم يقول: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الواقعة:٩٢] فلماذا تقدمت (الضالون) في الآية الأولى دون الثانية؟

الجواب :

١ـ في الآية الأولى ٥١ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ الله تعالى يقولها حكاية ويخاطبهم وهم في الدنيا والضال قد يهتدي.

وأمّا الثانية فهي في يوم القيامة والأمر انتهى.

٢ ـ في الآية ٥١ ذكر الضالين وهم الذين صدر منهم الإصرار على الحنث العظيم، وهو الشرك، فضلّوا ولم يصلوا إلى الإيمان وذلك ضلال عظيم ثم كذبوا رسله وقالوا: ﴿أَئِذَا مِتْنَا﴾ فكذبوا بالحشر، فكأنه قال: (أيها الضالون الذين أشركوا، المكذبون، الذين أنكرتم الحشر لتأكلون ما تكرهون).

وأما في الآية ٩٢ فقال لهم: (أيها المكذبون الذين كذبتم بالحشر، الضالون، الذين لا يهتدون إلى النعيم).

٣ ـ وقيل إنّ الخطاب في الآية ٥١ هو للكفار، فكأنه قال: ياأيها الذين ضللتم أولاً وكذبتم ثانياً.

وأما الخطاب في الآية ٩٢ فهو للرسول عليه السلام يبين له حال الأزواج الثلاثة، فقال: المقربون في روح وريحان وجنة نعيم، وأصحاب اليمين في سلام، وأمّا المكذبون الذين كذّبوا فقد ضلوا، فقدّم تكذيبهم إشارة إلى كرامة النبي عليه السلام، حيث بيّن أنّ أقوى سبب في عقابهم تكذيبهم للرسول عليه السلام. والذي يدل على أنّ الكلام هناك مع الرسول عليه السلام قوله: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾[الواقعة:٩١].

٤ـ الزقوم: طعام أهل جهنم، وهو في الطعم مر وفي اللمس حار وفي الرائحة منتن وفي المنظر أسود.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات بالمقارنة مع الآيات (٦٣ـ٦٥) و(٦٨ـ٧٠) و(٧١ـ٧٣)؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٦٠] بمعنى أنّ هذا الحيوان المنوي نحن قادرون على أنْ نميته، وهذا تحدٍّ.

وكذلك بالنسبة للزرع ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة: ٦٣ - ٦٥] إنه تحدٍّ كذلك.

ولمّا ذكر تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٨ - ٧٠] هذا تحدٍّ أيضاً؛ لأنّ الماء المالح غير صالح للشرب.

أمّا مع النار فتغير الأسلوب وقال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة: ٧١ - ٧٣] ربنا لا يريد أنْ يطفئ هذه النار؛ حتى تبقى تذكرة للناس بالعذاب إلى يوم القيامة.

السؤال الثاني :

ما وجه الترتيب في الآيات (٥٨_٧٤)؟

الجواب :

١_ الله سبحانه أنعم على الإنسان أولاً بإيجاده، ثم أنعم عليه بما يحتاج إليه من طعامه، ثم ما يحتاج إليه من شرابه، ثم ما يحتاج إليه في إصلاح ذلك، وهو النار.

٢_ فختم الأولى بـ ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ حثاً على النظر كيف خلق وعلى قدرة الله في البعث بعد الموت.

٣_ وختم الثانية والثالثة: الطعام والشراب، بقوله: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لأنّ نعمه تستوجب ذلك.

وللعلم فإنّ مادة (الشكر) تتعدى إلى النعمة تارة وإلى المُنعم تارة أخرى فإن عُديت إلى النعمة تعدت إليها بنفسها دون حرف الجر، كقوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ وإن عُديت إلى المُنعم تعدت إليه بحرف الجر وهو اللام، كقوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾

السؤال الأول :

هل كلمة (الزُرّاع) جمع زارع؟ وفي سورة الواقعة قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ولم يستعمل (الزُرّاع)، فلماذا؟

الجواب :

١ـ الزُرّاع: جمع (زارع) مثل كُتّاب وكاتب ووعّاظ وواعظ. وعندنا (زارعون) جمع.

وأحياناً الكلمة يكون لها أكثر من جمع مثل كلمة (ساجد) تُجمع على سُجّد ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح:٢٩] وسجود ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة:١٢٥] وساجدين ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء:٢١٩] فيكون هناك أكثر من جمع للكلمة.

وكذلك كلمة (ميّت) تُجمع على (ميّتين) ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الصافات:٥٨] وموتى ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فُصِّلَت:٣٩] وأموات ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [البقرة:١٥٤] وكلها جموع، و تختلف بين القِلّة والكثرة ودلالات أخرى.

٢ ـ وفى سورة الواقعة عندما يذكر ضمير التعظيم يذكر جمع المذكر السالم، فاستخدم (زارعون).

﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة اللام في قوله: ﴿لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ في سورة الواقعة وحذفها في ﴿جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ وفي النار ﴿جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾؟

الجواب :

١ـ قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة: ٦٣ - ٦٥] والآية تتحدث عن الزرع.

أما الآية الثانية ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٨ - ٧٠] فهي تتحدث عن الماء.

٢ـ الآيتان فيهما تهديد، الأولى أنه تعالى لو شاء أنْ يجعل الزرع حطاماً فلا يمكن أنْ يكون طعاماً يؤكل أو يستفاد منه، وهذه عقوبة أشد من جعل الماء أجاجاً؛ لأنّ الماء الأجاج يمكن أنْ يُحوّل إلى ماء عذب، والتهديد لم يأت في الآية بغور الماء كلياً كما في تهديد جعل الزرع حطاماً، فكانت العقوبة في الزرع أشد من العقوبة في الماء، فجاء باللام لتأكيد التهديد في آية الزرع، وحذفها من آية التهديد بالماء، وهذه اللام تُسمى اللام المؤكدة.

٣ـ أمّا في النار فلم يذكر تحذيراً أو تهديداً، وإنما ذكر حالتها فقط: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

[الواقعة: ٧١ - ٧٣] لم يقل: لو نشاء لذهبنا بها؛ لأنّ الناس يمكن أنْ يعيشوا بلا نار، لكنْ لا يمكنهم أنْ يعيشوا بلا طعام أو ماء.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في سورة طه: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ﴾ [طه:٩٧] الفعل الوحيد (ظلت) هو الذي ورد بهذه الصيغة وهي حذف أحد حرفي التشديد، مع أنّ المقام مقام مبالغة في العكوف، وليس مقام تقليل إذا اعتمدنا أنّ الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى، وكذلك في سورة الواقعة ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥﴾ فما العِلة من ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ٩٧.

❁❁❁❁

﴿إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٦٧﴾

السؤال الأول :

ما تفسير الآيات ﴿إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٦٧﴾ [الواقعة: ٦٦ - ٦٧]؟ وما دلالة استخدام لفظ الجمع (إنا ونحن)؟ لماذا أكّد الآية ٦٦ دون الآية ٦٧؟

الجواب :

١ـ المُغرَم: معناه: المدين الذي أثقلته الديون، نحن نستعمل المغرم بمعنى الذي وقع في الغرام، المُغرَم معناه يتقاضاه كما يتقاضى الغريم دينه. فإذن المُغرَم هو المدين، والمدين يتقاضاه الدائن.

٢ـ المحروم: مقتصر على نفسه وليس عنده شيء، لكن ليس بالضرورة أن يكون مديناً يتقاضاه أحد.

إذن المغرم مدين يتقاضاه الدائن، وأمّا المحروم فليس بالضرورة. إذن المُغرَم هو محروم وزيادة.

٣ـ أيهما الأولى بالتوكيد بالخسارة؟ المُغرم أولى بالتوكيد؛ لذا جاءت الآية ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾؛ لأنّ المغرم والمحروم ليسا بدرجة واحدة، المُغرم مطلوب يتقاضاه الدائن ويطلبه، والمغرم هو محروم وزيادة، فهو أولى بالتأكيد من حيث الخسارة، أمّا المحروم فهو محروم فقط، وهذه قاعدة رياضية.

❁❁❁❁

﴿ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في هذه الآية؟ وما دلالة المقوين؟

الجواب:

الكلام في الآية عن النار، و(المقوين) هم المسافرون الذين يذهبون في القواء، والقواء هو القفر.

وقسم قالوا: (المحتاجين)، قالوا القواء قد يكون بمعنى الاحتياج، وإذا كان بهذا المعنى ستكون من المشترك اللفظي؛ لأنّ المفردات أحياناً تشترك في أكثر من معنى.

لذلك قسم قال: القواء هو الاحتياج. و(المقوين) يعني المحتاجين، وقسم قالوا: هم المسافرون الذين ذهبوا في القواء، والقواء يعني القفر ويحتاجون النار في القفر إمّا للاستدفاء أو الطعام.

والنار(تذكرة) تذكرهم بالآخرة فهي تذكرة من ناحية، ومتاع من ناحية أخرى، متاع للانتفاع بها كما تذكر بالنارفي الآخرة؛ لأنه لو لم يعلموا النار كيف يذكرهم بالنار؟ فلا بدّ أنْ يعرفوها حتى يحذرهم ويخوفهم، فجعلها ربنا تذكرة ومتاعاً للمقوين.

وهذا اللفظ (متاعاً للمقوين) جيء به للامتنان، أي وهي أيضاً لغير المقوين من الحاضرين بالعمران.

❁❁❁❁

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة القسم؟ وما أركانه؟

الجواب :

القسم من أساليب التوكيد، وهو يتكون من ثلاثة أركان :

١ـ أدوات القسم: مثل الواو، الباء، التاء.

٢ـ المقسم به: مثل لفظ الجلالة (الله) أو بعض الألفاظ التي جرى استعمالها كمقسم به.

٣ـ جواب القسم: ويكون إمّا جملة اسمية مثبتة مع وجوب تأكيدها بإنّ وباللام أو بإنّ وحدها، مثل: (والله إنّ فاعلَ الخير لمحبوبٌ)، أو (والله إنّ فاعل الخير محبوبٌ).

أوجملة فعلية مثبتة فعلها ماضٍ مع تأكيد الجواب بقد واللام، أو قد وحدها، مثل: (والله لقد أطعتِ أمرك) أو(تالله قد أطعت أمرك).

أو جملة فعلية فعلها مضارع مثبت، ويؤكد بلام القسم ونون التوكيد نحو قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾[الأنبياء:٥٧].

أمّا إذا كان جواب القسم منفياً فإنه لا يؤكد، سواء كان جملة اسمية أو فعلية، مثل: (والله لا نجاح إلا بالمثابرة)، (والله ما يضيع مجهودك).

لمزيد من المعلومات انظر التفاصيل في آية سورة يوسف: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾[يوسف:٨٥].

السؤال الثاني :

ما الفرق في الاستعمال القرآني بين (أقسم) و(حلف)؟

الجواب :

١ـ كل قَسَم ورد في القرآن بلفظ (الحلف) فيه معنى الحنث أو الحلف الكاذب.

* شواهد قرآنية :

[المائدة ٨٩ ـ المجادلة ١٤ ـ التوبة ١٠٧].

٢ـ وأما القسَم فهو عام استعمله القرآن في الكذب والصدق.

* شواهد قرآنية:

[الأعراف ٢١ـ ابراهيم ٤٤ ـ النور ٥٣ ـ الواقعة ٧٥ـ٧٦ ـ المعارج ٤٠].

السؤال الثالث :

ما دلالة القسم ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ حيثما أقسم الله في القرآن الكريم ذاكراً فعل القسم ﴿أُقۡسِمُ﴾ جاء بـ (لا) قبله فلم يقل مرة: أقسم بكذا، بل كل ما ورد ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾.

وكذلك جاءت (لا) في قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾[النساء:٦٥].

٢ـ وقد تكررت لفظة: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ تسع مرات في القرآن الكريم.

٣ـ لفظة: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ لون من ألوان القسم في اللغة العربية. فعندما تخبر صاحبك عن أمر يجهله أو ينكره قد يحتاج إلى قسم لتوكيده، لكنك تقول له: لا داعي لأنْ أحلف لك على هذا، وهذا مستعمل في اللغة الدارجة عندنا. تقول مثلاً: ما أحلف لك أنّ الأمر كيت وكيت فأنت تخبره بالأمر، وتقول له لا داعي للحلف بالمعظمات على هذا الأمر.

أو تقول لصديقك: لا أريد أنْ أحلف إنْ قدمت فزرنا، أو لابنك: ما أريد أنْ أوصيك بالدراسة، وأنت تريد حقا توصيته بها. فهذا من هذا الضرب والله أعلم.

٤ـ لذلك يكون معنى ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ أنّ هذا الأمر أمر واضح لا يحتاج إلى قسم، ومع ذلك سأقسم لك، ونفي القسم هنا أشد من القسم المثبت؛ لأنّ القسم إنما يأتي لتأكيد المقسم عليه.

وبصورة مختصرة (لا) إمّا للتوكيد، وإمّا نافية بقصد تعظيم المقسم.

* أمثلة للتوكيد :

والله لا أفعل: قسم يفيد أنه لا يفعل.

لا والله لا أفعل: قسم يفيد أنه لا يفعل مع زيادة التوكيد بـ (لا).

لا أريد أن أوصيك بالدراسة: نفي ظاهري يفيد التوكيد.

* مثال لتعظيم المقسم.

لا أقسم: أي أنّ هذا الأمر أمر واضح لا يحتاج إلى قسم، ومع ذلك سأقسم لك.

السؤال الرابع :

ما فلسفة القسم؟

الجواب :

من فلسفة القسم أنْ يكون المقسمُ به أعظمَ من المقسم عليه، فإذا كان المقسم به في مرتبة المقسم عليه، أو كان المقسم به أدنى مرتبة من المقسم عليه عندها لا يكون القسم في حقيقته إلا في الشكل.

*شواهد من القرآن الكريم :

أ ـ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠﴾ [المعارج: ٤٠] ـ

المقسم به: رب المشارق والمغارب.

المقسم عليه: القدرة.

المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية في المرتبة نفسها أي الخالق عزّوجلّ وقدرته.

ب ـ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢)﴾ [القيامة: ١ - ٢].

المقسم به: يوم القيامة والنفس اللوامة.

المقسم عليه: قدرة الله على البعث.

لا شك أنّ المقسم عليه، وهو صفة من صفات الله تعالى هو أعظم من يوم القيامة وأعظم من النفس اللوامة.

ومن هنا نجد أنّ القرآن الكريم استخدم ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ لأنّ القسم في حقيقته هنا قسم في الشكل، ولا ينسجم مع فلسفة القسم كما أوردنا.

وحيث إنه لا أعلى مرتبة من الله تعالى وهو المقسم به، وكل المقسم عليه هو أدنى مرتبة من المقسم به؛ لذلك لا يوجد قسم من الله تعالى في القرآن يستحق لفظة (أقسم)، وإنما هو في حقيقته قسم في الشكل. والله أعلم.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩
تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾

السؤال الأول :

ما تفسير كلمة (المطهرون) في الآية: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾[الواقعة:٧٩]؟

الجواب :

١ـ المطهَّرون هم الملائكة، والمُطهّر اسم مفعول، وهي تعني: مُطهّر من قِبَل الله تعالى، والقرآن الكريم لم يستعمل (المطهّرين) للبشر مطلقاً وإنما يستعمل (متطهرين).

كما في الآيات:

﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾[البقرة:٢٥].

﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤﴾[عبس: ١٣ - ١٤] فإذن (المطهَّرون) لم تأت في القرآن للبشر، إنما أتت في أزواج الجنة. وقوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾[الواقعة:٧٩] مكنون أي: محفوظ، ولا تستطيع الشياطين أن تمسه.

٢ـ ثم إنه من حيث اللغة (لا) هنا نافية، وليست ناهية في هذه الجملة ولا يمكن أنْ تكون ناهية في النحو بدليل أنّ الفعل مرفوع ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ولو كانت ناهية تجزم، إمّا أن يقول: (لا يمسسه) وإمّا يقول: (لا يمسَّه) بالفتح. (في حالة التقاء ساكنين)

لذلك لا يمكن في النحو أنْ تكون (لا) ناهية هنا في هذا الموطن، وإنما نافية قطعاً من الناحية النحوية.

لذلك فإنّ (لا) هنا نافية، و(المطهرون) في القرآن لم تستعمل للبشر، وإنما استعملت للملائكة أو الأزواج في الجنة. ويستعمل للبشر [المتطهرين والمطهِّرين].

٣ـ وهذه الآية من الناحية اللغوية لا تنص شرعاً على عدم جواز مس المصحف إلا بوضوء إلا إذا كان في الأحاديث ما ينصّ على ذلك. وهناك حديث عن عدم جواز مس المصحف للجُنُب. وإذا كان هناك نصٌّ يحكم فهو يحكم بدلالته، لكن ليس بدلالة هذه الآية.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ ـ قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾[الواقعة:٧٧] أي هو مقروء كريم لا يهون بكثرة التلاوة، ويبقى أبد الدهر كالكلام الغض والحديث الطري. ومن هنا وُصف القرآن بالحديث، فهو قديم يسمعه السامعون كأنه كلام الساعة. وجاءت الآية بالصيغة الاسمية المؤكدة بإنّ واللام.

٢ـ قوله: ﴿ فِي كِتَٰبٖ ﴾[الواقعة:٧٨] هو اللوح المحفوظ، والمكنون هو المحفوظ. وفائدة كونه ﴿ فِي كِتَٰبٖ ﴾ هو لتأكيد الرد على الكفار؛ لأنهم كانوا يقولون: إنه مفترى، فلمّا قال (مقروء) اندفع كلامهم.

وأمّا قوله: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨﴾ [الواقعة:٧٨] فهو ردٌّ على من قال: إنه أساطير الأولين.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾[الواقعة:٧٩] الضمير عائد على الكتاب أو هو عائد إلى ما عاد إليه المضمر من قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾، ومعناه: لا يمس القرآن إلا المطهرون، والصيغة إخبار، لكنّ الخلاف هل هو بمعنى النهي؟

والمطهرون: هم الملائكة طهرهم الله في أول أمرهم وأبقاهم كذلك طول عمرهم، ولو كان المراد نفي الحدث لقال: لا يمسه إلا المتطهرون أو المطّهّرون.

و بالطبع لا ينصرف النفي إلى النهي إلا بدليل أو نص.

٤ـ قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾[الواقعة:٨٠] مصدر، والقرآن الذي في كتاب ليس تنزيلاً، إنما هو منزّل، فذكر المصدر وإرادة المفعول.

والتنزيل والمنزل كلاهما مفعولان ولهما تعلق بالفاعل، لكنّ تعلق الفاعل بالمصدر أكثر، وتعلق المفعول عبارة عن الوصف القائم له.

ومن ناحية أخرى قد يُذكر المفعول ويُراد به المصدر، كما في قوله: ﴿مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾ أي دخول صدق أو إدخال صدق. وقال تعالى: ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي تمزيق، فالممزق من التمزيق كالمنزل من التنزيل وعلى العكس سواء.

وفي البلاغة أنّ الفعل لا يُرى والمفعول به يصير مرئياً، والمرئي أقوى في العلم، وهو فعل معلوم لكل أحد، فيصير التمزق هنا كما صار الممزق ثابتاً مرئياً.

٥ـ قوله: ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ هو لتعظيم القرآن؛ لأنّ الكلام يعظم بعظمة المتكلم.

❁❁❁❁

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤﴾

السؤال الأول :

الوفاة والموت، هل لحظة الوفاة تعتبر هي اللحظة التي لا تقبل فيها التوبة؟ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣﴾ [الواقعة:٨٣] أي في حالة الغرغرة؟

الجواب :

هذا سؤال فقهي، لكنْ نقول إنّ الوفاة حالة غير اختيارية، أي أنه ليس عالماً بما يفعل؛ لأنهم يقولون: الوفاة هي النوم ،فإذا لم يكن عالماً ما يفعل أو مختاراً فالتوبة لا تقع.

السؤال الثاني :

ما تفسير الآية ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤﴾ [الواقعة:٨٤] فهل يمكن أنْ يبصر الإنسان الملك الذي يقبض روحه؟

الجواب :

هذه فيها أحاديث، والقرآن يشير إلى هذا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ [فُصِّلَت:٣٠] هذا قيل عند النزع.

وفي الحديث عند النزع أنّ الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها الروح الطيبة من هذا الجسد الذي تعمرينه إلى روح وريحان ورب غير غضبان. وهناك أكثر من

حديث في هذا فيه تبشير لهؤلاء، وفيه إنذار للآخرين، كما في الآيات: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام:٩٣] هذا عند النزع، وعند سكرات الموت ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾[الأنعام:٩٣] هذه في السكرات.

إذن هناك أحاديث أنه عند النزع يبشر المؤمن ويهان الكافر ويضرب ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾[الأنفال:٥٠].

ونفهم من قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٤ – ٨٥] أنتم تنظرون إلى الميت حين النزع، لكن لا تبصرون نحن لا نبصر لكن الميّت هو الذي يُبصر.

هناك فرق بين (الإبصار) و(النظر)، فالإبصار هو وقوع الرؤية، وأمّا النظر فليس بالضرورة، وعندما نقول (أبصر) فهو إدراك الشيء، بينما أنا أنظرإلى الهلال فليس بالضرورة أني أراه، لكن إذا أبصرت الهلال فقد وقعت الرؤية.

❀❀❀❀

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

السؤال الأول:

عرّف (النعيم) باللام وقال: في آخر السورة ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الواقعة:٨٩] والمذكور في آخر السورة هو واحد من السابقين فله جنة واللفظ نكرة ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ وهذه معرفة بالإضافة، فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الواقعة ١٢.

❁❁❁❁

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾

السؤال الأول :

قدّم الضال على المكذب في الآية ٥١ وعكس الوضع في الآية ٩٢ فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الواقعة ٥١.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الواقعة مع خواتيمها :

ذكر في أولها الواقعة ونهاية الأرض: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾[الواقعة: ٤ -٦].

وذكر انقسام الخلق إلى أزواج ثلاثة: أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، فذكر المقربين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

وذكر في خاتمة السورة خاتمة الإنسان، وذكر أقسامه، وهي الأقسام التي ذكرها في أول السورة، فقال :

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: ٨٨ – ٩٤].

فالمناسبة ظاهرة لا تحتاج إلى بيان. والله أعلم.

سورة الحديد

أولاً - تناسب خواتيم الواقعة مع فواتح الحديد :

ختمت سورة الواقعة بقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[الواقعة:٩٦].

وافتتحت سورة الحديد بقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد:١].

جاء في (روح المعاني): ((وجه اتصالها بالواقعة أنها بُدئت بذكر التسبيح وتلك ختمت بالأمر به. وكان أولها واقعاً موقع العلة للأمر به فكأنه قيل: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[الواقعة:٩٦]؛ لأنه سبح له ما في السماوات والأرض)).

ثانياً - هدف السورة : التوازن بين المادية والروحانية :

السورة مدنية، وهي تدل في آياتها على أنه علينا التوازن بين المادية والروحانية، وتحدثت السورة عن نوعين من الناس: الماديين الذين أخذتهم الحياة، وخاطبهم الله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد:١٦]، وتكلمت عن الذين عاشوا في روحانية مطلقة وخاطبهم الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ

﴿٢٧﴾ [الحديد:٢٧] والنموذجان لم يستطيعا أنْ يكملا حمل الرسالة والمنهج. وجاءت الآية بعد خطاب الماديين: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد:١٧] أنّ الله الذي يحيي الأرض بعد موتها، فالله تعالى هو القادر على إحياء الأرض بعد موتها، قادر على أنْ يحيي القلوب في الصدور.

فالسورة تقول مخاطبة أمة محمد: أنتم لستم ماديين كبني إسرائيل ولستم متفرغين للروحانية كالنصارى، إنما أنتم متوازنون بين الاثنين.

وفي السورة آية محورية هي من أهم آيات السورة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد:٢٥] فقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد:٢٥] تدل على الروحانية، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ تدل على الماديّة.

وعليها سميّت السورة: (الحديد) وفي قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحديد:٢٥] إشارة إلى استعمال الحديد في الصناعات وعدة الحروب والغواصات والمدافع والسيوف والرماح.

فيا أمّة محمد عليه السلام يا أمّة الحديد وأمّة الإيمان وازنوا؛ لأنّ الكون كله متوازن؛ ولذا بدأت السورة بعرض كل المتضادات في الكون وكل شيء متوازن بأمر الله تعالى، فهل يعقل أنْ تكون أمة سورة الحديد ليس لديها تكنولوجيا؟ فعلينا أنْ نهتم بالصناعات التي فيها قوة الإنسان في السلم وفي الحرب وعدّته في البنيان والعمران.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

نظرة عامة:

تبدأ سورة الحديد بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد:١] هل لها علاقة بما قبلها؟

سورة الواقعة والتي تنتهي بقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة:٩٦] قال بعدها: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد:١] يعني: لقد سبّح لله، فسبِّح أنت توافق مع ما في السموات والأرض، هؤلاء كلهم سبحوا الله سبحانه وتعالى فسبِّح أنت باسم ربك العظيم. لا شك أنّ هذه مناسبة بيانية لطيفة.

❁❁❁❁

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ﴾ ما معنى كلمة التسبيح؟ وهل له أنواع؟

الجواب :

١ـ التسبيح هو التنزيه عما لا يليق، وأصل التسبيح هو التنزيه ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ أي نزّهه، وكل شيء يسبح بحمد الله بما نفقه وبما لا نفقه من تسبيحهم ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤] والطير تسبّح والأشجار تسبّح، وكل شيء يسبح ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد:١٥] ولكن لا نفقه تسبيحها.

٢ـ التسبيح هو التنزيه عن كل ما لا يليق عن كل نقص، سواء أنْ تقول لله ولد، أو تشبهه بخلقه، أو أي شيء لا يليق بذاته.

٣ـ التسبيح ورد في صور شتّى: ورد التسبيح بالفعل الماضي ﴿سَبَّحَ﴾ وورد بالفعل المضارع ﴿يُسَبِّحُ﴾ وورد بفعل الأمر ﴿فَسَبِّحْ﴾ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾[الأعلى:١] وورد باسم المصدر ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[الإسراء:١] كل هذا ورد في القرآن، لماذا؟

(سبّح) للزمن الماضي، (يسبح) للزمن المضارع للحال والاستقبال والمضارع يفيد للاستقبال كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج:١٧] فهذا في يوم القيامة، حتى أنّ بعض النحاة قالوا :هو للاستقبال أولاً ثم للحال. و ﴿سَبِّحِ﴾ بصيغة فعل الأمر وهو يدل على أنْ تبدأ به وتستمر، و(سبحان) اسم مصدر. واسم المصدر قريب من المصدر، و(سبحان) معناه أن الله علمٌ على التنزيه.

ونلاحظ أنّ الفعل مرتبط بزمن وبفاعل حتى يكون فعلاً، وأمّا المصدر فهو الحدث المجرّد الذي ليس له زمن ولا فاعل.

٤ـ إذن صار التنزيه استغراق الزمن الماضي ﴿سَبَّحَ﴾ والحال والمستقبل ﴿يُسَبِّحُ﴾ والأمر بالتسبيح ومداومته ﴿سَبِّحِ﴾ وسبحان بالمصدر، لأنّ التسبيح لله وإنْ لم يكنْ هناك من لم يسبح في السموات والأرض قبل الزمان وبعد الزمان، إنْ كان أحد أو لم يكنْ، فهو يستحق التنزيه سبحانه سواء كان هناك من يسبح بفاعل أو بدون فاعل، فاستغرق

جميع الأزمنة وقبل الأزمنة وبعد الأزمنة، واستغرق الخلق وما قبل الخلق وما بعد الخلق.

٥ـ ورد التسبيح بصيغ مختلفة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى:١] فذكر الاسم، و﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب:٤٢] لم يذكر الاسم وذكر المفعول به مباشرة (سبّحوه) و ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى:١] فعل متعد بنفسه بالاسم، و﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ سبّح متعد بالباء، فالتعدية بالاسم وبالحمد.

٦ـ ﴿سَبَّحَ﴾ هو في الأصل فعل متعد. والفعل اللازم هو الذي يكتفي بفاعله ولا يأخذ مفعولا به، مثل ذهب ومشى ونام ،وأمّا الفعل المتعدي فيتعدى إلى مفعول به مثل: أعطى، وأحياناً يكون متعدياً إلى مفعولين أو يذكر مفعولاً واحداً.

وأحياناً يُستعمل المتعدي كاللازم بحسب الحاجة، مثلاً نحو: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضُّحى:٥] ماذا يعطيك؟ أطلق العطاء ولم يقيّده بأمر معيّن. وقالوا: يستعمل استعمال اللازم. وأحياناً لا يذكر المفعول به أصلاً كما في الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس:٦٧] الفعل (سمع) متعد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٥٢] (علم) تأخذ مفعولين وما ذكرها؛ لأنه أراد الفعل بالذات ولم يُرِد المتعلق.

وقد نستعمل المتعدي كاللازم عندما نريد الفعل لكن ليس مرتبطاً بالمفعول به، كما تقول مثلاً: فلان يعطي ويمنع، ماذا يعطي؟ وماذا يمنع؟ كما في الآية :﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه:٤٦] هو يسمع ويرى ولا يقيّد بشيء معين.

السؤال الثاني :

﴿سَبَّحَ﴾ يستخدمه القرآن (متعدياً بنفسه) مرة أو بـ (حرف جرّ) مرة أخرى ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ فهل هناك من فرق بياني؟

الجواب :

١ـ (سبّح) أي نزّه، (سبّح لله) اللام للتعليل بمعنى الإخلاص، أي تسبّحه لأجله، كما في الآية: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[الأنعام:١٦٢] ويسمونها لام التعليل لبيان العِلّة، وهي تدل على الإخلاص.

فقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ أي أخلص التسبيح له، فمن صلّى ولم يُصَلِّ لله فلا تقبل صلاته؛ لأنه لم يُصَل لله، هو قام بالفعل لكنْ لم يصل لله لأنه لم يُخلِص، ولو سبّح أمام الناس لكنْ لم يكن التسبيح لله فهو لم يسبح لله، هذا هو الإخلاص وهومعقد النية التي تتحول إلى عبادة.

٢ـ إذن هناك فرق بين: ﴿سَبَّحَ﴾ أي قام بالفعل، لكنْ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ معناه أنه قام بالفعل وأخلص التسبيح له، ولو نسك لغير الله فلا يُقبل.

وإذا تعدى الفعل بنفسه نحو: (سبّحه) معناه: قام بالفعل، وأمّا ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ فاللام للتعليل، أي لأجله. إذن ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ أي سبّح الله بإخلاص.

السؤال الثالث :

يقول تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الحديد:١] ومرة يقول: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الحشر:١] فهل هناك فارق بينهما؟

الجواب :

١ـ في كل القرآن في آيات التسبيح كلها بلا استثناء إذا كرّر (ما) يعقب الآية بالكلام عن أهل الأرض.

فإذا قال: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعقب الكلام لأهل الأرض كما في الآية: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾[الصف: ١ - ٢] الكلام عن أهل الأرض.

وفي سورة الحشر: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾[الحشر: ١ - ٢] الكلام عن أهل الأرض].

٢ـ وإذا لم يكرر (ما) لا يذكر أهل الأرض ولا يعقبها، وإنما يعقبها بشيء عن نفسه أو شيء آخر، كما في الآية: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾[الحديد: ١ - ٢] لم يتكلم عن أهل الأرض.

لذلك في جميع القرآن في آيات التسبيح حيث كرّر (ما) يعقب الآية بالكلام عن أهل الأرض.

ونلاحظ أنه في سورة الحشر بدأ بتكرار (ما) في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾[الحشر:١] وانتهت السورة بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ

ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر:٢٤] ولم يكرر (ما)؛ لأنه لم يأت بعدها كلام عن أهل الأرض وانتهت السورة.

ولذلك نقول: القرآن تعبير فني مقصود، فكل كلمة، وكل تعبير، وكل ذكر، وكل حذف قُصِد قصداً، ولم يأت هكذا.

السؤال الرابع :

ما القواعد العامة في تكرار اسم الموصول مع آيات التسبيح؟

الجواب :

لا بدّ في الكلامِ البليغِ من سببٍ للذكر والحذف، وخصوصاً في القرآن الكريم الذي هو أعلى الكلام.

لذا نذكر هنا بعض القواعد العامة في القرآن الكريم التي تبين متى يكرر اسم الموصول مع آيات التسبيح خاصة، ومن ذلك أنه :

١ ـ إذا قُصد التنصيص على الأفراد تكرر ذكر الموصول، أي إذا قُصد التنصيص على كل فرد من أفراد السماوات والأرض على وجه التخصيص كرّر اسم الموصول. كما في الآيات [الزمر (٦٨) والنمل (٨٧) وطه (٦) والحشر (١) ويونس (٦٦) والبقرة (٢٥٥)].

٢ ـ وأمّا إذا قُصد أمر آخر لم يذكر الموصول إلامرة واحدة، إشارةً إلى قصد الجنس وللاهتمام بما هو المقصود في تلك الآية، كما في الآيات [الرحمن ـ ٢٩ ـ والبقرة ـ ١١٦ ـ والحديد ١].

٣ ـ إذا كان الموطنُ دالاً على التفصيل والإحاطة كرّر اسم الموصول بخلاف ما إذا كان الكلام مجملاً غير مفصل. انظر سورة المجادلة (٦:٧) لتجد فيها من ذكرٍ لسعةِ علم الله وشموله وإحاطته بالجزيئات والتفصيلات ما ليس في آية العنكبوت٥٢، فلمّا فصّل في آية المجادلة أعاد ذكر (ما) ولمّا أجمل في العنكبوت أجمل في ذكر الموصول فلم يُعِد ذكرَه.

السؤال الخامس :

ما بعض ملامح سورة الحديد؟

الجواب :

١ـ بدأت السورة بالتسبيح، وكأنها مرتبطة مع قوله تعالى في ختام السورة التي قبلها؛ أي سورة الواقعة: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[الواقعة:٩٦].

٢ـ كل السور التي تبدأ بالتسبيح يكون في بدايتها الاسمان الكريمان: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ أو شبيهان بهما، كما في سورة التغابن.

٣ـ ذُكر في السورة من صفات الله تعالى ما لم يذكر في موضع آخر في القرآن: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحديد:٣].

٤ـ جاء في السورة الأمر بالإيمان بالله ورسوله أكثر من مرة، وليس أركان الإيمان عموماً، وهذه تطبع السورة عموماً بالإيمان بالله ورسوله دون الإيمان بالأمور الأخرى. والسبب أنه طالما آمن بالله ورسوله فستأتي بقية الأركان تباعاً.

٥ـ ذكر الإنفاق خصوصاً، ولم يذكر عموم العمل الصالح، وقد ذكر القتال فقط ولم يحض عليه.

٦ـ ذكر من مشاهد يوم القيامة مشهداً لم يذكر في مكان آخر: السُور ومساءلة المنافقين والمحاورة بين المنافقين والمؤمنين.

٧ـ أهاب بالمؤمنين أنْ تخشع قلوبهم لذكر الله.

٨ـ بيّن الله أمراً هاماً في الحياة، وهو أنّ الحق لا يقوم بنفسه وإنما يحتاج إلى قوة لتحميه ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾.

٩ـ ذكر الله في أكثر من مكان في السورة تفضله على عباده: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢١] حتى في الجنة ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢١].

١٠ـ ذكر أنّ المؤمنين يؤتيهم كفلين من رحمته، وهذا من الفضل العظيم من الله لعباده المؤمنين.

١١ـ ذكر الإنفاق، وإذا ذكر الإنفاق وحده يقول: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

وإذا ذكر الإيمان والإنفاق يقول: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد:٧]؛ لأنه اتسعت الدائرة وكبرت فيقول: ﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾. والله أعلم.

السؤال السادس:

ما الفرق بين (ما) و (من) في الاستخدام اللغوي؟

الجواب :

١ـ في اللغة تستعمل (ما) لذوات غير العاقل، نحو: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾[طه:٦٩] ماذا في يمينه؟ عصاه، ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ لذات غير العاقل، كما تستعمل (ما) لصفات العقلاء. تقول من هذا؟ هذا فلان، تسأل ما هو؟ تسأل عن صفته فيقال مثلاً هو: تاجر، (من هو؟) تسأل عن ذاته.

إذن (ما) هي تستعمل لأمرين: لذات غير العاقل ولصفات العقلاء، وقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] أي: انكحوا الطيب من النساء أي (صفات العاقل).

وربنا سبحانه وتعالى يستخدمها لنفسه، كما جاء في سورة الشمس ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾﴾[الشمس:٧] فهو يتكلم عن نفسه سبحانه.

٢ـ (ما) تقع أيضاً على صفات أولي العلم جميعاً، حتى قسم من النُحاة يحدد بشكل أدق بأنّ (ما) لا تقع مع صفات أولي العقل، بل مع صفات أولي العلم؛ لأنّ الله تعالى لا يوصف بالعقل، ولا يصف نفسه أنه العاقل، وإنما العالِم، فيقول النحاة إنّ (ما) تستعمل لذوي العلم وذوات غير العاقل.

في سورة الليل قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [الليل:٣] من الخالق؟ الله سبحانه وتعالى.

في سورة الكافرون قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾﴾ [الكافرون:٣] ما أعبد هو الله تعالى، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾﴾ [الكافرون:٤] الأصنام غير عاقلة و(ما) تستعمل لذوات غير العاقل، وتستعمل لصفات العقلاء.

٣ـ (من) إذا انفردت تكون لذوات العقلاء تحديداً، وقد تستعمل في مواطن تخرج عن هذا الأمر، مثلاً: عندما أنت تُنزِلُ غير العاقل منزلة العاقل، تتكلم مع حصانك مثلاً فيقولون لك: من تُكلِّم؟ تقول: أكلِّم من يفهمني، وهذا تجوّز.

في الأصل أنّ (من) لذات العاقل، وأحياناً يشترك العاقل مع غير العاقل فتطلق عليهم (من) فيصير تفصيلاً، كما في الآية: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾﴾ [النور:٤٥] من يمشي على بطنه غير العاقل، ومن يمشي على رجلين الإنسان.

لذلك إذا اجتمعت في عموم فصّل بـ(من) ولها مواطن، أمّا إذا انفردت فلا تكون إلا للعاقل ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤] وهذا لذي العِلم.

السؤال السابع :

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ بصيغة الماضي، وفي بعض السور ﴿يُسَبِّحُ﴾ بصيغة المضارع، فهل هذا مقصود بذاته؟

الجواب :

١ـ نلاحظ أن كل سورة تبدأ بـ﴿سَبَّحَ﴾ بالفعل الماضي لا بد أنْ يجري فيها ذكر للقتال في كل القرآن، و أمّا المبدوءة بـ﴿يُسَبِّحُ﴾ فليس فيها ذكر للقتال أبداً.

فسورة الصف بدأت بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①﴾ [الصف:١]ثم جاء بعدها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ④﴾[الصف:٤] وكل السور التي تبدأ بـ﴿سَبَّحَ﴾ لا بدّ أن يجري فيها ذكر القتال.

وكذلك الأمر في سورة الحديد، فقد بدأت بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①﴾ [الحديد:١] ثم جاء بعدها: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ⑩﴾[الحديد:١٠] وليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـ﴿سَبَّحَ﴾ إلا ويجري فيها ذكر للقتال، وليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـ﴿يُسَبِّحُ﴾ إلا لم يذكر فيها القتال.

٢ـ عندما يقول: ﴿يُسَبِّحُ﴾ الفعل المضارع يدل على الحال والاستقبال ولا يذكر القتال في السورة، وكأنما هو توجيه - والله أعلم - للخلق في حاضرهم ومستقبلهم أنْ لا يتقاتلوا فيما بينهم، أنْ يتفاهموا، أنْ يتحاوروا، أنْ يتحادثوا، أنْ تكون صدورهم رحبة، فهذا أنفع لهم من القتال، فالماضي ﴿سَبَّحَ﴾ ذهب وانتهى، لكنْ ﴿يُسَبِّحُ﴾ كأنه توجيه لعباده.

والرابط بين القتال والتسبيح هو التنزيه عما لا يليق، والقتال مما لا يليق كما قالت الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾[البقرة:٣٠].

٣ـ طبعاً الفعل الماضي لا يراد به المضي فقط، وإنما قد يراد به المواصلة والاستمرار، فعندما يأتي قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ يعني هذه الموجودات سبّحت لله سبحانه وتعالى ونزهته وقدسته، لكنها هي ماضية على ذلك.

وعندما يكون الحديث محتاجاً إلى ذكر للحاضر والمستقبل (أي للاستمرار) يستعمل الفعل المضارع ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾.

ومثال ذلك قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [الجمعة:١] لكن انظر كيف قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾ [الجمعة:٢] الكلام عن الرسالة، والرسالة حاضرة ومستقبلة؛ لذا قال: ﴿يَتۡلُواْ﴾ وما قال (تلا)، فلذلك الفعل (يسبح) ينسجم مع الأفعال [يتلو ويعلّم ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب].

فلمّا كان الكلام كلاماً عن حاضر ومستقبل، استعمل الفعل (يسبح)، ولمّا كان الكلام مطلقاً استعمل الفعل الثابت (سبّح). والله أعلم.

السؤال الثامن :

ما دلالة تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد:١]؟

الجواب :

التقديم حسب الاهتمام في البلاغة، هل الكلام عن الفاعل الآن، أو عن مستحق التسبيح؟

لّما كان الكلام عن الله وليس عن الفاعل قدّم الجار والمجرور، إضافة إلى أنه يفيد الحصر والقصر.

السؤال التاسع :

لماذا قدّم السموات على الأرض؟

الجواب :

لو سألنا: من الذي كان يسبح سابقاً أهل السماء أو أهل الأرض؟ الجواب أهل السماء؛ لأنّ أهل الأرض لم يكونوا موجودين أصلاً، وهم موجودون قبل أنْ يخلق آدم، فبدأ بمن هو أسبق تسبيحاً، وبمن هو أدوم تسبيحاً ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:٢٠] ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٨] فهم أدوم في هذه العبادة.

السؤال العاشر :

ما دلالة ذكر الاسمين ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ العزيز: في اللغة هو الغالب الممتنع، فهو إشارة إلى كمال القدرة.

٢ـ الحكيم: هو العالم بجميع الجزئيات والكليات وتكون أعماله على وفق الحكمة والصواب.

والحكمة هي وضع الشيء في محله قولاً وعملاً ،ويقولون: هي: (توفيق العلم بالعمل)، والله تعالى ذو الحكمة البالغة.

وكلمة ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ لها دلالتان: إمّا أنْ تكون من الحُكم أو من الحِكمة. وكلمة (الحكيم) قد تكون اسم مفعول بمعنى محكم (مثل قتيل بمعنى مقتول)، كما في قوله تعالى في سورة هود: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١] يعني (مُحكم).

وهنا في هذه الآية (حكيم) لها دلالتان: حكيم من الحُكم، وحكيم من الحِكمة، وتجمع المعنيين للتوسع في المعنى. والمعنيان مرادان.

٣ـ هذا الجمع ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ أجمل جمع: فالعزيز قد يكون حكيماً وقد لا يكون حكيماً، وقد يكون حاكماً وقد لا يكون حاكماً، والحاكم هو منتهى العزة فصار كمال العزة بالحكم أعزّ شيء.

ومن جهة أخرى إذا كان العزيز متهوراً تكون عزّته صفة ذم، فإذن ينبغي أنْ يتمم بالحكمة. وربُّنا تعالى هو العزيز الحكيم والحاكم الحكيم، كمُل في العزة بالحُكم فكان أعلى شيء؛ لأنّ منتهى العزة أنْ يكون حاكماً وأكمل الكمال عندما كان عزيزاً، فهو حكيم وهو عزيز. إذن اجتمعت العزة والحكم والحكمة. ولو كان عزيزاً غير حكيم

تكون صفة ذم، ولو كان حاكماً غير حكيم تكون صفة ذم. إذن الاثنان مرادان. وقدّم العزيز على الحكيم؛ لأنه عزّ فحكم، وليس عندنا في القرآن الكريم (حكيم عزيز).

السؤال الحادي عشر :

ما الحكمة من تقديم العزة على الحكمة؟

الجواب :

العزة قد لا يكون صاحبها حكيماً، فهو تدرج، فبدأ بما هو أقل ثم انتقل للأعلى، فهو يكون عزيزاً ثم يكون حاكماً، كيف يكون حاكماً؟ كيف وصل إلى الحكم إذا لم يكن هناك جماعة تعزّه فتوصلهِ إلى الحكم؟ لا بدّ أنّ هناك جماعة أوصلوه، ولا بدّ أنْ يكون عزيزاً عند هؤلاء حتى أوصلوه، إذن عزّ فحكم.

السؤال الثاني عشر :

ما دلالة تعريف الاسمين ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؟

الجواب :

١ـ قال:﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ بالتعريف، ولم يقل هو (عزيز حكيم) بالتنكير؛ لأنه أراد أن يقصر العزة عليه وحده لا عزّة لغيره على سبيل الحقيقة، فهو (العزيز).

و(الحكيم) هو الحاكم في الحقيقة ولا حاكم سواه على وجه الحقيقة.

والله تعالى هو الذي يعزّ ويذلّ ويؤتي الحكم وينزعه، كما في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران:٢٦] إذن هو صاحب العزة والحكمة ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ﴾

[البقرة:٢٦٩]، وهو أيضاً صاحب الحكم ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ [الرعد:٤١] وهذا التعريف يفيد القصر على أنه لا عزّة لغيره على سبيل الحقيقة.

وقد استخدمت كلمة ﴿عَزِيزٌ﴾ نكرة في القرآن، وهذا بحسب السياق الذي تأتي فيه.

٢ـ لفظ ﴿هُوَ﴾ يفيد الحصر.

❁❁❁❁

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر سابقاً أنه سبح له ما في السموات والأرض، ثم ذكر هنا أنّ له ملك السموات والأرض، وهذا يقتضي أنه ملك ما فيهما، وقدّم الجار والمجرور للحصر، أي لا مُلك لأحد سواه على الحقيقة.

٢ـ المَلِك الحق هو الذي يستغني في ذاته وفي جميع صفاته عن كل ما عداه. ويحتاج كلُ ما عداه إليه في ذواتهم وفي صفاتهم، والموصوف بهذين الأمرين ليس إلا هو سبحانه.

٣ـ قوله: ﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من المعلوم أنّ مُلك السماوات والأرض بالنسبة إلى كمال ملكه أقل من الذرة، بل لا نسبة إلى كمال ملكه أصلاً، لكنه سبحانه وتعالى ذكر مُلك السماوات والأرض؛ لأنه شيء محسوس مشاهد؛ ولأنّ أكثر الناس يصعب عليهم الترقي من المحسوس إلى المعقول.

٤ـ لم يقل هنا: (له ملك السماوات والأرض وما بينهما)؛ لأنّ القرآن في كل موطن يقول: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يأتي بالتعقيب على من يذكر الله فيما يليق [انظرآية المائدة ١٧ـ١٨] ويأتي بذكر الملل الثلاث في السياق (اليهود والنصارى والمسلمين) وأمّا ما لم يرد في السياق ذلك فلا يذكر ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

انظر[آيات المائدة: ١٢ـ١٤] وكذلك [آيات الزخرف: ٤٦ـ ٥٦].

ومن الطريف أنه عندما يذكر ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ﴾[المائدة:١٧] وهي ثلاثة يذكر الملل الثلاثة.

وهنا آية الحديد فيها تنزيه لله تعالى، وليس فيها ذكر للملل الثلاث، فلم يذكر (وما بينهما).

٥ـ قوله: ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ إشارة إلى ذكر دلائل الأنفس بعد ذكر دلائل الآفاق. ومعناه أنّ الله هو القادر على خلق الحياة والموت، وهو المنزّه في كل ما يفعل.

وقوله: ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ أي هو المنزّه في كل ما يفعل، في إحيائه وفي إماتته، وفي كل شيء، وهذا يدل على التوحيد.

وقدّم الحياة على الموت؛ لأنه الأصل للأحياء، وجاء بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار.

٦ـ لمّا ذكر دلائل الآفاق أولاً ودلائل الأنفس ثانياً، ذكر لفظاً تناول الكل فقال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾[الحديد:٢] :

أ ـ وجاء بالضمير ﴿هُوَ﴾ للعموم والحصر.

ب ـ وجاء بصيغة ﴿قَدِيرٌ﴾ للمبالغة، ولم يقل (قادر)، ويستعملها القرآن إذا عمّم القدرة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ أو أطلقها ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.

أمّا إذا قيدها فيأتي باسم الفاعل (قادر)، فإنه لا يطلقه ولا يعممه بل يقيده كما في آية الأنعام ٦٥ ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾[الأنعام:٦٥] وآية يس ٨١.

٧ـ وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)﴾ أي لا حكيم سواه ولا عزيز سواه، وهو الحاكم في كل شيء.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾[الحديد:٢] ما دلالة ورود هذه الآية بعد الآية الأولى؟ وهل هناك علاقة رابطة بينهما؟

الجواب :

١ـ الشخص قد يُحمد في ذاته حتى إنْ لم يكن مالكاً أو مَلِكاً، فإنْ حكم فقد يتغير. والشخص ربما تعرفه في ذاته أنه جيد فإذا صار مَلِكاً فقد يتغير.

٢ـ وربنا تعالى ذكر أنه منزّه في جميع أحواله: منزه في ذاته ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ قبل أنْ يكون هناك مُلك وقبل أنْ يكون هناك أحد، ومنزّه في صفاته، منزه في عزته، منزه في حكمته، منزه في حكمه، منزّه في ملكه، منزّه في إحيائه وإماتته، لا يحيي ويميت عن عبث وإنما لحكمة، فهو منزه في كل ذلك، لا يفعل ذلك إلا عن حكمة.

٣ـ وهذا يدل على خضوع أهل السموات والأرض له خضوع قهر وخضوع عبادة، كما في قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ [الحديد:٥] ورب العالمين وصف تعالى نفسه بالقهار ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ والقهر هو التمكن، وهذا خضوع قهر.

وكثير من الرؤساء في الدول يُخضِعون رعيتهم خضوع قهر.

٤ـ وعباد الله سبحانه وتعالى يخضعون له في ملكه خضوعين: خضوع قهر وخضوع عبادة. العبادة ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ والقهر ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ وهذا قهر، وسبحان من قهر عباده بالموت.

٥ـ إذن هذه الآية جمعت تنزيه وخضوع العبادة ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ وكذلك خضوع القهر بما ذكر من الصفات، فهو منزّه في ذاته وصفاته سبحانه.

السؤال الثالث :

ورد في بعض آي القرآن الكريم ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أما في هذه السورة فلم يرد (ما بينهما)، فهل لهذا دلالة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية المائدة ١٨.

السؤال الرابع :

في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [الحديد:٢] لِمَ لمْ يقل (قادر)؟

الجواب :

١ـ هو قدير على كل شيء، فأراد كل شيء حصراً وعلى العموم.

٢ـ هنا قال: ﴿قَدِيرٌ﴾ ولم يقل (قادر)، مع أنه استخدم (قادر) في مواطن أخرى في القرآن؛ لأنّ (قدير) من صيغ المبالغة على وزن (فعيل).

٣ـ إذا عمّم القدرة أو أطلقها يستعمل المبالغة: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ويستخدم ﴿قَدِيرٌ﴾.

٤ـ وإذا قيّدها بشيء يقول: ﴿قَادِرٌ﴾ كما في الآية ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنعام:٣٧] قُيّدت بإنزال آية.

وكما في الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام:٦٥] قيدت بالعذاب.

لذلك إذا قيّدها يقول (قادر)؛ لأنّ (قادر) اسم فاعل وليس مبالغة كما في الآية ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس:٨١].

٥ـ (قادر) اسم فاعل من فعل (قدر). (قدير) صيغة مبالغة. (قدر) هي مشترك لفظي ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أي لها أكثر من معنى.

❊❊❊❊

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الدلالة العامة لهذه الآية؟

الجواب :

أحسن تفسير للآية، كما قال النبي ﷺ في دعائه: «**اللهم أنت الأول ليس قبلك شيء و أنت الآخر ليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**».

١ـ (الأول) الذي ليس لوجوده بداية، وهو قبل كل شيء، و(الآخر) الذي ليس لوجوده نهاية، فالله سبحانه ليس لوجوده بداية وليس لوجوده نهاية، ليس بعده شيء؛ لأنه آخر ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨] هذا من حيث الدلالة.

٢ـ كلمة (الظاهر) لها دلالتان في اللغة، وهما مقصودان في الآية:

أ ـ الظاهر هو الذي تجلى للعقول بالدلائل التي أقامها على وجوده، فهو ظاهر ظهر بآياته ومعجزاته الدالة عليه في الكون. إذن الظاهرهو الذي ظهر للعقول وتجلّى، كما قال أحدهم:(لو كُشِف الحجاب ما ازددت يقيناً).

ب ـ والظاهر يأتي بمعنى الغالب في اللغة، أي العالي على كل شيء، من الظهور؛ أي الغَلَبة ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[الصف:١٤] ظاهرين أي غالبين.

إذن كلمة (الظاهر) لها دلالتان: الذي ظهر وتجلى للعقول بآياته والظاهر هو الغالب القهّار.

٣ـ وكلمة (الباطن) أيضاً لها دلالتان:

أ ـ هو غير المُدرَك بالحواس المحتجب عن الأبصار، كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٣].

ب ـ والباطن أيضاً الذي يعلم كل شيء، ويعلم بواطن الأمور وخفاياها ما ظهر وما بطن من الأمور.

إذن كلمة (الظاهر) لها دلالتان، وكلمة (الباطن) لها دلالتان، هذا من حيث اللغة. والكلمة أحياناً يكون لها أكثر من دلالة تُراد ويحتملها السياق.

٤ـ فالله سبحانه هو الذي تجلّى وهو الغالب القهار، وهو المحتجب عن الأبصار الذي لا تدركه الأبصار، وهو الذي يعلم خفايا الأمور وبواطنها.

السؤال الثاني :

ما دلالة تعريف الصفات في الآية؟

الجواب :

١ـ ما قال تعالى: (هو أول آخر ظاهر باطن)، وإنما قال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣] بالتعريف؛ لأنّ التعريف هو للقصر، أي أنه لا يشاركه في هذه الصفات أحد.

ولو قال: هو أول، يحتمل أنْ يشاركه أحد، أمّا (الأول) فهي حصر تحديداً و(الآخر) تحديداً و(الظاهر) تحديداً و(الباطن) تحديداً. إذن لا يشاركه في هذه الصفات أحد ولا شيء.

٢ـ ونلاحظ أنّ القرآن لم يقيّد هذه الصفات بشيء، لا بإضافة ولا وصف فلم يقل مثلاً :هو أول الحكماء، أول الأغنياء، الأول في كذا، هذه مطلقة لم يقيدها بشيء. إذن هو الأول على الإطلاق وليس بموجب شيء معين ولا مقيد بأمر معين، هو الأول لكل

شيء، فهو سبحانه قبل الزمن. وكلمة (الأول) تخرج من نطاق الزمن، ولو أراد أنْ يقيدها لقيدها.

أنت يمكن أن تقول: هو الأول في الفصل مثلاً، هو الأول في السباق. لو قلت: هذا الطالب هو الأول فهذا تحدده أنت، فقد تكون القرينة مقولة وقد تكون مفهومة من السياق، والمقام هو الذي يحدد، وليس من الضروري أنْ تنطق كل القرائن.

٣ـ هنا في هذه الآية ليس من قرينة تحدد، فهو [الأول والآخر والظاهر والباطن] على الإطلاق وعلى القصر والتعريف. والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما فائدة العطف في الآية بحرف العطف الواو ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾؟

الجواب :

١ـ ما قال تعالى هنا في آية الحديد: هو الأول الآخرالظاهر الباطن، كما قال في سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر:٢٣] لأنّ العطف يأتي في الصفات فيما تباعَد منها؛ لأنه يصير أمراً مستغرباً، أمّا في الصفات القريبة فلا يؤتى بالعطف.

٢ـ إذا كانت الصفات متباعدة يؤتى بـ (الواو)، ويعني أنّ الصفات ليست متقاربة من حيث أحداثها، مثلاً أنت تتكلم مع شخص عن فلان وهو يعرفه لكن لا يعلم مثلاً أنه شاعر، فتقول له: هو شاعر، فيقول: هو شاعر؟ فتقول وطبيب، الشعر والطب

متباعدان فيقول: وطبيب؟ فهو يستغرب من اجتماع هذه الصفات المتباعدة التي لا يعلمها هو في شخص؛ لذا تأتي (الواو) إذا تباعدت الصفات.

٣ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ الأول والآخر والظاهر والباطن صفات متباعدة، وليست مثل (العزيز الحكيم) المتقاربة، لكنّ الأول والآخر منتهى التباعد، والظاهر والباطن منتهى التباعد.

٤ـ هذه الآية دلّت أيضاً على إبطال الشِرك: فقوله (هو الأول) إذن ليس معه شريك، لأنه الأول. إذن الله ليس معه شريك وهو الغني المطلق.

و(هو الأول) إذن كل ما نراه من الأمور هو الذي أوجدها؛ لأنه هو الأول ولأنه هو الغني المطلق، ولا يحتاج إلى شيء؛ لأنه قبل كل شيء هو الخالق القادر.

٥ـ ثم دلّ قوله :﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ على العلم المطلق، فهو الإله الحق في العلم والغنى والقدرة والوجود وعدم الشرك، وهو محيط بعلمه بكل شيء في الكون.

السؤال الرابع :

ما دلالة استخدام صيغة ﴿عَلِيمٌ﴾ ولم يقل (عالم) أو(علاّم)؟

الجواب :

١ـ (عليم) صيغة مبالغة على وزن (فعيل)، (علاّم) أيضاً صيغة مبالغة على وزن (فعّال، (عالم) اسم فاعل. والمبالغة تعني الكثرة في الأشياء.

و كلمة (عليم) لم تحدد بشيء معين، إمّا للعموم أو كونها مطلقة من كل شيء، أو مع الجمع أو مع فعل الجمع، و لم تأت(عليم) مع متعلق مفرد في القرآن، فلا تجد (عليم بفلان) مثلاً.

٢ـ كلمة ﴿عَـٰلِمُ﴾ في القرآن جاءت في [١٤] موضعاً لم ترد إلا في (عالم الغيب) مفرداً أو (الغيب والشهادة)، إمّا (الغيب) وإمّا (الغيب والشهادة) في القرآن كله، كما هو في الآيات: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن:٢٦] و ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام:٧٣]. ولفظة﴿عَـٰلِمُ﴾ اسم فاعل لا يدل على الكثير عادة، فاستعملها بالمفرد الذي لا يدل على التكثير.

٣ـ لفظة ﴿عَلَّـٰمُ﴾ خصّصها للغيوب ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة:٧٨] ولا تجد كلمة (علاّم) في القرآن في غير (علاّم الغيوب). والغيوب جمع غيب.

٤ـ ومثل ذلك: (سمّاع) و(سميع) في القرآن: (سمّاع) استعملها في الذمّ ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [المائدة:٤١] ﴿وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ﴾ [التوبة:٤٧] و(سميع) استعملها تعالى لنفسه ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ واستعملها في الثناء على الإنسان ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان:٢].

السؤال الخامس :

ما ارتباط الآية بما بعدها؟

الجواب:

هذه الآية مرتبطة بما بعدها:

١ـ ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ مرتبط بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الحديد:٤] الذي خلق السموات والأرض هو الأول.

٢ـ ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ مرتبط بقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ [الحديد:٥].

٣ـ ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ ذكرنا أنّ لها معنيين: إذا كان بمعنى الغالب فهو يقول: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فالذي له الملك غالب، وإذا كان بمعنى المتجلي للعباد فهو يقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الحديد:٤]؛ لأنّ السموات والأرض آيات دالة على وجوده.

٤ـ ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ إذا كانت بمعنى المحتجب يرتبط بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] وإذا كان بمعنى الذي يعلم بواطن الأمور وخفاياها فيرتبط بقوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ [الحديد:٦] ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣].

إذن الآية مرتبطة ارتباطاً بما قبلها وما بعدها، وهذه سمة في القرآن الكريم، كل كلماته مرتبطة، والرازي يقول: إنّ سور القرآن كلها كالآية الواحدة، بل كالكلمة الواحدة في ترابطها.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما النظرة العامة والدلالات في هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يدل على أنه المالِك لهما وهو خلقهما، إذن هو المالِك إضافة إلى أنه ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ فهو الخالق، إذن هو المالك. ودلّ قوله في الآية الثانية: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الحديد:٥] قبلها وبعدها على أنه هو المالك. إذن هو المالك قبلها وبعدها وهو المِلك؛ لأنّ المُلك من الحكم، وهو ملك مالك. إذن هو مالك الملك كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦].

المُلك بضم الميم من الحُكم ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزُّخرُف:٥١] وصاحبه مَلِك والمِلك بكسر الميم من التملّك من البيع والشراء وصاحبه مالك. وكل من المَلِك والمالك له تصرف يختلف عن الآخر.

٢ـ الله سبحانه وتعالى ذكر أمرين: (له ملك) إذن هو مَلِك، وقال: (خلق السموات والأرض) إذن هو مالك. إذن هو ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾. المُلك هو مِلكه كما يملك المالك أي شيء.

ولذلك في سورة الفاتحة نزلت الآية مرتين: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٤] ونزلت ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قراءتين متواترتين، وكان الرسول عليه السلام يقرأ بهما حتى يجمع معنى (مالك الملك).

٣ـ لمّا كان كل من الملِك والمالِك كلاهما ينبغي أنْ لا يندّ عنه في ملكه شيء، إذن كلاهما المالك والملك ينبغي أنْ يعلما عن ملكه أو عما يملك إذا كان مالكاً.

ولمّا كان ربنا سبحانه وتعالى (مالك الملك) إذن ينبغي أنْ يعلم كل شيء في مُلكه، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد:٤] لأنه لا يصح لملك أو مالك أنْ لا يعلم شيئاً فيما يملك؛ ولذلك لا يندّ عنه في ملكوته شيء، لا المسكن ولا الساكن، في الأرض ولا في السماء كلها.

٤ـ وليس يعلم فقط، وإنما ذكر العلم المطلق ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ﴾ ليس ذلك فقط وإنما هو يُبصر ما فيهما ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٤﴾ لأنّ العلم قد يأتي عن طريق الإخبار.

والفرق بين [العليم والبصير] أنّ العليم قد يأتي عن طريق الخبر وليس بالضرورة أنْ يرى، فالمَلِك قد تأتيه الأخبار دون أنْ يبصر، وهذه مرحلة أخرى، والله ليس فقط يعلم، وإنما هو يُبصر أيضاً ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٤﴾.

٥ـ وأيضاً له مرتبة فوق الإبصار وهي المعيّة والمصاحبة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ لأنّ البصير قد يبصر عن بعيد، لكنّ (معكم) تفيد أن معنا ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[ق:١٦] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ فهذه مرحلة فوق الإبصار.

٦ـ وله مرتبة فوق ذلك في الآية، وليس فقط المعية والمصاحبة وإنما هو يعلم ماذا نفعل، ويعلم عمل كل عامل لِمَ عمله.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ (بصير) لها معنيان: البصر و الرؤية فهو سبحانه يرى، ولكن ليس كرؤيتنا؛ لأن كل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك. وتأتي بمعنى عِلِم دواخل النفوس، فهو بصير بما يعمل العاملون. فالله سبحانه بصير من الرؤية، وبصير بالشيء أي بدواخل الأمور.

٧ـ هذه الآية ذكرت كل مراتب العلم:

أـ عليم ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ إذن هو يعلم الداخل والخارج والصاعد والنازل.

ب ـ مصاحب لنا أينما كنا ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

ج ـ مبصر لأعمالنا ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

د ـ ويعلم لِمَ فعلنا ذلك.

إذن استوفى كل مراتب العلم، وهذا يتناسب مع الآية السابقة: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ وارتبطت بها ارتباطاً وثيقاً.

السؤال الثاني :

ما اللمسات البيانية في الآية؟

الجواب :

عرفنا ترتيب الآية وهيكلها لكنْ ننظر الآن كيف استعملها؟

١ـ لو لاحظنا أنّ الله تعالى قال: ﴿يَلِجُ﴾ ولم يقل: يعلم ما (يولِج) في الأرض (يلج بمعنى يدخل) والله تعالى من قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، فمن حيث العلم عادةً الشخص يعلم ما يفعله هو، ولو قال الله: (يولج) لكان طبيعياً أنه يعلم ما يفعله هو وما يولجه هو، وهذه تدل على القدرة، لكن لمّا قال: ﴿يَلِجُ﴾ فهذا يدل على العلم، فجملة (يعلم ما يولِج) تدل على القدرة؛ لأنه هو يولِج فهو يعلم، لكنه قال هنا: ﴿يَلِجُ﴾ هذا يدل على العلم.

٢ـ وقال: ﴿وَمَا يَخْرُجُ﴾ وما قال (وما يُخرِج) وقال: ﴿وَمَا يَنزِلُ﴾ وما قال (وما يُنزِل) وقال: ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ ولم يقل (وما يُعرِج) وهذا كله يدل على العلم، فقال ما يدل على العلم المطلق.

٣ـ قدّم تعالى ما يتعلق بالأرض على ما يتعلق بالسماء: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ لأنّ الكلام عن أهل الأرض ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

إذن لمّا كان الكلام عن أهل الأرض ويتكلم عن مسكنهم قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ مع أنه قبل ذلك قال: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فقدّم السموات هنا؛ لأنّ خلق السموات أسبق، لكنْ هنا يتكلم عن العلم، فقدّم الأرض.

٤ـ من الناحية الفنية ناسب بين صورتين فيما يتعلق بالأرض والسماء، بالنسبة للأرض قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ وبالنسبة للسماء قال: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾.

في الأرض قال: ﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ وفي السماء قال: ﴿وَمَا يَنزِلُ﴾ وكلاهما نزول إلى أسفل: إنزال ودخول. وكثير مما ينزل من السماء هو يلج في الأرض من مطر وغيره. ثم قال: ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ و ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ وكلاهما ارتفاع وعلو.

إذن من الناحية الفنية ناسب ليس فقط اختيار مفردات لكن ناسب بين الصور: [ما يلج وما ينزل] و[ما يخرج وما يعرج]، وكثير مما ينزل من السماء قد يلج في الأرض، وكثيراً مما يخرج من الأرض يعرج إلى السماء.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ فيه احتمالان: ما يخرج منها من الحشرات والنبات، أو ما يخرج من محيطها.

السؤال الثالث:

ما دلالة استخدام السموات بالجمع والأرض بالمفرد؟

الجواب :

القرآن لم يذكر الأرض بالجمع مطلقاً، السموات سبع ولم يجمع كلمة الأرض في القرآن أبداً، وإنما قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢] أمّا في الحديث فجمعت الأرض على أراضين **"طوّق من سبع أراضين"**.

السؤال الرابع :

قال تعالى في سورة الحديد: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾﴾ [الحديد:٤] وقال في سورة سبأ: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبأ:٢] اختلف ختام الآيتين وفي آية سورة سبأ لم يذكر ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ فما اللمسة البيانية في الآيتين؟

الجواب :

انظر الجواب في آية سبأ ٢.

السؤال الخامس :

يقول تعالى : ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾﴾ وفي آية أخرى يقول: ﴿بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فهل للتقديم والتأخير لمسة بيانية؟

الجواب :

التقديم والتأخير يأتي لسبب، والسياق قد يكون الحاكم والموضح للأمور.

١ـ إذا كان سياق الكلام أو الآية في العمل يقدّم العمل، وإذا لم يكن السياق في العمل أو إذا كان الكلام عن الله سبحانه وتعالى وصفاته يقدّم صفته.

* شواهد قرآنية: تقديم العمل على البصر:

ـ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾[البقرة:١١٠] بهذا العمل بصير.

ـ ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[البقرة:٢٦٥] هذا إنفاق أي عمل.

ـ ﴿وَالْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَٰلِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾[البقرة:٢٣٣]. هذا عمل.

ـ ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾[البقرة:٢٣٧] هذا عمل.

ـ ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾[هود:١١٢] الكلام عن العمل فقدّم العمل.

ـ ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[سبأ:١١] قدّم العمل.

ـ ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[فُصِّلَت:٤٠].

شواهد قرآنية: تقديم البصر على العمل :

ـ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[البقرة:٩٦] ليس فيها عمل.

ـ ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[المائدة:٧١] لا يوجد عمل.

ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الحُجُرات:١٨] يتكلم عن الله تعالى فيقدم صفة من صفات الله تعالى.

٢ـ هذا أيضاً في [الخبرة والعمل] وليس فقط في [العلم والبصر]، وهذا خط عام في القرآن.

* شواهد قرآنية :

ـ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾[البقرة:٢٧١] هذا عمل، فقدّم العمل على الخبرة.

ـ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[الحديد:١٠] الإنفاق عمل، فقدّم العمل.

ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة:٢٣٤] هذا عمل، فقدّم العمل.

ـ ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل:٨٨] ليس في الآية عمل فقدّم الخبرة ؛لأنّ الكلام ليس عن عمل الإنسان، ولكن عن صنع الله الذي أتقن كل شيء.

❁❁❁❁

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما الدلالة العامة للآية؟

الجواب :

١ـ في الآية التي قبلها ذكر خلق السموات والأرض ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الصانع قد لا يكون ملكاً، خلق السموات والأرض هو خلقها، وهو صنعها. والخلق قد يكون ابتداء أي سوّاها وقد يكون صنعها والصناعة لا تقتضي أنْ يكون ملِكاً، وصانع الشيء ليس بالضرورة أنْ يكون ملكاً حاكماً.

٢ـ في هذه الآية قال: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥﴾[الحديد:٥] يعني هو الملك وليس فقط الصانع.

وذكرنا أنّ المُلك هو من الحُكم والمِلك من التملك. وفي هذه الآية قال: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فهي تدل على المُلك وقبلها يدل على الملكية. فليس هناك ملك سواه وإنّ ملكه ممتد بعد انقضاء الدنيا ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾.

٣ـ كلمة (خلق) كقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون:١٤] يصح نسبتها للإنسان عندما تكون بمعنى التقدير والتصوير، وهذا ممكن لأنّ عيسى عليه السلام قال: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾[آل عمران:٤٩].

٤ـ الله سبحانه هو الذي خلق تحديداً، وله الملك تحديداً، فإذن هو الملك وهو الصانع الذي صنع وهو المَلِك فلا مَلِك سواه؛ لأنه قدّم ﴿لَهُۥ مُلۡكُ﴾

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥﴾: المفسرون يذكرون فيها أمرين:

أ ـ الأمور كلها ترجع إليه، وهو الذي يقطع في الأمور ويبتّ فيها.

ب ـ والمعنى الآخر إثبات المعاد أي الآخرة.

٦ـ وتقديم الجار والمجرور يفيد الحصر ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ أي لله فقط، كما في الآيات الأخرى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة:١١] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [القيامة:٣٠] أي إلى الله حصراً لا إلى جهة أخرى. ولو قال: (ترجع الأمور إلى الله) فليس فيها حصر، وقد يحتمل أنْ ترجع إلى شيء آخر.

﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٦ ﴾

السؤال الأول :

ما ارتباط هذه الآية بما سبقها؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٦ ﴾[الحديد:٦] هذه الآية فيها أمران:

أ ـ فيها دلالة على القدرة فارتبطت بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢﴾ [الحديد:٢] في أوائل السورة.

ب ـ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٦﴾ دال على علمه، فارتبط بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾[الحديد:٣].

فدلّ بهذه الآية وما قبلها على أنه يعلم الظاهر والباطن والمشاهد والغائب فهو سبحانه محيط بكل شيء بالأعمال التي يظهرونها والنيات التي يضمرونها.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ألا يدلّ (يولج الليل في النهار) على أنه (يولج النهار في الليل) أيضاً؟

الجواب :

(يولج الليل في النهار) لا تعني بالضرورة(يولج النهار في الليل) أيضاً وإنما جعل الاثنين؛ ليشمل الليل والنهار.

(يولج) أصلها من فعل: ولج يلِج بمعنى يدخل.

السؤال الثالث :

ماالفرق بين يلج ويدخل؟

الجواب :

(يدخل) أوسع، وتستعمل في أشياء كثيرة ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢٩ - ٣٠] وكأنما الولوج في شيء يحتاج إلى ضيق والدخول أوسع.

السؤال الرابع :

ما الفرق بين يولج ويكور؟

الجواب :

يولج: أي يدخل الليل على النهار فيأخذ منه، ويدخل النهار على الليل فيأخذ منه.

يكور: أي جعلها كالكرة يدورها كالعمامة، ومن هنا قال ابن حزم في زمن مبكرفي معنى آية الزمر: بكروية الأرض؛ لأنّ تكويرهما يقتضي تكوير ما تحتهما.

لذلك في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ﴾ و ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ﴾ الدلالة مختلفة ولا يوجد تعارض بينهما.

﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧ ﴾

السؤال الأول :

ما الدلالة العامة للآية؟

الجواب :

١ـ في الآية أمرهم بشيئين: الإيمان بالله والرسول والإنفاق. وهذان الأمران يطبعان السورة إلى حد كبير، الإيمان بالله والرسول ويشيع ذكرهما في السورة كلها،ولم يذكر أركان الإيمان الأخرى ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[الحديد:٧] فذكر قسماً من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله ورسوله، ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ﴾ [الحديد:٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ [الحديد:١٩]، ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ﴾ [الحديد:٢١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ﴾[الحديد:٢٨] وهذه صبغة عامة تطبع السورة في عمومها.

والإنفاق كذلك يطبع السورة إلى حد كبير ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ ﴾[الحديد:٧]، ﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[الحديد:١٠]، ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾[الحديد:١١]، ﴿ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴾[الحديد:١٨]، ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ ﴾[الحديد:٢٤].

٢ـ فالسورة مطبوعة بهذين الطابعين، ولم يذكر جميع أركان الإيمان ولا عموم العمل الصالح، وإنما ذكر جانباً من العمل الصالح، وهو ما يتعلق بالإنفاق.

ومع أنه ذكر القتال لكنه لم يأمر به ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ﴾ [الحديد:١٠] ما قال: قاتلوا، ولكنْ قال: (أنفقوا)، وجاء فيها ذكر للشهداء، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ﴾ [الحديد:٢٥] هو من مظنّة الجهاد، لكنّ الإنفاق هو الطابع العام في السورة وليس عموم العمل الصالح. لذلك جزء من العمل الصالح وقسم من أركان الإيمان، هما منهج السورة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ﴾ [الحديد:٧] رغّبنا في الإنفاق أكبر ترغيب، فقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم﴾ وجاء بـ ﴿مِمَّا﴾ للتبعيض لو قال: (وأنفقوا ما جعلكم مستخلفين) لكان المعنى: أنفقوا الكل.

ربنا تعالى أعطانا المال وهو يأمرنا بالإنفاق، فقوله: ﴿جَعَلَكُم﴾ يعني هو الذي أعطانا إياه، وقوله: ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ﴾ أي أنّ الأموال هي أموال الله تعالى واستخلفكم فيها فقد كانت لغيركم، ثم نقلها إليكم، وستنتقل إلى غيرنا سواء في حياتنا أو بعد موتنا.

فالمال مال الله، وهو استخلفنا فيه ولن يبقى معنا، كان لغيرنا ثم نقله إلينا وهو بين أيدينا الآن، وقد ينتقل إلى غيرنا في محيانا أو بعد مماتنا فلم لا تنفقون؟ فهو الترغيب في الإنفاق إلى حد كبير.

السؤال الثاني :

في آية سورة الحديد قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ [الحديد:٧] وفي سورة الإسراء قال تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩] أكّد في الإسراء ولم يؤكد في الحديد، فلماذا؟

الجواب :

١ـ السبب في ذلك – والله أعلم – هو :

أـ في الحديد استعمل الفعل ﴿ءَامِنُوا۟﴾ وفي الإسراء استعمل الاسم ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والاسم أقوى وأثبت من الفعل.

ب ـ ذكر في الحديد الإيمان بالله ورسوله، وأطلقه في الإسراء فهو أعم.

ج ـ ذكر في الحديد الإنفاق، وذكر في الإسراء عمل الصالحات فهو أعم.

د ـ الفاصلة القرآنية.

فناسب ذلك بلاغياً التأكيد في آية الإسراء دون آية الحديد، والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وبلاغة القرآن كالقوانين الرياضية.

٢ـ وللعلم لم يقل القرآن هنا: (لهم مغفرة وأجر كبير) كما جاء في سورة فاطر وسورة الملك؛ لأنه عندما يذكر القرآن المغفرة يجب أنْ يسبقها أو يعقبها ذكرٌ للكفر أو الذنوب.

السؤال الثالث :

قوله تعالى في آية الحديد ٧: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ وفي الآية ١١ ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١﴾ وفي آية البقرة ٢٤٥ ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ أضعافاً مضاعفة، فما السبب؟

الجواب :

١ـ آية سورة الحديد ٧ جاء فيها: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ لأن في الآية طلبين: آمنوا وأنفقوا. فلما اتسعت الدائرة وكبرت كبُر الأجر.

٢ـ والكلام في نفس السورة في الآية١١عن القرض الحسن، والأجر الكريم هو الأجر الحسن البالغ الحُسن.

٣ـ في آية البقرة ٢٤٥ لم يرد (أجر كريم) أو(أجر كبير)؛ لذا جاءت أضعافاً مضاعفة. وأمّا في سورة الحديد عوّض عن الأضعاف المضاعفة بـ ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١﴾.

السؤال الرابع :

ما الفرق بين خواتيم الآيتين البقرة ٢٤٥، والحديد ١١؟ وهل من فروق أخرى؟

الجواب :

انظرالجواب في آية البقرة ٢٤٥.

السؤال الخامس :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحديد:٧] بدون (الباء) مثلما جاءت مع (الباء) فى آية سورة التوبة ٥٤ ﴿بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحجرات١٥.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

في الآية السابقة رقم (٧) طلبت الآية الإيمان بالله والرسول ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ثم جاءت هذه الآية: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ﴾ بالصيغة الاستفهامية أي: لماذا لا تؤمنون بالله والرسول موجود بينكم، وجاء بالآيات والدلائل الواضحة على أنه رسول من عند الله.

١ـ الله تعالى وبّخ على ترك الإيمان بالرغم من وجود أمرين :

أ ـ أنّ الرسول يدعو للإيمان وجاء بالآيات والدلائل الواضحة على أنه رسول من عند الله.

ب ـ أنّ الله أخذ الميثاق.

وبالرغم من ذلك فهم لا يؤمنون !!! فهذا أمر يدعو إلى العجب، فهو استفهام غرضه العجب.

٢ـ الميثاق هو العهد والعقد، وفي أخذ العهد وجوه:

أ ـ دلائل عقلية: فإنْ استعملت عقلك بحق وتجرد قادك إلى الإيمان حتماً.

ب ـ دلائل نقلية: كما ورد في القرآن الكريم.

ج ـ دلائل فطرية: وهوصوت الفطرة فيك، فأنت تقول في الشدائد والمحن : يا رب.

وفي تفسير الميثاق: يريد حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾. وجاء بقد ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ للتحقيق.

لذلك يكون المعنى: كيف لا تؤمنون بالله مع وجود الرسول عليه السلام بينكم ومع وجود دلائل العقل والنقل، فلماذا لا تؤمنون؟ !!

٣ـ قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ يدل على قدرتهم على الإيمان.

٤ـ قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ أي إنْ كنتم تعتزمون الإيمان أو تريدونه أو تنوون أنْ تؤمنوا، فهو خطاب عام لمن آمن ولغير المؤمن، وهو نظير قولنا: نحن خارجون إنْ كنت خارجاً، أي إنْ نويت ذلك فافعل.

٥ـ لفظ الجلالة ﴿بِٱللَّهِ﴾ الله في قوله: ﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ هو علمٌ على واجب الوجود، وهو الاسم الذي اختاره الله لنفسه شاملاً لكل صفات الكمال.

والصفات الأخرى التي نسميها الأسماء الحسنى مثل: القادر والسميع والبصير والحي والقيوم كلها صفات وصارت أسماء؛ لأنها مطلقة بالنسبة لله وهذه الصفات حين تنصرف على إطلاقها فهي لله، ومن الجائز أنْ تضاف في نسبتها الحادثة إلى غير الله.

أمّا اسم الله فلا يطلق إلا على الحق سبحانه وتعالى، ويتحدى الله الكافرين به أنْ يسمي أحدهم أي شيء غيره بـ الله، قال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم:٦٥] وكلمة ﴿ٱللَّهُ﴾ أصلها (الإله) أي المعبود ثم خففت الهمزة وأدغمت اللامان فصارت ﴿ٱللَّهُ﴾.

وكل كلمة ليس لها نظير لا تثنى ولا تجمع.

٦ـ قوله: ﴿لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ﴾ ذكر الرب ومعناه المربي والمشرف والمهتم فجمع بذلك الاسمين: الله والرب، وهو واحد، ولو قال: لتؤمنوا بالله لكان اسماً واحداً فقط.

السؤال الثاني :

ما دلالة التعبير: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨﴾ في القران الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٩١.

❁❁❁❁

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله: ﴿هُوَ﴾ يفيد الحصر أنه هو لا غيره.

٢ـ قوله: ﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ﴾ أي الرسول عليه السلام، وفي ذلك تكريمان :

أ ـ عبد: وتمثل العبودية الاختيارية التي يتفاضل فيها الناس ﴿عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾[الإسراء:٣] ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء:١] ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص:٣٠] أمّا العبودية القسرية فيستوي فيها الجميع ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾﴾[مريم:٩٥].

ب ـ الضمير: ﴿عَبۡدِهِۦٓ﴾ بإضافة العبودية لله تعالى.

٣ـ قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالفعل المضارع للدلالة على استمرار التنزيل.

٤ـ ﴿ءَايَٰتِۭ﴾ جمع آية، وهي العلامة.

٥ـ ﴿لِّيُخۡرِجَكُم﴾ الضمير فيها راجع إلى الله أو إلى الرسول.

٦ـ جمع الظلمات وأفرد النور، فنور الله وهديه واحد.

٧ـ قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ أوضحه بعد أنْ كان ضميراً ﴿هُوَ﴾.

٨ـ قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾﴾ الرأفة خاصة: وهي دفع المكروه وإزالة الضرر. أمّا الرحمة فعامة ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء:١٠٧]، وفي الآية توكيدان: إنّ واللام. وتدرجت من الخاص إلى العام ﴿رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

السؤال الثاني :

هل جاء الجمع بين الاسمين الجليلين (الرؤوف) و(الرحيم) أو الجمع بين الرأفة والرحمة في كل آيات القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ للعلم فإنّ جميع الآيات في القرآن الكريم جاءت بالجمع بين الاسمين الجليلين (الرؤوف) و(الرحيم) أو الجمع بين الرأفة والرحمة إلا في مكانين :

أ ـ في سورة البقرة الآية٢٠٧ : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾[البقرة:٢٠٧].

ب ـ في سورة آل عمران الآية ٣٠ : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[آل عمران:٣٠].

والسبب في ذلك أنّ السياق كان يتكلم عن المجاهرين بالإثم والفساد، فلا يناسب ذكر الرحمة لهؤلاء.

٢ـ ورد اسم الله ﴿رَءُوفٌ﴾ في القرآن إحدى عشرة مرة واسم الله ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ٩٥ مرة، وصفته ﴿رَحِيمًا﴾ ٢٠ مرة.

❁❁❁❁

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

في آية الحديد السابقة رقم (٧) طلب الله الإنفاق من المؤمنين، فجاءت هذه الآية لتحثهم على الإنفاق. أي لماذا لا تنفقون في سبيل الله والله تعالى وارث أموالكم، وستؤول إليه أموال الخلق كلهم، فأنفِقوا حتى تنالوا جزاء المنفقين قبل أن تنتقل رغماً عنكم وتذهب إلى الله تعالى، أنفقوا حتى تنالوا.

١ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قدّم الجار والمجرور للحصر والقصر، والمعنى أنّ أموالكم ستؤول إليه حصراً وقصراً؛ لأنّ الإنفاق في سبيل الله في الغالب هو المال. ولم يقل: ميراث أموالكم، لكنها دخلت في العموم، كما في قوله تعالى :

ـ ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨] فهؤلاء المعنيون في هذه الآية دخلوا في عموم الكافرين.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾ من أنفق وقاتل من قبل الفتح لا يستوي مع من فعل ذلك بعد الفتح؛ لأنّ الذي ينفق بعد النصر حاصل وفيها احتمال الغنائم والفائدة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي كل هؤلاء على سبيل الاستغراق داخلون في وعد الله تعالى بالحسنى، فالحسنى حاصلة، لكنّ الدرجات تختلف.

٤ـ قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُنفِقُوا۟﴾ أصلها: أن لا، وأنْ تفيد تخليص الفعل إلى الاستقبال، والإنفاق يحتمل الاستقبال والإرجاء، فناسب :(أنْ) للاستقبال.

أمّا قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحديد:٨] فلم يأت بـ(أن) لأنّ الإيمان لا يحتمل الاستقبال، ولا بدّ أن تؤمن الآن في الحال فلا تدري بعد لحظة ما الذي يحصل.

٥ـ قوله تعالى: ﴿مَّنْ أَنفَقَ﴾ بالمفرد، ثم بعد ذلك قال: ﴿ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟﴾ بالجمع؛ لأنه قبل الفتح كان المنفقون قليلين، و كان المسلمون قليلين فأفرد فقال: ﴿مَّنْ أَنفَقَ﴾ ولمّا كثروا بعد الفتح استعمل ما يدل على الجمع فقال: ﴿ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟﴾

السؤال الثاني :

جاء في القرآن التعبيران ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ و ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فما القاعدة في ذلك؟

الجواب :

في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ قدّم العمل على الخبرة؛ لأنّ القاعدة في القرآن أنه إذا كان الكلام عن عمل الإنسان يقدّم العمل على الخبرة، وإذا لم يكن الكلام عن العمل وإنما في أمر قلبي أو الكلام عن الله تعالى يقدّم الخبرة :

* شواهد قرآنية :تقديم العمل :

ـ ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾[البقرة:٢٧١] هذا عمل.

- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة:٢٣٤] الكلام عن العمل ﴿فَعَلْنَ﴾ فختم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾.

- ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن: ٧ – ٨] ذكر ما يتعلق بالإنسان وعمله فقدّم العمل.

*شواهد قرآنية :تقديم الخبرة :

- ﴿۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النور:٥٣] النفاق أمر قلبي، فقدّم الخبرة.

- ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل:٨٨] يتكلم عن الله، فقدّم الخبرة.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر:١٨] التقوى أمر قلبي، فقدّم الخبرة.

❀❀❀❀

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿يُقْرِضُ﴾ مبني للمعلوم، ولم يقل: (إقراضاً) بصيغة المصدر، بل قال: ﴿قَرْضًا﴾ وهو مصدر الفعل الثلاثي (قرض) أي: قرض قرضاً، فجمع بين المعنيين، وهذا من باب التوسع في المعنى؛ لأنه جمع بين الإقراض والمال.

٢ـ سمى القرض بالحسن، وشروطه هي :

أ ـ أنْ يكون بإخلاص النية لله « **إنما الأعمال بالنيات**».

ب ـ أنْ يكون بدون مقابل في الدنيا ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

ج ـ أنْ يكون عن طيب نفس دون مَنٍّ ولا تكدير، وإنما فيه بشاشة وجه ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾[البقرة:٢٦٢].

د ـ أنْ يكون المال حلالاً طيباً فإنْ كان حراماً لا يصح «**إنّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً**».

هـ ـ أنْ يتحرى المال الكريم ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[البقرة:٢٦٧].

و ـ أنْ يتحرى أفضل الجهات وأشدها حاجة وأكثرها نفعاً للمسلمين.

٣ـ الإقراض غير الصدقة؛ لأنّ الصدقة لا تطالب بها، بعكس الإقراض وهذا تهوين على المقرض أكثر من الصدقة. لذلك قال بعضهم: الإقراض هو في السنن والمندوبات، وليس في المفروض.

لذلك أنت تقرض الله تعالى بنية القرض وبالشروط المبينة أعلاه ووعد الله تعالى بأن يعيده عليك مضاعفاً، وسماه قرضاً حتى يهونها على المنفقين لأنّ من شروط القرض أنْ يُعاد إلى صاحبه ،أمّا الصدقات فلا تعاد.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١﴾ فيه وعد من الله بالمضاعفة والأجر الكريم الحسن البالغ الجودة.

٥ـ قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا﴾ هي عامة؛ لأنّ كل واحد مسؤول عن انفاقه وكل شخص مدعو بذاته أن يفعل هذا، فالخطاب موجه لكل شخص.

٦ـ قال في آية البقرة ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ [البقرة:٢٤٥] وفي الحديد ذكر المضاعفة وزاد الأجر الكريم فأغنى ذلك والله أعلم عن قوله: ﴿أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ فذكر في البقرة الكم ولم يذكر الكيف، وفي الحديد ذكر الكم والكيف.

قيل في الأسباب ما يلي :

أ ـ سورة الحديد مطبوعة بطابع الإيمان والإنفاق، بينما الإقراض في البقرة في سياق القتال، فناسب ذلك ذكر الجزاء في آية الحديد بالكم والكيف.

ب ـ جاء في آية البقرة: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ أي يضيّق الرزق عن بعض عباده، فكأنه قال له: أنفق حتى لا يصيبك القبض وحتى يُبسط لك، أي فيها تهديد بالقبض فقال: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾.

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾وقال في نفس السورة في الآية السابعة: ﴿أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾، فما الفرق؟

في الآية السابعة ذكر الله الإيمان والإنفاق، وفي الآية (١١) ذكر الإنفاق فقط، فلمّا اتسعت الدائرة اتسع الأجر فقال: ﴿أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾أما في سورة الحديد فليس فيها تهديد.

٨ـ قوله تعالى في آية الحديد ١١ ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ وقوله في ختام الآية ٢٤٥: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ والسبب أنّ سياق آيات البقرة في القتال والموت وطلب الإقراض فيها هو لتجهيز الجيوش، والقتال والموت والقتل مظنة الرجوع إلى الله تعالى، فقال: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

وأمّا سورة الحديد فالكلام فيها في الإنفاق، وليس في الموت والقتال فناسب ختام كل آية السياق الذي وردت فيه.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الحسنة والقرض؟

الجواب :

١ـ ورد في الحديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**رأيتُ ليلة أُسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر. فقلت يا جبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأنّ السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة**». أخرجه ابن ماجه.

٢ـ وتفسير ذلك أنك لو تصدقت بدرهم فقد عملت حسنة تُضاعف لك إلى عشر حسنات حسب قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[الأنعام:١٦٠] لكن هل يردّ السائل الدينار إليك؟ بالطبع لا.

أمّا القرض فإنك تقرض درهماً مثلاً لشخص فيكون بذلك عشر حسنات وعندما يرد لك هذا القرض تكون قد أخذت تسعة، والتسعة حسب الآية تُضاعف فتكون ثمانية عشر. والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية الحديد ٧: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وفي الآية ١١ ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ وفي آية البقرة ٢٤٥: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحديد ٧.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين خواتيم الآيتين البقرة ٢٤٥ والحديد ١١؟ وهل من فروق أخرى؟

الجواب:

انظرالجواب في آية البقرة ٢٤٥.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ يجوز أنْ يكون ظرفاً متعلقاً بختام الآية السابقة على تقدير: وله أجر كريم في ذلك اليوم، أوعلى تقدير: اذكر يوم ترى المؤمنين. والمراد من هذا اليوم هو يوم القيامة والمحاسبة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بالتعريف؛ ليكون ذلك مقابل (المنافقون والمنافقات) في الآية التالية، والإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل، ولولا العمل لنال البشرى جميع من آمن ونال التبكيت جميع من نافق.

٣ـ قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ السعي أسرع من المشي، وأسند السعي إلى النور؛ لأنّ الفاعل هو ﴿نُورُهُم﴾ أي: أنّ النور يسعى بهم فلا يتركهم فهم يُسرعون معه، وبالتالي يكون إسراعهم أو الإسراع بهم.

وأضاف النور إليهم فقال (نورهم) للدلالة على أنه نور أعمالهم فيُعطى لكل مؤمن نورٌ على قدر عمله.

٤ـ لم يقل مثلاً: يسيرون؛ لأنّ في ذلك إفضاء إلى الجهد والتعب، بل قال: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ أي: يُسعى بهم على مطايا فيسرعون فيسرع نورهم معهم وأضاف النور لهم كل حسب عمله.

٥ـ قوله تعالى: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي أمامهم مباشرة ولم يقل: أمامهم؛ لأنّ الأمام يحتمل القريب والبعيد.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ اليمين جهة السعداء، والباء للإلصاق، أي النور ملتصق بأيمانهم.

٧ـ قوله تعالى: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي تقول لهم الملائكة: بشراكم اليوم. وهذه البشرى موجهة للمؤمنين، وفيه التفات من الغائب إلى المتكلم.

٨ـ قوله: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ حذف القول. والمشهد كان في السابق خبراً وأصبح في هذا اليوم بالضبط مرئياً ومشاهداً لا مسموعاً أو منقولاً.

٩ـ قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٌ﴾ فلكل واحد أكثر من جنة.

١٠ـ قوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي أنّ مبتدى منابع الأنهار من تحتها و(من) هنا للابتداء.

١١ ـ قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ يذكر القرآن كلمة (أبدا) مع زيادة التفصيل في الآيات، أو مع تفصيل نعيم الجنة، للدلالة على الأبدية في النعيم تطميناً للمؤمن، فإنّ الإنسان يخشى أنْ يفوته النعيم أو يترك هو النعيم.

١٢ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: عائد على النور والبشرى بالجنات؛ لأنّ ذلك كائن في ذلك اليوم وليس بعده، فاستعمل (ذلك) للقريب الواقع.

١٣ ـ عرّف (الفوز) وجاء بضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ ليفيد التوكيد والحصر على أنّ ذلك وحده هو الفوز العظيم، وليس ثمة فوز غيره، وأنّ ما عداه هو الخسران المبين. وضمير الفصل يقع عادة بين المبتدأ والخبر أو ما أصله مبتدأ وخبر.

❁❁❁❁

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر الله في هذه الآية (المنافقين والمنافقات) مقابل (المؤمنين والمؤمنات) في الآية السابقة؛ حتى لا يُظن أنّ هناك علاقة بين المؤمن والمنافق ولو كان قريبه، فكل فرد من الجنسين ينال جزاءه وكلٌّ مسؤول عن نفسه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا﴾ لها معنيان: من النظر، ومن الانتظار.

أمّا بمعنى النظر أي: أنّ المؤمنين إذا نظر إليهم المنافقون والمنافقات فسوف يستضيئون من أنوارهم فيرون طريقهم.

وأمّا بمعنى الانتظار: فالتاء فيها تمهل، أي طلبوا أقل الوقت لينتظرهم المؤمنون عسى أن يلحقوا بهم.

لكنّ القرآن لم يقل: (انتظرونا)؛ لأنهم لن ينتظروهم، فطلبوا ﴿ٱنظُرُونَا﴾ أي انتظرونا ولو قليلاً من الوقت، ولو كان في الوقت فسحة لساغ طلب الانتظار، كما في آية يونس ١٠٣ وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ١٠٢﴾ فقال ﴿ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ وقال ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لأنّ في الوقت متسعاً.

وكلمة ﴿ٱنظُرُونَا﴾ من الفعل الثلاثي (نظر)، بينما ﴿فَأَنظِرْنِيٓ﴾ من الفعل الرباعي: (أنظر)، أي: أمهل.

٣ـ القبس: هوالشعلة من النار أو السراج، ويتم ذلك بأخذ عود من الأرض فيضعه في النار فيشتعل ثم يأخذه، وهذا هو الاقتباس. أمّا الأخذ فهو أخذ من النار.

وبالتالي الاقتباس لا ينقص من النار بعكس الأخذ. لذلك لم يقل المنافقون للمؤمنين: دعونا نأخذ من نوركم؛ لأنهم لن يوافقوا أنْ يأخذوا شيئاً من نورهم، وإنما قالوا لهم ﴿نَقْتَبِسْ﴾ أي بدون أنْ ينقص نوركم شيئاً.

والفعل (اقتبس) أعظم من (قبس) وهو يدل على عظم نور المؤمنين وإكرامهم. وفي الغالب – وليس شرطاً – الزيادة في المبنى تفيد الزيادة في المعنى. مثلاً كلمة: (حذِر)، أبلغ من كلمة (حاذر).

٤ـ قوله تعالى: ﴿مِن نُّورِكُمْ﴾ وليس: من النور الذي معكم، للدلالة على أنه نورهم هم، ونسب النور إليهم أي للمؤمنين بقصد الإكرام فكل واحد له نور.

٥ـ قوله تعالى: ﴿قِيلَ﴾ مبني للمجهول، والقائلون هم الملائكة؛ لأنّ المؤمنين مشغولون بما هو أهم فلم يردوا على المنافقين.

٦ـ قوله تعالى: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ (وراء) هو ظرف مؤكد للفعل (ارجعوا) كما يؤكد الحال في قوله تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾،وقد تأتي (وراءكم) اسم فعل أمر بمعنى :ارجعوا.

والظرف أو الحال قد يأتي ظرفاً مؤسِساً، بمعنى أنه يؤسس معنى جديداً في الجملة، نحو: جاء يوم الجمعة، أو يأتي ظرفاً مؤكداً للفعل، نحو: جلست زمناً، وتكلم حيناً.

٧ـ قوله تعالى: ﴿ٱرْجِعُوا۟﴾ فيه عدة أقوال :

أ ـ أنها خدعة للمنافقين بأنْ يرجعوا إلى المكان الذي قُسِّم فيه النور فلا يجدون شيئاً، كما قال تعالى: ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾[النساء:١٤٢] وهونوع من التهكم للمنافقين إذ لا نور وراءهم.

ب ـ ﴿ٱرْجِعُوا۟﴾ بمعنى منع المنافقين من الاستضاءة.

٨ـ قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ﴾ أي حُجز بين المؤمنين والمنافقين بسور وحرف الجرالباء (بسور) يفيد التضمين، والتضمين يفيد معنيين: الأول أصلي والثاني معنى جديد بسبب حرف الجر، كما قال تعالى:﴿ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ﴾ [الأنبياء:٧٧]ونصرناه من

الذين كفروا، أي: نجاه الله من الذين كفروا، فأصبح الفعل (نصر) له معنى النجاة إضافة إلى معنى النصر الأصلي المعروف.

٩ـ السور هو ما أحاط بالشيء من بناء وغيره.

١٠ـ قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ بَابُۢ﴾ حتى لا يُظن أنّ المؤمنين محتجزون فيه وإنما ينفذون إلى مرادهم وهو الطريق إلى الجنة، فالمنافقون لا يتمكنون من الدخول فيه ليلتقوا بالمؤمنين، والمؤمنون يتمكنون من الخروج منه.

١١ـ وصف الله الباب بقوله: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾ وفي ذلك تشبيه لحال المنافق حيث يخالف باطنه ظاهره، وهو تناظر لطيف بين السور والمنافقين في اختلاف الباطن عن الظاهر.

والمعنى أنّ هذا السور بين الجنة والنار له باب، فالمؤمنون يدخلون الجنة من ذاك الباب، والكافرون يبقون في العذاب والنار؛ لأنّ كلمة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ أي: خارجه، لذلك يدخل المؤمنون الجنة من ذاك الباب.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة الحواجز كالجدار والسور وغيره؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٤٦.

السؤال الثالث :

في قوله تعالى في الآية: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ أي بتقدير (لنقتبس)، ما الفرق بين التصريح باللام وإضمارها؟

الجواب :

١ـ ما الفرق بين قولنا: قل له: يفعل، و: قل له: ليفعل؟

والجواب: أنه بذكر اللام يكون الشخص مأموراً صراحة بخلاف إضمارها، فهذا أرق وألطف.

وفي قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ [البقرة:٦١] المخاطب هنا هو موسى عليه السلام فاستغنى بخطابه عن ذكر (لام الأمر) مع الله تعالى، وهذا ألطف وأرق.

في حين لو قال مثلاً: ليخرج لنا؛ لكانت (لام الأمر) صراحة لله تعالى.

٢ـ قد تضمر (لام الأمر) بعد قولٍ هو أمر. كما في آية الإسراء ٥٣ـ وآية إبراهيم ٣١ـ والتقدير: قل لهم ليقولوا وليقيموا.

٣ـ ليس بعد كل قول أمر يكون المحذوف لاماً، فقد يكون شرطاً أو أمراً أو يحتمل المعنيين، كما في الآية:

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [الأحزاب:٧١] هنا معناه الشرط.

ـ قولك: قل له: يفعلْ ذاك، قد يحتمل الأمر، وقد يحتمل الشرط.

٤ـ حذف اللام ليس محصوراً بالقول، بل قد يكون مع غيره حسبما يقتضي المعنى.

* شواهد قرآنية:

- ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾[البقرة:٦٩] أي ليبين لونها.

- ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[الحديد:١٣] فليس المقصود إنْ تنظرونا نقتبس من نوركم، وإنما هو طلب النظر لاقتباس النور.

- ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[الأعراف:١٤٣] أي لأنظر إليك وليس إن تُرني أنظر إليك.

- ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾[البقرة:٦١] فقد يحتمل الشرط أو التعليل أي :

إنْ كان المعنى: إنْ تدع ربك يخرج لنا بخلاف ما لو دعوناه نحن، فهذا يحتمل الشرط.

وإنْ كان المعنى: ادعه لنا ليخرج لنا، فيحتمل التعليل.

لكنه حذف اللام إكباراً وإجلالاً للذات الإلهية من أنْ يصرح معها بلام الأمر. والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ أي: برفع الصوت؛ لأنّ السور قد أصبح فاصلاً بين المؤمنين والمنافقين، ولم يستعمل هنا مثلاً: يقولون لهم؛ لأنّ القول ليس فيه رفع الصوت بعكس النداء.

وللعلم فإنّ المسافة بين الجنة والنار كبيرة جداً، وهذا يدل على أنّ البعد الشديد لا يمنع من الإدراك بقدرة الله تعالى.

٢ـ قوله تعالى: ﴿نَكُن مَّعَكُمْ﴾ ولم يقل: نكن منكم؛ لأنهم لم يكونوا من المؤمنين في الدنيا وإنما كانوا يعيشون معهم، ولذلك أجابوهم ﴿بَلَىٰ﴾ ولو قالوا: ألم نكن منكم، لأجابوهم بكلا.

٣ـ الفعل ﴿قَالُوا﴾ أي: أجابت الجهة المعنية بذلك؛ لأنّ هذا سؤال ولا يصح جوابه، وقيل: بل الجواب من الجهة المعنية.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَتَنتُمْ﴾ والفتنة تطلق على الاختبار و الإحراق، أي دخول النارللعذاب ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾[الذاريات:١٣].

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: وضعتم أنفسكم في الاختبار بين الحق والباطل طيلة حياتكم، وأصابكم العذاب النفسي؛ لأنه طال هذا الاختبار.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أمضيتم عمركم تنتظرون أي فريق يفوز وينتصر.

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ أي: شككتم في وعيد الله وفي نبوة محمد ﷺ وفي البعث، وقال: ارتبتم بدون أنْ يبين بماذا بقصد الإطلاق؛ لأنّ ذلك كان طيلة عمرهم.

٨ـ قوله تعالى: ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ أي: غلب على أمنيتكم أنّ محمداً سيُغلَب وأنّ الكفار سينتصرون.

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ أي: غرّكم الشيطان بمعنى جعلكم تغترون بسلامتكم من الله وعذابه.

١٠ـ إنّ هذه المذكورات مرتبة ترتيباً منطقياً، فهم فتنوا أنفسهم بأنْ أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر فكان عليهم التربص والانتظار، وبذا كان التربص من أثر الفتنة والاختبار.

ثم لمّا طال التربص ولم تظهر له نتيجة حاسمة داخلتهم الريبة والشكوك فيمن سيظهر ويغلب، فجاء هنا دور الأماني الخادعة تغرّهم وتمنيهم، ثم جاء دور الشيطان لئلا تصحو ضمائرهم فغرّهم بالله وهوّن عليهم الأمر واستمروا على ذلك حتى جاء أمر الله ورحلوا عن هذه الدنيا منافقين مغرورين من أنفسهم ومن الشيطان فسوف يلقون غياً.

والله أعلم.

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ هو قول من الله تعالى، أو من الملائكة الموكلين بهذا الرد.

٢ـ الفدية في القرآن: هي صيام أو مال أو نسك، كما قال تعالى: ﴿فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ﴾[البقرة:١٩٦].

٣ـ وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤۡخَذُ﴾ دلالة على أنّ الفدية هنا هي المال.

٤ ـ بيّن الله أنه لن تؤخذ الفدية من المنافقين أو من الكفار؛ حتى لا يظنوا أنه بالإمكان أخذها من غيرهم من الكفار.

٥ـ المأوى: هي دار الإقامة أو الملجأ.

٦ـ ﴿مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ أي النار هي التي ستتولى أمركم، أو الولي هو الذي يليك من القرب، فجمع الله عليهم أمرين من الشر: المأوى والولي.

ولم يأت في القرآن الكريم كلمة ﴿مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ إلا هنا؛ لأنّ النار قربهم.

السؤال الثاني :

نلاحظ في آيات سورة الحديد من الآية ١٢ وحتى الآية ١٥ تكريماً كبيراً للمؤمنين وإهانة كبيرة للمنافقين مع تفاصيل دقيقة في الحالين، فما دلالات تكريم المؤمنين؟ وما دلالات إهانة المنافقين؟

الجواب :

دلالات تكريم المؤمنين :

١ـ قال: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ ولم يقل: يمشي نورهم، للدلالة على السرعة.

٢ـ أسند السعي إلى النور ولم يسنده إليهم، ولم يقل: يسعون.

٣ـ قال: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ فذكر الفاعل ولم يبنه للمجهول.

٤ـ أضاف النور إليهم، فهو نورهم وفيه تكريم لهم.

٥ـ قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: أمامهم ولم يقل: أمامهم؛ لأنّ الأمام قد يكون بعيداً عن الشخص.

٦ـ قال: ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ ولم يقل: عن أيمانهم، فالباء للالتصاق، بينما (عن) تفيد المجاوزة.

٧ـ قال: ﴿بُشْرَىٰكُمُ﴾ ولم يقل: قيل بشراكم؛ لأنّ المشهد أصبح حاضراً وليس غائباً.

٨ـ أضاف البشرى إلى ضمير المخاطبين لتنال البشرى كل واحد منهم.

٩ـ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ للدلالة على قرب البشرى.

١٠ـ قال: ﴿جَنَّٰتٌ﴾ ولم يقل: جنة، للدلالة على أنّ كل واحد له جنة.

١١ـ قال: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ للدلالة على أنّ الماء يجري وليس راكداً فيأسن.

١٢ـ قال: ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ ولم يقل: نهر، للدلالة على كثرة الأنهار.

١٣ـ قال: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ بالجمع وهي بشرى أخرى، وكلمة ﴿فِيهَآ﴾ للدلالة على أنّ الخلود في الجنات، وليست الجنة مرحلة مؤقتة.

١٤ـ قال: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ فعرّف الفوز وقصره وجاء بضمير الفصل للتأكيد.

١٥ـ ذكر أنّ المنافقين يقولون: ﴿ٱنظُرُونَا﴾ ولم يقولوا: انتظرونا، وفي هذا دلالة على الإسراع بالمؤمنين إلى الجنة.

١٦ـ قال: ﴿نَقْتَبِسْ﴾ ولم يقل: نقبس، وهذا يدل على عظم النور الذي عليهم، فالاقتباس أكثر من القبس.

١٧ـ قال: ﴿مِن نُّورِكُمْ﴾ ولم يقل: من النور، فالنور نورهم وفيه تكريم.

١٨ـ قال: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟﴾ ولم يقل: قالوا؛ لأنه أراد ألا ينشغلوا بها لا فائدة فيه، فتكلم الملائكة عنهم وتابع المؤمنون طريقهم إلى الجنة.

١٩ـ قال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ فحجزوا المؤمنين عن الكافرين.

٢٠ـ ثم قال: ﴿لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ للدلالة على أنهم غير متحتجزين فيه.

٢١ـ ثم قال: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ وهو تكريم آخر، كيف لا وهم في رحمة الله؟ !

دلالات إهانة المنافقين :

١ـ طَلَبَ المنافقون من المؤمنين الاقتباس؛ لأنهم في ظلمة.

٢ـ قال: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾ فبنى الفعل للمجهول، وقيل: هذا قول الملائكة لأنّ المؤمنين مشغولون بما هو أهم. وفي عدم الرد عليهم من المؤمنين إهانة للمنافقين.

٣ـ قال: ﴿ٱرۡجِعُواْ﴾ فيه إهانة أخرى.

٤ـ قوله: ﴿وَرَآءَكُمۡ﴾ هو إمّا ظرف مؤكِّد أو فعل بمعنى (ارجع)، فالمعنى: ارجعوا ارجعوا، وهو إهانة ظاهرة.

٥ـ قال: ﴿فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ هذا من باب التهكم فهم يعلمون أنه ليس ثمة نور.

٦ـ قال: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ﴾ فحجزوهم عن اللحاق بالمؤمنين، وفي هذا إهانة.

٧ـ قال: ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ وهي جهتهم.

٨ـ قال: ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ﴾ فرفعوا صوتهم من وراء السور ليلتحقوا بالمؤمنين ولكن هيهات.

٩ـ في رد المؤمنين عليهم إهانات متعددة لهم ﴿فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝١٤﴾ [الحديد:١٤]

١٠ـ قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٥﴾ [الحديد:١٥] فيه إهانات متعددة للمنافقين وإخبار لهم بما سيلاقونه من سوء العذاب. والله أعلم.

﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ أي: ألم يحنْ، من الفعل (أنى) أي حان.

٢ـ أسند الخشوع إلى القلب في قوله: ﴿تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ والخشوع أمر مشترك بين القلب والجوارح، فهو يُسند إلى الأبصار وإلى الوجوه وإلى الأصوات. والخشوع هو الخضوع والخشية والتذلل لله.

وقد ذكر القرآن في هذه الآية ثلاثة أمور، كلٌّ منها يستدعي الخشية :

أـ كون المخاطبين مؤمنين، وهذا يستدعي الخشية.

ب ـ ذكْرُ الله وهو مدعاة إلى الخشية.

ج ـ ما نزل من الحق وهو القرآن وهو مدعاة إلى الخشية.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ هو ذكر عام مطلق، وقوله: ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ هو خاص فعطف الخاص على العام، والحق هنا هو القرآن، وهو جامع للوصفين: الذكر والموعظة.

٤ـ قدّم الخشوع بالذكر على الخشوع بما نزل من القرآن؛ لأنّ الخشوع والخوف والخشية لا تحصل إلا عند ذكر الله، وأمّا حصولها عند سماع القرآن فذاك لأجل اشتمال القرآن على ذكر الله.

وجاء الفعل ﴿تَخۡشَعَ﴾ مقابل الفعل ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ ليكون التحذير من أنْ يكونوا مثل الذين أوتوا الكتاب وليس كقلوبهم، أي المقابلة جماعة بجماعة.

٥ـ قوله: ﴿أُوتُواْ﴾ في القرآن تأتي في مقام الذم، بينما تأتي (آتيناهم) في مقام المدح.

٦ـ ﴿مِن قَبۡلُ﴾ هو ظرف مبني على الضم في محل جر، والظرف المبني على الضم يدل على مدة معينة أو مكان معين، وإنْ بني على الكسر (قبلِهِ) فلا يدل على مدة معينة. وهنا توجد مدة معينة تبدأ من نزول التوراة والإنجيل؛ فلذلك استعمل ﴿مِن قَبۡلُ﴾ بالضم.

٧ـ قوله: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ للدلالة على أنّ الأولين قست قلوبهم، وكذلك المحدثون، بينما بدون (من) تدل فقط على الذين كانوا في زمن النبي عليه السلام وأنّ الأولين لم تقسُ قلوبهم.

٨ـ في القرآن تنسب القسوة إلى القلب فقط دون غيره من الأعضاء.

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٞ﴾ على وزن (فعيل) صفة مشبهة، وهذا وصف للأشخاص لا للقلوب، ويستعمل القرآن صيغة التفضيل ﴿أَكۡثَرُهُمۡ﴾ عندما يطيل في ذكر الموضوع ويعدد الصفات فتأتي صيغة التفضيل [انظر آيات سورة المائدة ٥٨ ـ ٧٨] وعندما لا يطيل يستعمل ﴿وَكَثِيرٞ﴾

١٠ـ صيغة (فعيل) من الفعل المتعدي تكون للمبالغة ومن الفعل اللازم تكون صفة مشبهة، نحو :

ـ (سميع) من الفعل المتعدي (سمع) فتكون للمبالغة.

ـ (عليم) من الفعل المتعدي (علم) فتكون للمبالغة.

ـ (رحيم)من الفعل المتعدي (رَحِمَ) فتكون للمبالغة.

ـ (طويل) من الفعل اللازم (طال) فتكون صفة مشبهة.

ـ (قصير) من الفعل اللازم(قصر) فتكون صفة مشبهة.

١١ـ قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ أي خارجون عن دينهم، وكأنه إشارة إلى أنّ عدم الخشوع في أول الأمر يفضي إلى الفسق في آخر الأمر.

١٢ـ في الآية نوع من التقابل، مثل :

﴿ءَامَنُوٓا﴾	مقابل	﴿أُوتُوا﴾
﴿تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾	مقابل	﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾
﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ﴾	مقابل	﴿قَسَتْ﴾

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الخضوع والخشوع؟

الجواب :

١ـ الخضوع قد يكون تكلفاً عن نفاق أو خوف أو تقية، والعرب تقول: خشع قلبه، ولا تقول: (خضع) إلا تجوزاً.

٢ـ الخشوع من أفعال القلوب، ويكون عن انفعال صادق بجلال من نخشع له وهو الله تعالى، انظر آيات [الإسراء ١٠٩ـ البقرة ٤٥ـ الأنبياء ٩٠ـ آل عمران ١٩٩ـ الحديد ١٦ـ الغاشية ٢].

السؤال الثالث :

ما الفرق في الاستعمال القرآني بين ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ و ﴿أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٤٦.

❀❀❀❀

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ في الآية وجهان :

أـ أنه تمثيل: والمعنى أنّ المواظبة على الذكر سبب لعودة حياة الخشوع إلى القلوب التي ماتت بسبب القساوة، كما يحيي الله الأرض بالغيث.

ب ـ أنّ المراد بعث الأموات؛ ليكون ذكر ذلك ترغيباً في الخشوع والخضوع وزجراً عن القساوة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ أي: ماتت بنفسها؛ لأنّ الفعل (مات) لازم أمّا الفعل: (أمات)، فهو متعدٍّ، ومنه: أمات يُميت؛ ولذلك لم يقل: (بعد إماتتها)؛ حتى لا يظن ظان أنّ أحداً غيره أماتها.

٣ـ في الآية المطلوب العلم بأنّ الله وحده فقط يحيي ولا غيره مطلقاً.

السؤال الثاني :

ما الفرق في الدلالة بين ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ و ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾؟

الجواب :

الحرف (من): للابتداء.

جملة (من بعد موتها): معناه أنّ الإحياء يبدأ من بعد الموت بلا مهلة ولا فاصل.

وأمّا جملة (بعد موتها): فيحتمل الزمن القريب والبعيد.

لذلك ناسب الآية ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ لأنّ الإحياء قد يحتمل الزمن القريب والبعيد.

والله أعلم.

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الرابط بينها وبين ما سبق أنّ الصدقة تُضاعف كما تُضاعف الأرض غلتها، كما في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[الحديد:١٧].

٢ـ ذكر المتصدّقين والمتصدّقات؛ ليبيِّن استقلال الرجل والمرأة في العمل وفي مضاعفة الأجر، فهما متساويان ومستقلان؛ ولذلك لم يكتف بصيغة الذكور فقط.

٣ـ المصّدّقين: أصلها فيها إبدال للتاء بالصاد ودغمها في الصاد الثانية وفي الكلمة حرفان مشددان لبيان المبالغة في الصدقة.

٤ـ المعنى أنّ الذين اتصفوا بصفة الإكثار من الصدقة ثم أتوا بالقرض الحسن يُضاعف لهم.

٥ـ ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ هم كثيرو الصدقة، والتشديد للمبالغة والصدقة دائماً في الفروض والعبادة.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ هذا في التطوع، وهذا في العبادة والمعاملة المالية.

٧ـ في كل القرآن الكريم وصف الله القرض بصفة الحسن وأنه لله فقط. والقرض هنا للمال، ووصفُ الحُسنِ لأنه حسنٌ في الشخص، بطيب نفسه وبشاشته، وحسنٌ في المال، مكسبه حلالٌ ومن كريم ماله، وحسنٌ في الجهة التي يقرضها، فهو يعطيها لأفضل الجهات نفعاً للمسلمين.

٨ـ الصدقة عبادة فقط ومنها الزكاة، بينما القرض يستعمل للتعامل المالي وللعبادة؛ ولذلك قال: ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ حتى يفرّق بين العبادة والتعامل المالي.

٩ـ وُصف الأجر بكونه كريماً؛ لأنه هو الذي يجلب مضاعفة الأجر.

١٠ـ تم عطف الفعل على الاسم وهذا يجوز، قال الشاعر:

إنّ الثمانين وبُلّغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجُمان

١١ـ جعل الصدقة بالصيغة الاسمية ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ للثبوت؛ لأنها عبادة فقط وجعل القرض بالصيغة الفعلية ﴿وَأَقْرَضُواْ﴾ للحدوث؛ لأنّ القرض للعبادة والتعامل المالي؛ ولأنه تطوع لا فرض.

لذلك لا تجد في القرآن مطلقاً (المقرضين)، وإنما تجد ﴿ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾.

١٢ـ قد يذكر القرآن القرض الحسن بعد الزكاة، وقد يأمر به بعد الأمر بالزكاة، مما يشير إلى أنّ القرض الحسن إنما هو من باب التطوع بعد الفريضة.

١٣ـ المُقرض ليس ملزماً بالإقراض، بخلاف المزكّي فإنه ملزم بإخراجها وبخلاف المتصدق فإنّ من الصدقة ما يُلزم، والقرض الحسن أعم من الصدقة فهو في الصدقات وغيرها من وجوه الإنفاق في أبواب الخير.

١٤ـ لم يذكر الله القرض في القرآن إلا وصفه بالحسن بخلاف الصدقة.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

الفعل: (أقرض) أشهر من الفعل: (قرض). والمصدر قرضاً وإقراضاً فلماذا استعمل القرآن (قرضاً) ولم يستعمل (إقراضاً)؟

الجواب :

١ـ لو قال: إقراضاً، لدل على المصدر أي الحدث فقط، بينما (قرضاً) تدل على المال والحدث، أي المصدر.

فجمع بين المعنيين، ولو قال: (إقراضاً) لدل على معنى واحد فقط.

٢ـ ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزّمل:٨]

٣ـ ومثل ذلك استعمال القرآن لكلمة (نباتاً) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح:١٧] وقال تعالى: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ عن السيدة مريم في سورة آل عمران ٣٧، والسبب :

لو قال: إنباتاً، فإنّ المنبت هو الله تعالى؛ لأنه المنبت لكل شيء، وهنا يدل على الحدث.

أمّا قوله تعالى: ﴿نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أي: أنبتها فنبتت نباتاً حسناً، أي: جعل لها فضلاً في معدنها الكريم.

ولو قال: (إنبات) لم يجعل لها فضلاً؛ لأنّ الإنبات فعل من الله للجميع.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين كلمة ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ و ﴿ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأحزاب ٣٥ـ

❁❁❁❁

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ هو عام في مقابله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في نفس الآية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَرُسُلِهِۦٓ﴾ يقابله ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي عن طريق الرسل.

٣ـ الصدّيق: نعت لمن كثر منه الصدق، وجمع صدقاً إلى صدقٍ في الإيمان بالله والإيمان برسله، لذلك كل من آمن بالله ورسله هو صديق بشكل عام. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[الزُّمَر:٣٣] فالمؤمن يصدق ويصدّق.

وصفة الصدق ملازمة دائماً للمؤمن، وحين سئل الرسول عليه السلام عن المؤمن هل يكذب؟ قال: لا، مع أنه قال: نعم للسرقة والزنى، فدلّ على أنّ الكذب يُخرج من الإيمان في لحظة الكذب.

٤ـ الصدّيقون: إمّا الموحدون بشكل عام، أو أنّ الآية خاصة تخص الذين آمنوا بالرسل حين أتوهم مباشرة دون تكذيب لهم، مثل آل ياسين ومؤمن آل فرعون وأبي بكر وعمر وبقية المبشرين، وخصّ الرسول ﷺ أبا بكر بهذا اللقب؛ لأنه من صفوة الصفوة.

٥ـ الصدّيقون درجات: أعلاهم الأنبياء ثم غيرهم.

٦ـ جاءت كلمة ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ بعد الصديقين.

٧ ـ الشهداء: هم الأنبياء وشهداء المعركة في سبيل الله ومن ذكره الرسول من أنّ المبطون شهيد والمطعون شهيد.

ومن ناحية النحو هناك وجهان :

أ ـ إمّا عطف على (الصديقون) ويكون كل مؤمن صديقاً وشهيداً وسمي ذلك؛ لأنّ كل مؤمن يشهد كرامة ربه.

ب ـ ليس عطفاً وإنما مبتدأ وخبره: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

٨ـ قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي مثل أجر الصدّيقين والشهداء ومثل نورهم. وقد تكرر ذكر الأجر والنور في السورة حتى أصبحت السورة قد طُبعت بهما. انظر الآيات التالية لكلمة: الأجر [٧ ـ ١١ـ ١٨ـ ٢٨].

و انظر الآيات التالية لكلمة: النور [٩ ـ ١٢ ـ١٣ ـ١٩ ـ ٢٨].

٩ـ نلاحظ أنّ الله تعالى ذكر الشهداء بعد الصديقين، ثم ذكر أجرهم ونورهم، وهذان الأمران هما طابع السورة.

١٠ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ولم يبيّن ما كفروا به، وإنما أطلقها لأنّ الكفر بالآيات أحد أركان الكفر، فلو آمنوا بالله وكفروا بالرسالات ولم يصدقوها سيكونون كافرين؛ لذا لم يخصصها وإنما أطلقها عامة (كفروا) على العموم. والكفر عام، وهو بمعنى الستر والتغطية.

والله أعلم.

❀❀❀❀

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المقصود العام من هذه الآية تحقير الدنيا وتعظيم الآخرة.

٢ـ ذكر أمر الدنيا كما هي في الحياة، فبدأ بها حسب تدرج الواقع :

أـ اللعب: وهو فعل الصبيان في الطفولة، واللعب أيضاً نقيض الجد.

ب ـ اللهو: وهو فعل الشبان، والغالب بعد انقضائه أنه لا يبقى إلا الحسرة.

ج ـ زينة: وهذا دأب النساء، وهو لتحسين القبيح وترميم الخراب وتكميل الناقص، ومن المعلوم أنّ العَرضي لا يقاوم الذاتي.

د ـ تفاخر بينكم: بالنسب والقدرة والقوة، وكلها ذاهبة.

هـ ـ ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ ـ وفيها ذم التباهي بذلك، وقدّم الأموال لأنها تلهي أكثر، وغالباً يقدم القرآن المال على الأولاد إلا في حالات خاصة من السياق، ومن المعلوم أنّ السياق هو الذي يحدد التقديم والتأخير.

٣ـ عندما فصّل في هذه الآية فصّل مراحل الحياة، وإذا أجمل في مكان آخر ذكر اللعب واللهو فقط؛ لأنّ الباقي يتبع اللهو مثل المال والأولاد، قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾ [التكاثر:١] وقال: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾[المنافقون:٩].

٤ ـ الكفار: جمع كافر، وهو إمّا من الكفر وهو نقيض الإيمان، أو هو الزارع كما في آية الفتح (٢٩)، ولم يقل هنا ﴿ٱلزُّرَّاعَ﴾ كما في آية الفتح لأنّ الزارع هو الذي يزرع ليستفيد ويفيد الآخرين، والكلام هنا ليس عن الزرع وإنما عن النبات، وهو يحمل في معناه كل ما نبت من الأرض مما يفيد أو لا يفيد؛ ولأنّ الكلام هنا عن الغيث لا عن زرع الزارع كما في آية الفتح.

٥ـ قوله تعالى: ﴿يَهِيجُ﴾ أي يتحرك وييبس، وبمجرد أنْ ييبس يصفر ولذلك جاء بالفاء للعطف والتعقيب ﴿فَتَرَىٰهُ﴾.

٦ـ قوله تعالى: ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ ولم يقل: (فيكون مصفراً)، أولخطاب لكل ناظر،وهو يتعلق بالزينة التي سبق ذكرها، فعلقها بالناظر.

٧ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ أي كان حطاماً حقيقة، وليس حسب رؤية الناظر، والمعنى: أنّ النبات كان حطاماً، وهو تعبير عن الدنيا، فلِمَ تغتر بها؟ !.

لذلك لم يقل مثلاً ثم تراه حطاماً؛ لأنك ربما تراه ولكن لا يعرف حقيقته إلا صاحب الشأن، فبيّن الله وهو هنا صاحب الشأن أنه حقيقةٌ هو حطامٌ.

٨ـ لم يقل مثلاً: يجعله حطاماً؛ لأنّ السياق ليس فيه ذكر الله، بينما في آية الزمر قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾[الزُّمَر:٢١].

نرى في الآية أنّ الإسناد كله لله، فهو الذي أنزل وهو الذي سلك، وهو الذي يخرج وهو الذي يجعله حطاماً؛ لأنه أسند الفعل إلى الله في جميع الآية.

٩ـ قدّم العذاب قبل المغفرة؛ لأنّ الكلام عن الآخرة وفيها العذاب قبل الحساب والجزاء :

أ ـ عذاب الموقف والانتظار.

ب ـ عذاب ورود النار لجميع الخلق.

ج ـ قسم يعذبون ثم يخرجون إلى الجنة وليس العكس.

١٠ ـ قدّم المغفرة على الرضوان؛ لأنّ الرضوان هنا هو الجنة والمغفرة تكون قبل دخول الجنة وليس بعدها.

وخصص المغفرة وقال: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لتقابل الرضوان؛ لأنّ الرضوان مخصص في كونه من الله، وكلاهما مطلقٌ من حيث الدلالة، فتناظرا من حيث كونها خاصين بالله عامين من حيث الدلالة.

١١ ـ لم يقل (عذاب من الله)، بل قال: ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ ورضوان من الله، للدلالة على سعة رحمة الله، وأنّ رحمته سبقت عذابه، إضافة أنّ الله لا ينسب لنفسه السوء، وإنما ينسب لنفسه الخير.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين المغفرة والغفران؟

الجواب :

الغُفران :

وردت مرة واحدة فقط في القرآن في قوله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] وهي طلب المغفرة من الله، ومنه وحده فقط.

المغفرة :

أ ـ تستعمل في المغفرة من الله وغيره، فهي عامة من حيث الغافر.

ب ـ لم تأتِ في الطلب وإنما في الإخبار، كقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وكقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾[البقرة:٢٦٣]. لذلك قد تتعدد المغفرة من غير الله، وهي ليست خاصة لله فقط.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين الرضوان والمرضاة؟

الجواب :

الرضوان :

أ ـ الرضوان خاص في أنه من الله فقط، كما قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾[التوبة:٢١].

ب ـ عام في ابتغاء الرضا من حيث الدلالة.

المرضاة :

أ ـ خاصة في ابتغاء الرضا، فهي لم تستعمل في غيره.

ب ـ عامة في المبتغى منه الرضا، فهو الله أو غيره.

والله أعلم.

❋❋❋❋

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ طلب الله تعالى من عباده المسابقة في طلب الآخرة بدلاً من مسابقة الدنيا.

٢ـ قوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فذكر الرب وهو المربي والمرشد والموجه؛ ليتناسب مع توجيهه بالمسابقة في طلب الآخرة، ولم يقل (من الله)؛ لأنّ لفظ الجلالة اسم علم على واجب الوجود، ويستعمل للعبادة عادة.

٣ـ جاء بحرف التشبيه: ﴿ كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ لأنّ لفظ السماء أوسع دلالة من لفظ السماوات، ولأنّ السماء تشمل لغوياً كل ما علاك بما فيها السقف والجو والسحاب والسماوات.

فلمّا اتسع المشبه لزم التشبيه بحرف الكاف.

٤ـ قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ ولم يقل هنا مثلاً: وعملوا الصالحات، وهذا فضل كبير من الله لدخول الجنة؛ لذلك قال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[الحديد:٢١].

٥ـ وسّع الله دائرة الخلق الذين سيدخلون الجنة ووسّع الفضل فاتسع المكان فاستعمل ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ .

٦ـ في الآية :

قال: ـ ﴿سَابِقُوٓا۟ ﴾ـ وفيها مسارعة وزيادة.

وقال: ـ ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ـ وتعني السماوات وزيادة.

وقال: ـ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ ـ وتشمل المتقين وزيادة.

وقال: ـ ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ ـ وفيه فضل وزيادة.

السؤال الثاني :

المطلوب مقارنة بين آية الحديد ٢١ وآية آل عمران ١٣٣.

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٣٣.

❁❁❁❁

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

المعنى العام: أنه ما حلّت من مصيبة في الأرض أو في نفسٍ إلا وهي مكتوبة مقدرة قبل وقوعها.

١ـ قوله: ﴿أَصَابَ﴾ وهو ضد الخطأ، أي أنّ المصائب تقع في أماكنها المقدر لها وزمانها المقدر لها ولا تخطىء. والقرآن لا يستعمل مع المصيبة إلا الفعل (أصاب) أو ما تصرف منه.

ولو قال: (حلّت) بدل (أصاب) فلا يفيد هذا المعنى، بل تفيد (وقعت) فقط.

وقوله: ﴿أَصَابَ﴾ هو قول مطلق عام لم يقيده بزمان أو شخص، بخلاف ما لو قال (أصابكم)، فإنه يكون قولا خاصاً للمخاطبين.

٢ـ قدّم الأرض؛ لأنها سابقة على الإنسان، وكان فيها كوارث قبل البشر فمصائب الأرض أسبق؛ ولذلك قدّمها.

٣ـ قوله: ﴿مِن مُّصِيبَةٍ﴾ (من) استغراقية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٦٢] وقوله: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾[المائدة:١٩].

وعندما تقول: (ما جاءني رجل) قد تحتمل أنه جاءك رجلان أو أكثر لكنْ عندما تقول: (ما جاءني من رجل) فمعناه: لم يأت جنس الرجال فاستغرق الجنس.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ يدل على العلم ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾. وعلى القدرة ـ ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾ ويدل على التوحيد؛ لأنه لا غيره فعل ويفعل ذلك. وقوله: ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ يدل على القضاء والقدر.

٥ـ قوله: ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾ أي نوجدها ونخلقها، وأطلق الضمير، فقد يعود على المصائب أو الأرض أو الأنفس، والمراد الجميع.

ولو قال مثلاً: (قبل أن تقع) لدلّ ذلك على العلم دون القدرة.

والضمير في ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾ جاء بالجمع للتعظيم، فجاء بعده ما يدل على الإفراد؛ ليثبت معنى التوحيد، فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾.

وضمير غير العاقل في ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾ يأتي بضمير الإفراد مع الكثرة، فوق العشرة. ويأتي بضمير الجمع مع القلة، من الثلاثة إلى العشرة. وذلك كقوله تعالى:

- ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[التوبة:٣٦].

فقال: ﴿مِنْهَآ﴾ بضمير الإفراد؛ لأنه يشير إلى عددها الـ ١٢ شهراً، وقال: ﴿فِيهِنَّ﴾ بضمير الجمع؛ لأنه يشير إلى عدد الأشهر الحرم، وهي أربعة.

ونحو ذلك في آية البقرة (١٩٧) وهي قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ فأعاد الضمير عليهن بالجمع؛ لأنهن ثلاثة أشهر.

وكقوله تعالى في آية نوح: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح:١٥-١٦] فأعاد الضمير على السماوات بصيغة الجمع؛ لأنهن سبع.

٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ قدّم فيه الجار والمجرور؛ ليفيد الحصر.

والله أعلم.

السؤال الثاني:

زاد في آية الحديد ٢٢ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ على ما في آية التغابن ١١ فلماذا؟

الجواب :

لما فصّل في سورة الحديد في أحوال الدنيا والآخرة ما لم يفصله في آية التغابن زاد في التفصيل فيها موافقة لما قبلها، فقال: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾.

❁❁❁❁

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ لمّا ذكر الله تعالى في الآية السابقة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢] بيّن أنه إذا كان كل ذلك مدوناً، فلماذا تأسون على الفائت كثيراً وتفرحون الفرح المطغي بحيث تختالون على خلق الله بسبب ما آتاكم الله؟ !

وفي هذا توطين للنفس على قبول ما يحصل لها من ضر وعدم الاختيال على عباد الله بما يؤتيه الله تعالى من النعم.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟﴾ الأسى هو الحُزن، لكنّ الحَزن أصعب وأشد من الأسى.

ومن دعاء الرسول عليه السلام: **اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحَزن إذا شئت سهلاً.**

٣ـ الحُزْن أثقل على النفس من الحَزن، فالحَزن تجتازه وينتهي الأمر أمّا الحُزن فيبقى في النفس.

(الحُزن) بالضم و(الحَزَن) بالفتح، والضم أثقل حركة ولفظاً من الفتح.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَاتَكُمْ﴾ أي من الخير وأسند الفوت إلى الشيء نفسه وقوله تعالى: ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي من النعم وأسند الله الأمر إلى نفسه، كما هو الخط العام في القرآن، حيث يسند الله تعالى الخير إلى نفسه.

السؤال الثاني :

قال الله في الحديد ٢٣ ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟﴾ وفي آل عمران ١٥٣ ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟﴾ والحُزن أشد وأصعب من الأسى، فلماذا؟

الجواب :

أ ـ في آيات آل عمران: الحزن في أمرين: على ما فاتهم، وعلى ما أصابهم.

ب ـ في الحديد: على أمر واحد ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾، أما (بما آتاكم) فهي نعمة.

لذلك الحُزن في آل عمران أشد، فناسب اختيار: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟﴾.

السؤال الثالث :

ختم الله تعالى الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ وختم الله تعالى في آية لقمان ١٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ بالتأكيد بـ ﴿إِنَّ﴾ فلماذا؟

الجواب :

آية لقمان في آداب المعاملات والتصرف بين الناس، وذكر في لقمان من الصفات ما هو أسوأ، نحو: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ﴾ ـ ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان:١٨] ـ (القصد في المشي، غض الصوت)، فاحتاج للتأكيد في لقمان أكثر، فقال: ﴿إِنَّ﴾ .

بينما لم يذكر في الحديد إلا: ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ فلم يحتج إلى التأكيد.

السؤال الرابع :

ما دلالة كتابة كلمة ﴿ لِّكَيْلَا﴾ متصلة مرة في آية الحديد ٢٣ ومنفصلة في آية النحل ٧٠؟

الجواب :

أولاً: وردت (كي) في القران الكريم عشر مرات منها ثلاث مرات بمفردها وسبع مرات مقترنة بلام النافية، وضمن هذه المرات السبع كتبت (كيلا) متصلة أربع مرات في آيات [آل عمران ١٥٣ ـ والحج ٥ ـ والأحزاب ٥٠ ـ والحديد ٢٣] وثلاث مرات منفصلة؛ أي كتبت ﴿كَيْ لَا﴾ في آيات [الأحزاب ٣٧ ـ والنحل ٧٠ ـ والحشر ٧].

وبشكل عام يمكن أن نقول :

١ـ خطان لا يُقاس عليهما: خط المصحف وخط العروض.

٢ـ من الناحية اللغوية جائز كتابة (لكيلا) متصلة أو منفصلة، لكنها تُرسم بما يتناسب مع الناحية البيانية والبلاغية بحيث تتناسب مع الأحكام.

٣ـ من الناحية البيانية ﴿كَيْ لَا﴾ منفصلة تحتمل الفصل والزمن الطويل أمّا الكلمة الموصولة ﴿لِكَيْلَا﴾ فلا تحتمل الفصل.

ثانياً ـ الآية تبين أن ما قدّر الله من مصائب في الأرض مثل الزلازل والفيضانات وأمثال ذلك أو في أنفس الناس من الأمراض وضيق العيش كل ذلك مقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ قبل حصوله، وهذا الأمر متصل ومطبق في حياتكم سواء كان الأمر محزناً أم مفرحاً. والمؤمن يجعل مصيبته صبراً والخير شكراً. ولذلك كان من المناسب استخدام ﴿لِكَيْلَا﴾متصلة لاتصال ذلك القدر بحياة الناس.

ثالثاً ـ لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية النحل ٧٠.

والله أعلم.

السؤال الخامس :

ما فائدة العدول عن قوله: (يبغض) إلى قوله: ﴿لَا يُحِبُّ﴾ في آية الحديد ٢٣، مع أنه لا يلزم من نفي المحبة البغض؟ وما فائدة تخصيص كل آية بما ذكر فيها في آيات البقرة ٢٧٦ـ النساء [٣٦ـ١٠٧]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٧٦.

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ وصف آخر للذين لا يحبهم الله، وهي ليست معطوفة على ما قبلها، وإنما بدل من: ﴿كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ أو نعت أو صفة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ هو وصف آخر أيضاً لهم، فهم لم يكتفوا بأنهم بخلاء، ولكن يأمرون الآخرين بالبخل، ومن دواعي ذلك حتى لا يُذكر أحدهم بخير فيكونوا بذلك سواء.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي يعرض عن الأشياء التي أمر الله بها.

٤ـ فيكون الرد من الله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ أكدها بالتوكيد ﴿فَإِنَّ﴾ وبضمير الشأن ﴿هُوَ﴾ وبتعريف الصفتين: ﴿ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ فهو الغني الحميد بحق لا غيره.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

ذكر ربنا في الآية إرسال الرسل وذكر البينات والميزان وذكر الغرض ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ ثم ذكر إنزال الحديد ومنافعه ثم ذكر العلّة ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ علم يتعلق به الجزاء؛ لأنّ الله ﴿قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾.

١ـ قدّم البينات على الكتاب؛ لأنّ البينة أو المعجزة هي السبيل للإيمان وهي دليل صدق الرسول؛ لذلك البيّنة تسبق الكتاب.

٢ـ قدّم الكتاب على الميزان: لأنّ الكتاب يتضمن الميزان، حيث فيه كل ما يتعلق بالحقوق ومنها إقامة الوزن بالقسط، والميزان هو الآلة المعروفة والكتاب والميزان هو ما يميّز به الحق من الباطل والعدل من الظلم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ القسط هو العدل والحصة والنصيب، وهو من الفعل الرباعي (أقسط).

أما الفعل الثلاثي: (قسط)، فهو بمعنى: جار وظلم، وتسمى همزة أقسط همزة السلب، يعني: رفع الظلم وسلبه وأزاله؛ أي عدل.

٤ـ قوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ ولم يقل: بالعدل، والسبب:

أ ـ القسط: تستعمل في القرآن في الوزن وغيره؛ لأنّ القسط هو الحصة والنصيب، والغرض من الميزان أنْ يأخذ الإنسان نصيبه، كما في الآيات: [المائدة ٤٢ـ النساء ١٣٥] ولم يستعمل القرآن مع الوزن إلا القسط، ولم يستعمل معه العدل.

ومن أسماء الميزان: القسطاس: ﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾.

ب ـ لم يستعمل القرآن الفعل (يقوم) في الوزن وغير الوزن إلا مع القسط ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ ـ ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾.

ج ـ العدل: لم تستعمل كلمة العدل في القرآن مطلقاً مع الوزن، بل جاءت كلمة القسط ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ ـ ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ ـ ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾.

ولذلك قال: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ لأنه:

أ ـ هو إشارة إلى أنّ الحق بحاجة إلى قوة لتحميه، ولذلك قال: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ ولم يقل: (قوة)؛ لأنه أحياناً يقتضي الحرب لإقامة القسط، وإذا لم يكن هناك قوة تحمي العدل تضيع الحقوق.

والبأس: بمعنى الحرب أو الشدة في الحرب، وهو بمعنى العذاب أيضاً كما في الآيات: [الإسراء ٥ـ النمل ٣٣ـ الأحزاب ١٨].

وبالتالي يكون المعنى: أنزلنا الحديد حتى تُحمى حقوق الله.

ب ـ والبأس درجات، والقوة عامة، وأحياناً ليس لها علاقة بالردع. فالقوة عامة والبأس خاص.

انظر الآيات [الروم ٥٤ـ مريم ١٢ـالنمل ٣٣].

٦ـ جاء في تفسير الرازي: أنّ ذكرالكتاب في الآية يشير إلى القوة النظرية، وذكر الميزان يشير إلى القوة العملية، وذكر الحديد يشير إلى دفع ما لا ينبغي.

ولّما كان أشرف الأقسام رعاية المصالح الروحانية، ثم رعاية المصالح الجسمانية، ثم الزجر عما ينبغي روعي هذا الترتيب في الآية.

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ قال المفسرون القدامى: بأنّ الحديد أنزله الله من السماء ولم ينشأ في الأرض. وهذا ما مال إليه العلماء المحدثون ويعتبرون ذلك من الإعجاز العلمي.

وجاء بضمير التعظيم مع الفعل ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ وأتبعه بالإفراد (ليعلم الله) ليثبت معنى التوحيد، كما هو خط القرآن في ذلك.

٨ـ قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي هم فعلوا ذلك وإنْ لم يطلع عليهم أحد من الناس، وفيه دلالة على إخلاصهم ونصرتهم لله، فهم ينصرونه ولا يبصرونه، وينصرونه وهم مؤمنون بالله.

والآية تحتمل: الإخلاص والإيمان بالغيب من شدة الإخلاص.

٩ـ ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ ليبين الله أنه غير محتاج لمن ينصره، وربنا قوي عزيز لكنْ حتى يتعلق الجزاء به.

السؤال الثاني:

ختم في آية الحج ٤٠ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾مع التأكيد باللام، ولم يؤكد ذلك في آية الحديد ٢٥، فلماذا؟

الجواب:

أ ـ آية الحج في سياق الإذن للمؤمنين بالجهاد. اقرأ قوله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[الحج:٣٩-٤٠]. ونلاحظ أنه:

ـ أُذِن لهم بالجهاد مع بيان أنّ الله هو الناصر الأقوى ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

ـ أنّ الله تعالى وعدهم بالنصر المؤكد ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾.

ب ـ في آية الحديد ذكر فقط بأنّ المؤمن هو الذي ينصر الله، وقال في الحج :إنّ الله هو الذي ينصر المؤمنين.

فلما كان الناصر في آية الحج أقوى ناسب التوكيد الأقوى، فقال: ﴿لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما دلالة (الواو) و(مع) في الآية ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ﴾؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥] فلا يصح أنْ يقول: أنزلنا وإياهم الكتاب؛ لأنهم لم يقترنوا في الإنزال، فإنّ الرسل لم تنزل.

السؤال الرابع :

ما اللطائف العددية في سورة الحديد؟

الجواب :

١ـ هي السورة الوحيدة التي سميت باسم عنصر معدني معروف في الطبيعة.

٢ـ هي آخر سورة في النصف الأول من سور القرآن، وترتيبها في المصحف (٥٧).

٣ـ جمّل كلمة (الحديد) هو [١+٣٠+٨+٤+١٠+٤= ٥٧] وهو نفس رقم ترتيب السورة في القرآن، ويساوي الوزن الذري لعنصر الحديد.

٤ـ جمّل كلمة (حديد) هو (٢٦) ويساوي (العدد الذري) لعنصر الحديد.

٥ـ للعلم فإنّ العدد الذري في علم الكيمياء هو عدد البروتونات في الذرة والوزن الذري يتعلق بعدد (البروتونات+النيوترونات).

٦ـ قد يقول البعض إنّ الوزن الذري للحديد هو (٥٥.٨) وليس (٥٧) والصحيح أنّ للحديد خمسة نظائر أوزانها الذرية هي: [٥٥ـ٥٦ـ٥٧ـ٥٨ـ٥٩] واللافت للنظر أنّ النظير (٥٧) جاء في منتصف الأوزان.

أمّا الرقم (٥٥.٨) فهو لا يتعلق ببنية الذرات، وإنما هو متعلق بنسبة انتشار كل نظير في الطبيعة.

٧ـ لذلك نشعر أنّ للعدد (٥٧) أهمية خاصة في هذا المقام، ومن ذلك :

أـ ترتيب سورة الحديد في المصحف هو (٥٧) وعدد آياتها (٢٩) وحاصل ضرب الرقمين هو:[٥٧×٢٩= ١٦٥٣] وهذا يساوي أيضاً مجموع الأرقام من (١) إلى (٥٧).

ب ـ وردت كلمة (حديد) في القرآن (٦) مرات في (٦)سور حسب الجدول التالي:

السورة	الكلمة	ترتيب الكلمة في السورة
الإسراء	﴿حَدِيدًا﴾	٦٦٧
الكهف	﴿ٱلْحَدِيدِ﴾	١٤٠٢
الحج	﴿حَدِيدٍ﴾	٣٦٨
سبأ	﴿ٱلْحَدِيدَ﴾	١٧٧
ق	﴿حَدِيدٌ﴾	١٨٣
الحديد	﴿ٱلْحَدِيدَ﴾	٤٦١
المجموع		٣٢٥٨

والجذر التربيعي لهذا العدد هو ٥٧.٠٧٨٨ على وجه التقريب.

٨ـ لو سألت ما الحكمة التي ذكرها الله في القرآن من إنزال الحديد لكان الجواب من الآية ٢٥ ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ وجمّل هذه الكلمات الخمسة عشر هو ٣٢٦٣ والجذر التربيعي لهذا العدد هو بالتقريب (٥٧.١٢).

والملاحظ أنّ الفرق بين هذا العدد ٣٢٦٣ ومجموع مواقع كلمة (حديد) هو ٥ فما السر؟ !! هل هو عدد نظائر الحديد؟ الله أعلم.

❋❋❋❋

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

كما قدّم البينة على الكتاب في الآية السابقة قدّم هنا النبوة على الكتاب لأنها هي السبيل للتصديق بالكتاب. فالنبوة هي تصديق للكتاب وأحياناً يتأخر الكتاب عن النبوة بزمان بعيد مثل موسى عليه السلام حيث مكث فترة طويلة قبل أن يؤتى الكتاب.

وقد تكون النبوة بدون كتاب مثل إسحق ويعقوب عليهما السلام والرسول مكلف بالتبليغ، وليس شرطاً أنْ يكون معه كتاب.

لذلك النبوة أعم، ومن حيث الإنزال تكون أسبق، والكتاب ليس شائعاً كالنبوة، لذلك من الطبيعي أن يقدّم النبوة على الكتاب.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾[الحديد:٢٦] قابل بين [مهتد و فاسق] وليس بين [مهتد وضال]، فلماذا؟

الجواب:

أ ـ الضلال هو نقيض الهداية، والضلال هو عدم تبين الأمر. وقد يكون عن غير قصد وعن غير علم، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[الكهف:١٠٤] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام:١١٩].

ب ـ الفسق: هو بَعْدَ العلم تحديداً، وحتى يكون فاسقاً ينبغي أن يكون مبَلَّغاً؛ حتى يكون فسق عن أمر ربه.

ج ـ الضلال عام: وليس حصراً على اليهود والنصارى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم:٢].

إذن مع كلمة ﴿فَٰسِقُونَ﴾ نفهم أنهم مبلَّغون، ثم خرجوا عن الأمر فإذن هم فاسقون. ولو قال: (ضالون) قد يعطيهم بعض العذر أنهم عن غير قصد، لكنهم فاسقون بعد المعرفة، أي بعد التبليغ فسقوا.

ويكون معنى ختام الآية: تنكبوا الصراط بعد المعرفة.

د ـ لم يصف المهتدين بالكثرة، بل وصف الفاسقين في الكثرة زيادة في الذم لهم.

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

بعد أن ذكر ربنا في الآية السابقة ﴿نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ وقال: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ﴾ قال هنا في هذه الآية: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فلماذا ذكر هنا (عيسى) عليه السلام؟

الجواب :

أ ـ عيسى عليه السلام هو آخر الرسل من تلك السلسلة، ثم تنتقل النبوة إلى بني إسماعيل أي إلى الرسول الخاتم محمد ﷺ.

ب ـ عيسى عليه السلام هو من ذرية إبراهيم لكن ليس من جهة الأب وإنما من جهة الأم، وعيسى عليه السلام تفرّد عن بقية الرسل فاقتضى ذكره وذكر عدة أمور تخصه.

ج ـ ذكر كتابه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ وذكر أتباعه: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ .

السؤال الثاني :

قال هنا: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[الحديد:٢٧] وقال في آية المائدة ٤٦ : ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فلماذا؟

الجواب :

١ـ في آية الحديد :

أ ـ معنى: (قفى على أثره) يدل على قرب ما بين الماشيين، أي جاء الثاني قبل أنْ يزول أثر الأول، ولو طالت المدة أعواماً لزال الأثر.

ب ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾[الحديد:٢٧] أي تتابعت الرسل بعد الأبوين نوح وإبراهيم على مدد متقاربة قبل أنْ يزول أثر من كان قبله ولم يذكر بعد عيسى عليه السلام في الآية.

ثم قال: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[الحديد:٢٧] ولم يقل هنا على آثارهم؛ لأنّ الفترة بين عيسى عليه السلام وآخر نبي قبله [قيله يونس بن متى عليه السلام والذي أُرسل إلى أهل نينوى في أوائل القرن الثامن قبل الميلاد] فترة طويلة كما ذكر المؤرخون حوالي (٨٠٠) سنة فانعدمت الآثار؛ لذا قال: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[الحديد:٢٧].

٢ـ في سورة المائدة: لننظر أولاً في الآيات[٤٤ـ٤٦] قال تعالى :

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ

ﭐلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾[المائدة:٤٤-٤٥-٤٦].

فالتقفية في المائدة ليست في الرسل، وإنما في تقفية الربانيين والأحبار وهؤلاء لم ينقطعوا.

لذلك قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ متعلقة بالربانيين والأحبار، أمّا في آية الحديد فمتعلقة بالأنبياء والرسل خاصة.

فلمّا كانت في الرسل قال: ﴿وَقَفَّيۡنَا﴾ ولم يقل: (على آثارهم)، ولمّا كان الكلام عن الربانيين والأحبار وهم لم ينقطعوا قال: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾.

السؤال الثالث:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾[الحديد:٢٧].

أ ـ جعل الله في قلوبهم رأفة ورحمة، وهم ابتدعوا الرهبانية ولم يكتبها الله عليهم. و(الواو) ليست عاطفة؛ لأنّ الرهبانية لا تكون في القلب، فهي ليست معطوفة على (جعلنا)، وهذا يسمى الاشتغال.

ب ـ في قوله تعالى ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ ذم من وجهين :

ـ أنهم ابتدعوها، فالدين لا يؤخذ بالابتداع، ولو كان الغرض رضوان الله؛ لأنّ رضوان الله يأتي بالاتباع لا بالابتداع.

ـ عدم الإيفاء بحقها ﴿فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾.

ج ـ في قوله تعالى: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:٢٧] هذا يسمى استثناء منقطعاً، وليست متعلقة بابتداع الرهبانية.

إذن ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ قد تكون متعلقة بابتداع الرهبانية، أو بما كتب الله عليهم.

السؤال الرابع :

قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾ وقبلها مباشرة قال: ﴿فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ عبّر عنهم بالذين آمنوا، ولم يقل الذين رعوها حق رعايتها، فلماذا؟

الجواب :

أ ـ دلت الآية على أنّ مناط الأمر هو الإيمان، وليس غيره مثل رهبانية مبتدعة.

ب ـ لم يقل: (الذين رعوها)؛ حتى لا يظن ظان أنّ الله يرضى عن الابتداع حتى ولو كان لغرض رضوانه، لذلك أُرْجِعَ الموضوع إلى الأصل وهو الإيمان، فقال: ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ﴾.

السؤال الخامس :

قال الله هنا في الآية: ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾ والآية التي قبلها ﴿فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٦﴾[الحديد:٢٦]، فلماذا؟

الجواب :

قال الله تعالى: ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾؛ حتى لا يُظن أنّ الذين ابتدعوا الرهبانية يوصفون بالهداية، وربنا لا يصفهم بالهداية، ولذلك لم يذكر ذلك فأسقط الابتداع، وإنما قال: ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾.

السؤال السادس :

ما ملخص أمر أتباع عيسى عليه السلام في الآية؟

الجواب :

تلخيص القول هو:

أـ إنّ الذين اتبعوا عيسى عليه السلام في قلوبهم رأفة ورحمة.

ب ـ لكنْ هناك صنفان: صنف آمن، وصنف ابتدع.

ج ـ الذي ابتدع ذمه الله من جهتين: أنه ابتدع ولم تشفع له نيته، ثم هو لم يراع ما ابتدع؛ لأنه نذر ولم يفِ بنذره.

د ـ ثم تكلم عن الذين آمنوا وليس عن الذين ابتدعوا، يعني أنه أسقط الابتداع مهما كانت النية.

هـ ـ وكثير منهم فاسقون: أي هؤلاء الكثرة هم الذين ابتدعوا فضيعوا ففسقوا؛ لأنهم خرجوا عن حدود ما أنزل الله، أمّا القليل فهم المتبعون.

السؤال السابع :

في آية المائدة ٤٦ وصف الإنجيل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ ولم يقل ذلك في آية الحديد ٢٧، فما السبب؟

الجواب :

أ ـ الهدى والنور عام في الكتب السماوية كلها.

ب ـ في الآية ٤٦ ذكر التوراة وذكر أنّ فيها هدى ونوراً، وذكر الإنجيل وذكر أنّ فيه هدى ونوراً.

وعندما ذكر التوراة ذكر بعض الأحكام، كما في الآية ٤٥ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة:٤٥] ثم جاء بعدها: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:٤٦] فذكرهما في سياق واحد.

أمّا في آية الحديد فلم يذكر أحكاماً، فقال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾.

والله أعلم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ ﴾[الحديد:٢٨] هذا الطلب هو:

أ ـ للمؤمنين من أهل الكتاب، أنه لا يشفع لهم إيمانهم السابق إلا أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام.

ب ـ للمؤمنين بمحمد عليه السلام أنْ يثبتوا على ذلك. ودلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُوا۟﴾ الثانية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿كِفْلَيْنِ﴾ أي نصيبين من الأجر، ولم يقل (أجرين) والسبب:

أ ـ أنّ الكفل ليس له علاقة بالعمل وإنما نصيب، وقد يكون في الخير أو الشر، بينما الأجر هو الجزاء على العمل.

ب ـ وهنا لم يذكر عملاً وإنما التقوى والإيمان، فناسب ﴿كِفْلَيْنِ﴾ لأنهم عند ذاك آمنوا مرتين: الأولى بموسى أو عيسى عليهما السلام، والثانية الإيمان بمحمد ﷺ.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ وهو عام في الدنيا والآخرة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية الحديد: ﴿تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ وفي آية الأنعام ١٢٢ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾، فلماذا؟

الجواب:

السبب أنّ آية الحديد عامة، بينما الكلام في سورة الأنعام اكتنفه الكلام عن الدنيا وذكر معاملاتهم وافتراءاتهم وضلالاتهم. انظر الآيات[١١٦ـ ١٢٢].

بخلاف سورة الحديد، فلم يذكر فيها معاملات الناس وأحوالهم، وإنما هو ذِكرٌ بشكل عام. مثلاً قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ ولم يقل بين الناس؛ لأنه في الآخرة ليس المشي في الناس وإنما يمشي بالنور وحده، والنور له وحده لا يشاركه فيه أحد. والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفكرة العامة لسبب نزول هذه الآية؟

الجواب:

الذين أسلموا من أهل الكتاب كانوا يفخرون على المسلمين أنّ الذي يسلم منهم له أجره مرتين، وأنتم تأخذون أجركم مرة واحدة، فحزن المسلمون فأنزل الله الآية السابقة ٢٨ وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي ليعلم أهل الكتاب، وقسم من النحاة يسمون هذه اللام صلة، بحيث لو أسقطتها يبقى المعنى مستقيماً لكنْ تفيد التوكيد.

وتزاد في اللغة عادة بشرط أنْ يكون اللَبس مأموناً والمعنى متضحاً.

*شواهد قرآنية :

ـ ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾[طه:٩٢-٩٣].

ـ ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[الأعراف:١٢].

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ أي أنّ أهل الكتاب لا يقدرون على شيء من فضل ربنا، فهو الذي قدّر أنه يؤتيهم كفلين من رحمته لكل من آمن بالرسول محمد ﷺ بعد ما كان مؤمناً برسوله السابق موسى أو عيسى عليهما السلام.

السؤال الثاني :

ختمت السورة بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ بالتعريف، بينما خُتمت آية آل عمران (١٧٤) بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾فما السبب؟

الجواب :

أ ـ التعريف يفيد العموم والشمول، والتنكير يفيد التقليل.

ب ـ آية آل عمران في أُحُد وفي نجاتهم مما كان يُراد بهم. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾[آل عمران:١٧٣-١٧٤]. وفي أُحد مسهم سوء فلهم أجر.

ج ـ في آية الحديد ذكر كفلين من رحمته ومغفرة ونوراً، وهذا أكبر ولذا قال: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الحديد مع خواتيمها

١ ـ قال سبحانه في بداية السورة:

﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾[الحديد:٢].

وقال أيضاً :

﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥﴾﴾[الحديد:٥].

وذكر فضله في آخر السورة، فقال :

﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد:٢٩].

فذكر أنّ له الملك العظيم في بداية السورة.

وذكر فضله العظيم في خاتمتها، فالذي له ملك السماوات والأرض هو ذو الفضل العظيم.

٢ ـ قال في أوائل السورة:

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد:٧].

وقال في خواتمها:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨].

فأمرهم بالإيمان بالله والرسول والإنفاق في سبيله أولاً، وأمرهم بتقوى الله والإيمان برسوله في الختام.

وذكر أنّ للذين آمنوا وأنفقوا أجرًا كبيرا في البداية.

وأنّ الذين اتقوا وآمنوا برسوله يؤتيهم كفلين من رحمته في الخاتمة.

والأجر الكبير من رحمته سبحانه.

والله أعلم.

الجزء الثامن والعشرون

الانتماء للإسلام والتبرؤ من المشركين والكفر

كل السور في الجزء الثامن والعشرين تهدف إلى الدعوة للانتماء للإسلام والتبرؤ من الكفر ومن المشركين، فلا بدّ يا مَن أيقنت وآمنت بالقرآن أن تكون في حالة وحدة مع المؤمنين .

والانتماء هذا يبدأ بالأسرة التي يجب أن تكون متماسكة وموحّدة. يجب أن تشعر أن كيانك كلّه مرتبط بهذا الدين، فولاؤك وانتماؤك ومناصرتك كلّه للمؤمنين وأنْ تتبرأ من كل شخص لا ينتمي لهذا الدين.

وقد سبق لسور القرآن أنْ عرضت على المسلمين المنهج، ثم جاءت السور تؤكد أدوات المؤمن لحمل المنهج، ثم جاء الاختيار في الجزء السابق، والآن جاءت هذه السور لتؤكد أنه لا بدّ من الإحساس والانتماء فلا يكفي للمسلم أنْ يؤدي عباداته كالصلاة والزكاة.

ولنستعرض السور كلاً على حدة، فكل منها يخدم جانباً من جوانب الهدف الرئيس للجزء.

فالسور الأربعة الأولى (المجادلة، الحشر، الصفّ، الجمعة) كلها تدعو للاجتماع والوحدة والانتماء، ودليل هذا الانتماء هو ترابط المؤمنين ووحدتهم.

ثم تأتي سورة الممتحنة التي فيها امتحان إيمان المسلم وتعطي نماذج عن أناس امتحنوا في إيمانهم، ثم سورة المنافقين؛ لأنّ أكثر ما يضيّع وحدة الصف عند المسلمين والانتماء لدينهم هو النفاق والمنافقون. ثم تأتي مجموعة السور الأخيرة (التغابن، الطلاق، التحريم) وكلها تركّز على الشواغل التي تمنع من الانتماء كالأولاد والذرية والبيوت.

والله أعلم.

سورة المجادلة

أولاً ـ تناسب خواتيم الحديد مع فواتح المجادلة :

١ ـ قال سبحانه في آخر سورة الحديد :

﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الحديد:٢٩].

وذكر من فضل الله العظيم في أول سورة المجادلة أنه سمع للمرأة التي تجادل رسول الله في زوجها، وأنها تشتكي إلى الله، فحفظها من التضييع وحفظ المسلمين من نحو هذا إلى يوم القيامة.

جاء في (روح المعاني): ((وجه مناسبتها لما قبلها أن الأولى ـ يعني سورة الحديد ـ ختمت بفضل الله تعالى وافتتحت هذه بما هو من ذلك)).

٢ ـ ذكر في أواخر سورة الحديد أنّ أهل الكتاب ابتدعوا رهبانية ما كتبها الله عليهم، وذلك قوله: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾[الحديد:٢٧].

وذكر في أول سورة المجادلة من الأمور المبتدعة التي لم يكتبها الله سبحانه بل أبطلها، وهي الظهار. قال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ ﴾[المجادلة:٢].

ثانياً ـ هدف السورة : أهمية وحدة الأسرة

السورة تفصّل الولاء للمؤمنين والانتماء للدين والتبرؤ من المعادين للدين. وقضية الأسرة مهمة للغاية؛ لأنّ ترابط المجتمع يبدأ من ترابط الأسرة. وكأنّ هذه السورة هي مفتاح باقي السور في الجزء، ففيها موضوع الانتماء والتبرؤ، وباقي السور تأتي لتشرح هذا المبدأ.

تبدأ السورة: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة:١] بقضية الأسرة من حادثة خولة ابنة ثعلبة التي ظاهر منها زوجها، وجاءت تشتكي إلى النبي حتى أنزل الله تعالى الوحي بهذه السورة وفرّج كربتها وأنزل كفّارة الظهار. وهذا يدل على كرامة المرأة في الإسلام والحرص على حقها. والمرأة عندما تتيقن أن هذا الدين ينصفها ويعطيها حقها تربي أسرتها على مبادىء هذا الدين وعلى الوحدة. ومن اللافت أنّ هذا الجزء (٢٨) ابتدأ بقصة امرأة وانتهى بذكر نماذج نسائية في آخر سورة التحريم (امرأة فرعون ومريم بنت عمران) تماماً كما جاءت سورة كاملة باسم النساء، وهذا حجة ودليل على من يدّعون أن الإسلام بخس المرأة حقها في المجتمع.

ثم تأتي الآيات في ختام السورة تبين الفرق بين من يتبع حزب الشيطان ومن يكون في حزب الله: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة:١٩] و: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم

بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

وفي الختام آية مهمة تبيّن حقيقة الحب في الله والبغض في الله الذي هو أصل الإيمان، ولا بدّ في اكتمال الدين من معاداة أعداء الله، فالمنتمي لهذا الدين لا يمكن أنْ يوادّ من حارب الله ورسوله أبداً.

❊❊❊❊

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في تكرار لفظ الجلالة (الله) في كل آية من آيات سورة المجادلة؟

الجواب :

في كل آية من آيات سورة المجادلة ورد ذكر لفظ الجلالة (الله) بلا استثناء وهناك سور أطول من المجادلة لم يرد فيها ذكر الله، مثل سورة القلم، سورة القيامة، سورة المرسلات، سورة النبأ، سورة عبس، وهي تتعلق بالسياق الموجود. أمّا في سورة المجادلة فيذكر في كل آية ما يتعلق بالله إسناداً أو صفة أو شيئاً يقتضي ذكر الله.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الزوج ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة:١] والبعل ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾[البقرة:٢٢٨]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٨.

السؤال الثالث :

وردت الشكوى مرتين في القرآن في قصة يوسف عليه السلام وفي قصة خولة بنت الأزور. فما دلالة ذلك؟

الجواب :

نلاحظ من الآيتين الأمور التالية :

١ـ أنّ الشكوى موجهة إلى الله فقط.

٢ـ آية المجادلة نسبت لخولة فعلين: الأول (الجدال)، وقد كان مع الرسول عليه السلام ﴿تُجَادِلُكَ﴾والفعل الثاني (الشكوى) ووجهتها إلى الله.

٣ـ لا بدّ من سماع الشكوى من الشاكي وحل مشكلته، والله سمع شكوى خولة وقدّم لها الحل وقد أشارت الآية إلى ذلك ثلاث مرات: ﴿سَمِعَ اللَّهُ﴾ـ بصيغة الماضي و ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ﴾ بصيغة المضارع و ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ①﴾ [المجادلة:١] بصيغة المبالغة، وقد ورد لفظ الجلالة في هذه الآية أربع مرات لأنّ السياق في تعظيم الله سبحانه.

٤ـ هذا لا يمنع من إخبار الآخرين بمشكلة الإنسان وإسماعهم شكواه لكنْ عليه الاعتقاد بأنّ البشر أسباب فقط، وأمّا المسبب الحقيقي فهو الله تعالى فقط.

❁❁❁❁

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

استعمل ﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾ في الأحزاب ٤، والمجادلة٢، والطلاق ٤، بينما استعمل ﴿ٱلَّتِي﴾ في النساء٢٣، ويوسف٥٠، فلماذا؟

الجواب :

١ ـ اللاتي: اسم موصول (جمع التي) وتكون للعاقل وغيره، وهذا اللفظ شبيه بلفظ جمع المؤنث السالم الذي يكون للعاقل وغيره، مثلا: اشتريت الكتب اللاتي كانت عند محمد، وتقول: طالبات وشجرات. واللاتي مختصة بالإناث.

٢ ـ اللائي: هي جمع التي أيضاً. فتقول: عادت اللائي ذهبن. واستعمال اللائي قليل بالنسبة إلى استعمال اللاتي، واللائي قد ترد للذكور قليلاً.

٣ ـ (اللائي) كأنها مشتقة من اللأي أو من اللأواء، وهي الشدة. وفي الحديث « **من كانت له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن كن له حجاباً من النار**» و «**من صبر على لأواء المدينة..**». واللأي هو الإبطاء والاحتباس والجهد والمشقة والشدة.

٤ ـ لذلك نجد القرآن استعمل﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾ بالهمزة في حالتي الظهار والطلاق فقط، ولم يستعملها في غيرهما، فاستعمل الهمزة لثقلها للحالات الثقيلة النادرة وهي حالات المفارقة والشدة والاحتباس، حيث إنّ المُظاهر والمُطلّق محتبس عن امرأته مبطىءٌ عنها، وفي ذلك ما فيه من الجهد والمشقة والشدة للطرفين، فجمع القرآن حسن المناسبة في اللفظ والمعنى والاستعمال.

❁❁❁❁

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (فك رقبة) و(تحرير رقبة)؟

الجواب:

١ـ (تحرير رقبة) تقال: في الرّق والاسترقاق، وهذا غير موجود الآن. و(تحرير الرقبة) لم يأت في القرآن إلا في الفِداء ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ [المجادلة:٣].

٢ـ (فك رقبة) يعني تخليصها من إعسار، من قَوَد، من أسر وغيره، ويعني فك عسرها أنْ تفكها مما هي واقعة فيه، وهذه باقية إلى يوم الدين ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾[البلد:١٣].

(تحرير رقبة) ليست موجودة الآن، ولا تأتي (تحريررقبة) إلا في الفداء وهي بمعنى العتق، أمّا فك رقبة فهوتخليصها من عسرها إمّا من مغرمة أو عسر أو دين.

السؤال الثاني :

جاء في آية المجادلة (٣) ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ بالجمع، وفي آية البقرة (٢٣٢) بالإفراد ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ فما السبب؟

الجواب :

القاعدة :

لقد استعمل القرآن الكريم كاف الخطاب مطابقة للجمع للزيادة في التوكيد فإذا كان موقفان وكان أحدهما آكد من الآخر، جاء في الموطن المؤكد بمطابقة الجمع دون الآخر.

كما أنّ القرآن الكريم استعمل الخطاب بالجمع للمجموعة الكثيرة وبالإفراد للمجموعة القليلة.

آيات المجادلة :

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [المجادلة: ١-٢-٣-٤]

وهنا نجد أنّ التشديد كبير في سياق الظهار، والطلب من قائله هو: تحرير رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً، بخلاف آية البقرة ٢٣٢ وهي في

الطلاق؛ لذا أكدّ القرآن على منع الظهار، فقال: ﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ بينما قال في الطلاق: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ـ ﴿مُتَتَابِعَيۡنِ﴾ ما كلمات منظومة التتابع؟

الجواب :

كلمات منظومة التتابع هي :

تترا :

ليس لها مرادف في القرآن إلا كلمة (متتابع)، وهي كناية عن الترتيب العددي واحداً بعد الآخر، كما في الآية: ﴿أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ﴾ [المؤمنون:٤٤].

متتابع :

هو ترتيب زمني بغض النظر عن العدد، أي لا يفصل بينهما فاصل زمني، وجاء في كفارة القتل الخطأ والظِّهار والجماع في نهار رمضان وهي ستون يوماً متتابعة بدون فطر، فإنْ أفطر وجب عليه إعادة صوم الشهرين من جديد مع التتابع [النساء ٩٢ـ المجادلة ٤].

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية الرابعة: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ وفي الآية الخامسة ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾ فلماذا؟

الجواب :

١ـ لمّا قابل في الأولى الإيمان بالكفر في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ﴾ قال: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ وكل عذاب مؤلم.

٢ـ ولمّا قال الله في الثانية: ﴿كُبِتُوا﴾ والكبت هو الإذلال والإهانة ناسب ختمه: ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾.

وقوله تعالى في آية المجادلة الخامسة: ﴿يُحَادُّونَ﴾ يمكن أنْ يكون راجعاً إلى المنافقين، أو إلى سائر الكفار، فأعلم الله تعالى رسوله أنهم ﴿كُبِتُوا﴾ أي خذلوا.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [المجادلة:٤] بدون (الباء) مثلما جاءت مع (الباء) في آية سورة التوبة ٥٤ ﴿بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحجرات١٥.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية الرابعة: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ وفي الآية الخامسة ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾ فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في الآية السابقة.

❁❁❁❁

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية السادسة: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ﴾ وقال في آخر السورة في الآية ١٨ : ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ﴾[المجادلة:١٨]، فما السبب؟

الجواب :

١ـ الآية الأولى رقم ٦ مطلق في المؤمن والكافر.

٢ـ الآية الثانية رقم ١٨ في المنافقين خاصة؛ لأنهم كانوا يحلفون للنبي ﷺ لنفي ما يُنسب إليهم من النفاق وما يدل عليه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾؟

الجواب:

كل ثلاثة يجتمعون معاً يقال لكل واحد منهم: ثالث ثلاثة، وليس هذا القول ممنوعاً إلا في حالة واحدة، أنْ تقول ثالث ثلاثة آلهة؛ لأنّ الإله لا يتعدد.

وفي آية المجادلة ٧ لم يقل الحق: ما يكون من نجوى اثنين إلا هو ثالثهم لأنّ النجوى لا تكون إلا من ثلاثة، فإنْ جلس اثنان معاً فهما قد يتكلمان بدون نجوى، والنجوى مسارة، وأول النجوى ثلاثة؛ ولذلك بدأها الحق بأول عدد تنطبق عليه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ما دلالة تكرار اسم الموصول في الآية؟

الجواب:

لا بدّ في الكلامِ البليغِ من سببٍ للذكر والحذف، وخصوصاً في القرآن الكريم الذي هو أعلى الكلام.

لذا نذكر هنا بعض القواعد العامة في القرآن الكريم التي تبين متى يكرر اسم الموصول مع آيات التسبيح خاصة، ومن ذلك أنه :

١ ـ إذا قُصد التنصيص على الأفراد تكرر ذكر الموصول؛ أي إذا قُصد التنصيص على كل فرد من أفراد السماوات والأرض على وجه التخصيص كرّر اسم الموصول. انظر آيات [الزمر (٦٨) و النمل (٨٧)و طه (٦) والحشر (١) ويونس (٦٦) والبقرة (٢٥٥)].

٢ ـ وأمّا إذا قُصد أمر آخر لم يذكر الموصول إلا مرة واحدة، إشارةً إلى قصد الجنس وللاهتمام بما هو المقصود في تلك الآية. انظر آيات: [الرحمن ـ ٢٩ ـ والبقرة ـ ١١٦ـ والحديد ١].

٣ ـ وإذا كان الموطنُ دالاً على التفصيل والإحاطة كرّر اسم الموصول بخلاف ما إذا كان الكلام مجملاً غير مفصل.

انظر سورة المجادلة (٦:٧) لتجد فيها من ذكرٍ لسعةِ علم الله وشموله وإحاطته بالجزيئات والتفصيلات ما ليس في آية العنكبوت(٥٢) فلمّا فصّل في آية المجادلة أعاد ذكر (ما)، ولمّا أجمل في العنكبوت أجمل في ذكر الموصول، فلم يُعِد ذكرَه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (ذلك) و(ذلكم) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

١ـ الكاف في ﴿ذَٰلِكَ﴾ حرف خطاب، وحرف الخطاب في [ذلك وتلك وأولئك] قد يطابق المخاطب [ذلك، ذلكما، ذلكنّ] حسب المخاطبين المشار إليهم.

(ذلكَ) المشار إليه واحد، والمخاطَب واحد مفرد مذكر. و(ذلكِ) المشار إليه واحد والمخاطبة امرأة. و(ذلكما) المشار إليه واحد والمخاطب اثنان. و(ذلكم) المشار إليه واحد والمخاطب جماعة ذكور. و(ذلكنّ) المشار إليه واحد والمخاطب جماعة إناث، كما في الآية: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾[يوسف:٣٢] ولا يدل على جمع المشار إليه.

٢ـ هذه الكاف تسمى حرف خطاب، وفيه لغتان:

أ ـ الأولى تكون في المفرد المذكر أياً كان المخاطَب، تقول: تلك الشجرة سواء كان المخاطب واحداً أو اثنين أو جمعاً.

ب ـ الثانية أنْ تجعل حرف الخطاب بحسب المخاطَب، فلو كانت امرأة تقول (تلكِ الشجرة)، مثلما قال: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ [مريم:٢١] ويمكن أنْ تقول (كذلكَ) مثلما قال: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٣٢] برهانان اثنان (ذان) للبرهانين و(كـ)

للمخاطب، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف:٣٧] وقوله: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾[يوسف:٣٢] (ذلك) إشارة ليوسف، و(كُنّ) حرف خطاب للنسوة.

إذن هذه الكاف هي حرف خطاب يمكن أنْ نجعله في حالة المذكر المفرد دائماً، ويمكن أنْ يكون في حالة المخاطَبين.

٣ـ لكنْ يبقى كيف استعملها القرآن؟ فمرة يستعملها بصيغة المفرد ومرة يستعملها بصيغة الجمع.

في اللغة كله جائز من حيث الحكم النحوي، لكنْ نسأل من الناحية البيانية؛ لأنه أحياناً يطابق وأحياناً يُفرِد، فلماذا؟

والجواب أنّ هناك فرقاً بين الحكم النحوي اللغوي والاستخدام البياني وهنالك أسباب عدّة لهذا الأمر من جملتها:

أ ـ أنْ يكون في مقام التوسع والإطالة في التعبير فيأتي بالحرف مناسباً لأنّ ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ أكثر من (ذلك) من حيث الحروف، فإذا كان المقام كله مقام إطالة يأتي بكل ما يفيد الإطالة لغة.

ب ـ وإذا كان في مقام الإيجاز يأتي بكل ما في الإيجاز لغة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ

﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾[الأنعام:٩٩] فيها تفصيل فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾.

ـ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾[النحل:١٢]؛ لأنّ المقام مقام إيجاز.

ج ـ وقد يكون في مقام التوكيد، فيأتي بما هو أكثر توكيداً فيجمع، وإذا كان أقل توكيداً يُفرِد.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢٣٢﴾ [البقرة:٢٣٢] هذا حُكم في الطلاق، قال ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾[المجادلة:١٢] قال ﴿ذَٰلِكَ﴾.

الأولى قال: (ذلكم)، والثانية قال: (ذلك)، أيُّ الحُكمين آكد وأدوم؟ الطلاق آكد وأدوم؛ لأنه حكم عام إلى قيام الساعة يشمل جميع المسلمين وأمّا الآية الثانية فهي للأغنياء، ثم ما لبث أياماً قليلة ونسخ الحكم ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المجادلة:١٣]، فالآية الأولى آكد والحكم فيها عام مستمر، بينما الثانية الحكم متعلق بجماعة من

المسلمين ثم ألغي، فالآية الأولى آكد، فقال مع الأولى: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ ومع الثانية قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

د ـ إذا كان عندنا مجموعتان إحداهما أوسع من الأخرى يستعمل للأوسع ضمير الجمع وللأقل ضمير الإفراد، حتى لو رجعنا للآيتين السابقتين ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ هذه لمجموع المسلمين، وهو أكثر، فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ ومع الأقل قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

السؤال الثاني:

جمع في آية البقرة ٢٣٢ فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ وأفرد في آية المجادلة ١٢ فقال: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٢ وكذلك في السؤال السابق.

❁❁❁❁

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في الآية ١٢: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟﴾، وقال في الآية ١٣: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟﴾ فما الفرق؟

الجواب:

١ـ هذا التكليف فيه إعظام الرسول عليه السلام وإعظام مناجاته وفيه نفع كثير للفقراء بتلك الصدقة.

٢ـ ظاهر الآية يدل على أنّ تقديم الصدقة كان واجباً، ويتأكد ذلك بقوله تعالى في نفس الآية: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [المجادلة:١٢].

٣ـ قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أي خير لكم في دينكم وأطهر؛ لأنّ الصدقة طهرة.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [المجادلة:١٢] المراد منه الفقراء وهذا يدل على أنّ من لم يجد ما يتصدق به كان معفواً عنه.

٥ـ قوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ أي حيث إنكم لم تفعلوا وتاب الله عليكم ورخّص لكم في أنْ لا تفعلوه فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات.

٦ـ (إذ) ظرف للمضي غالباً، كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف:٨٦] وقد يكون للاستقبال كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غافر: ٧٠ - ٧١] وقد تعامل معاملة أدوات الشرط فتقترن بجوابها الفاء كما في آية المجادلة ١٣ وقوله تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النور:١٣].

٧ـ هذا التكليف كان مقدراً بغاية مخصوصة فوجب انتهاؤه عند الانتهاء إلى الغاية المخصوصة فلا يكون هذا نسخاً، لكنّ المشهور عند الجمهور أنه منسوخ بقوله: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ﴾، ومنهم من قال: إنه منسوخ بوجوب الزكاة.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

لماذا يرد في القرآن أحياناً (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وأحياناً أخرى يرد (وأطيعوا الله والرسول)؟

الجواب :

١ـ توجد في القرآن قاعدة عامة، وهي أنه إذا لم يتكرر لفظ الطاعة فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة، ولم يجرِ ذكر الرسول عليه السلام في السياق أو أي إشارة إليه، كما جاء في سورة آل عمران ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران:١٣٢].

٢ـ و إذا تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعياً قد ذُكر فيه الرسول في السياق كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[النساء:٥٩] و﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[المائدة:٩٢] و﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[الأنفال:١] و ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنفال:٢٠] و ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[النور:٥٤] و ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾[محمد:٣٣] و﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[المجادلة:١٣] و﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾[التغابن:١٢].

وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة.

❁❁❁❁

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية السادسة: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ﴾ [المجادلة:٦] وقال في آخر السورة الآية ١٨: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ﴾ فما السبب؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى رقم (٦) مطلقة في المؤمن والكافر.

٢ـ الآية الثانية رقم (١٨) في المنافقين خاصة، لأنهم كانوا يحلفون للنبي ﷺ لنفي ما يُنسب إليهم من النفاق وما يدل عليه.

❁❁❁❁

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا استخدم الفعل (استحوذ) في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة:١٩]؟ ولماذا لم تطبق القاعدة فيقول: استحاذ على القياس؟

الجواب :

١ـ القياس: استحاذ مثل استنار واستعان واستعاذ، والتفسيرات الموجودة التي فسرها النحويون قد تصح وقد لا تصح.

٢ـ هناك صيغ أبقتها العرب على حالها كأنه إشارة إلى الأصول، منها :

أُغيلت المرأة: ما قالوا أغالت بمعنى حملت، مع أنّ القاعدة تقول: أغالت.

استنوق الجمل: ولم يقولوا استناق.

استفيل الرجل: وما قالوا استفال الرجل.

استقال الرجل: وليس استقول.

استحوذ، ولم يُسمع من عربي: استحاذ.

٣ـ هذه الكلمات قالوا: هذا حكمها؛ لأنّ اللغة استعمال، أي أنْ تستعمل كما وردت ولا يجوز أنْ تطوّع للقياس، ولا يصح لأحد أن يقول: استناق الجمل؛ لأنّ العرب قالت: استنوق لكن لا يجوز أنْ تقيس عليها، ولا يجوز أنْ تقول: استقول فلان من وظيفته وأنت تريد طلب إقالته بل قُل: استقال ولا تقول هذه قياساً على استنوق.

(استنوقت) لا تطوّع للقياس ولا يقاس عليها، ولم يسمع من عربي استناق، ولم يسمع من عربي (استحاذ)، وإنما نستعمل استنوق واستحوذ.

❁❁❁❁

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة حذف المفعول به من قوله تعالى في الآية: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ ؟

الجواب :

حذف المفعول به على ضربين :

١ـ أنْ يحذف لفظاً لكنه مرادٌ معنى والقصد: الحذف اختصاراً، ولا يُحذف إلا لدليل.

٢ـ أو أنْ يكون المفعول به غير مراد ولا يصح تقديره؛ لأنّ تقدير أي مفعول يكون مفسداً للمعنى، ويكون ذلك بحسب الحاجة.

وقد تدعو الحاجة إلى ذكر المفعولين: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[الكوثر:١] ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف:٦٥]، أو مفعول واحد كقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضُّحى:٥].

٣ـ وفي الآية : ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة:٢١] أي: لأغلبن الكافرين والحذف هنا للعموم والتحقير.

والله أعلم.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾

السؤال الأول:

جاءت لفظة ﴿مَعْرُوفًا﴾ في آية لقمان (١٥)، بينما جاءت لفظة ﴿يُوَآدُّونَ﴾ في آية المجادلة، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية لقمان ١٥.

السؤال الثاني:

قال في المائدة ١١٩: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ﴾ وفي المجادلة ٢٢ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ـ في آية المائدة: لمّا تقدم وصفهم بالصدق ونفعهم إياهم يوم القيامة بالخلود في الجنة أكدّه بقوله: ﴿أَبَدًا ۚ﴾ وأكدّه بقوله: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾.

٢ـ ولما تقدم في المجادلة: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أكده بقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة المجادلة مع خواتيمها :

بعد أنْ ذكر أمر التي سمع الله قول التي تجادل في زوجها والحكم في ذلك قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾ [المجادلة: ٥].

وقال في أواخرها :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة: ٢٠]. فذكر في أول السورة أنهم كبتوا.

وقال في أواخرها أنهم في الأذلين.

ثم ذكر في آخر السورة ما ينبغي أنْ يكون موقف المؤمنين من هؤلاء فقال:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فالمناسبة ظاهرة. والله أعلم.

سورة الحشر

أولاً ـ تناسب خواتيم المجادلة مع فواتح الحشر :

قال سبحانه في آخر المجادلة :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ ﴾[المجادلة: ٢٠ – ٢١].

وقال في أوائل الحشر:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾[الحشر:٢].. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾[الحشر:٤].

فقد أذلّ الذين حادّوا الله ورسوله وأخرجوهم من حصونهم.

فاتصلت الآيات كأنها في موضع واحد.

جاء في (روح المعاني): ((مناسبتها لما قبلها أنّ في آخر تلك ـ يعني سورة المجادلة ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ ﴾[المجادلة:٢١].

وفي أول هذه: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ ﴾[الحشر:٢].

وفي آخر تلك ذكر من حادّ الله ورسوله، وفي أول هذه من شاقّ الله ورسوله)).

ثانياً ـ هدف السورة :

الانتماء للإسلام والتبرؤ من المشركين والكفر :

في هذه السورة معان عجيبة، فهي تتكلم عن يهود بني النضير وكيف أجلاهم النبي عليه السلام من المدينة، وكيف وقف المنافقون في صف اليهود، وحاولوا مساعدتهم بالوعود فقط، لكنهم لم يعاونوهم حقيقة أبداً لأنهم كما عهدناهم لا يوفون بالعهود، ويقولون ما لا يفعلون: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر:١١] و: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾[الحشر:١٢] فالسورة تبرز نوعين من الناس: المنتمي للإسلام والمتبرئ.

وتعطي السورة نموذجاً ثانياً عندما يتخلى الشيطان عن أتباعه من أهل الكفر: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١٦ - ١٧]. ثم وصفت الآيات في السورة أصناف أهل الإيمان على مرّ الأجيال، فهم واحد من أصناف ثلاثة: المنتمين للإسلام: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾[الحشر:٨]، والأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]، والأجيال المتعاقبة ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى

﴿قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر:١٠] وقد وعظت السورة المؤمنين بتذكر يوم الحشر ذلك اليوم الرهيب الذي لا ينفع فيه حسب ولا نسب، وبيّنت الفراق بين أهل الجنة وأهل النار ومصيرهم في الآخرة.

وفي السورة آية هي من أجمل الآيات تصوّر لنا عظمة هذا القرآن: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر:٢١] ووجود هذه الآية في موقعها في السورة إثبات لليهود الذين ظنوا أنّ حصونهم مانعتهم من الله، فإذا كان الجبل الصلب العظيم يخشع إذا أنزل عليه القرآن فكيف بالحصون والقلاع؟ ومَنْ أشدّ الجبل العظيم أم القلاع والحصون؟ فلا ناصر ولا معين إلا الله تعالى.

وقد ختمت السورة بآيات: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَٰمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَٰلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٢-٢٣-٢٤]. واشتملت على العديد من أسماء الله الحسنى، وهي كلها أسماء تدل على العظمة والقوة، فكيف أيها المؤمن لا تنتمي لله الذي هذه بعض من صفاته والذي له الأسماء الحسنى سبحانه؟!

ولا ننسى أنّ السورة ابتدأت أيضاً بتنزيه الله وتمجيده، فالكون كله وما فيه من متناقضات وإنسان وحيوان ونبات وجماد كله شاهد على وحدانية الله وقدرته ناطق

بعظمته وسلطانه سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الحشر:١].

❊❊❊❊

ثالثاً. من اللمسات البيانية في السورة

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿سَبَّحَ﴾ما معنى كلمة التسبيح؟ وهل له أنواع؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحديد ١

السؤال الثاني:

﴿سَبَّحَ﴾يستخدمه القرآن متعدياً بنفسه مرة أو بحرف جرّ مرة أخرى فهل هناك من فرق بياني؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الثالث:

يقول تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ ومرة يقول: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ﴾فهل هناك فارق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١ .

السؤال الرابع :

ما القواعد العامة في تكرار اسم الموصول مع آيات التسبيح؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١ .

السؤال الخامس :

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ بصيغة الماضي وفي بعض السور ﴿يُسَبِّحُ﴾ بصيغة المضارع، فهل هذا مقصود بذاته؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١ .

السؤال السادس :

ما دلالة تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١ .

السؤال السابع :

لماذا قدّم السموات على الأرض؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الثامن :

ما سبب ذكر وحذف ﴿مَا﴾في بدايات سورة الحديد وسورة الصف واختلاف صيغة الفعل (سبح) بصيغة الماضي في سورة الحشر والحديد والصف وجاء(يسبح) في صيغة المضارع، كما في سورة الجمعة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

❊❊❊❊

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿حُصُونُهُم﴾ ما كلمات منظومة الحصن والصياصي؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ٧٨

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين استعمال كلمتي (عقاب) و(عذاب) في القرآن الكريم؟ وما معنى كلمة (العاقبة)؟.

الجواب :

١ـ كلمة (العقاب) ومشتقاتها وردت في القرآن في (٦٤) موضعاً.

٢ـ كلمة (العذاب) ومشتقاتها وردت في القرآن في (٣٧٠) موضعاً.

٣ـ الفعل الثلاثي لكلٍّ من الكلمتين: (عذب) و (عقب)، والحرفان الأول والثالث مشتركان، بينما الخلاف في الحرف الثاني.

وحرف الذال: من أحرف الرخاوة وفيها امتداد، وفيها طول، ويكون للدنيا والآخرة.

بينما حرف القاف من أحرف الشدة يُولد بانطباقٍ يعقبه انفصال مفاجيء مثل الباء، وفيه سرعة ويسمى في الدراسات الحديثة حرفاً انفجارياً، بينما الذال المشددة فيها امتداد.

لذلك نستنتج أنّ كلمة: (العقاب) تكون للشيء السريع، والشيء السريع يكون في الدنيا، ومن هنا نجد أنّ الآيات التي تحدثت عن عقوبات الأمم السابقة في الدنيا جاء معها كلمة (العقوبة).

فعندما نأتي إلى الآيات التي تتحدث عن عقوبة للمشركين في الدنيا نجده يسميه عذاباً، ويسميه في الآخرة عذاباً أيضاً، لكن لا يسميه عقاباً في الآخرة، وإنما العقاب في الدنيا فقط.

٤ـ و(العقاب) فيه شدة، واستعملها القرآن في الدنيا فقط، بينما استعمل (العذاب) في الدنيا والآخرة.

وكلمة (العقاب) فيها سرعة أيضاً، كما وردت في القرآن ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنعام:١٦٥] وليس في القرآن (سريع العذاب) وإنما ﴿سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾

وعندما يأتي الوصف لله عز وجل لا يكون مؤقتاً لا بدنيا ولا بآخرة وإنما يقول: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ و يعني هذه صفته سبحانه. لكن عندما يستعمل كلمة العقاب مع البشر يستعملها في الدنيا، ولم تستعمل في الآخرة.

٥ـ أمّا (العذاب) فاستعملها للعذاب في الدنيا وفي الآخرة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة:١٦٥].

*** شواهد قرآنية :(العقاب) :**

ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام:١٦٥] وصف لله سبحانه وتعالى بأنه سريع العقاب، لكن لم يصف نفسه جلّت قدرته بأنه سريع العذاب.

ـ ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج:٦٠] عاقب وعوقب في الدنيا.

ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة:٢] صفة عامة.

*** شواهد قرآنية: (العذاب) :**

ـ ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١١٤﴾ [البقرة:١١٤] عذاب في الدنيا والآخرة.

ـ ﴿ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣﴾ [الحشر:٣].

ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ۝٥﴾ [النمل:٥] عذاب دنيوي.

ـ ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ [النور:٢] هذه عقوبة، وسمّاها الله عذاباً مما يدل على أنّ العذاب أوسع من العقاب؛ لأنه يستعمل في الدنيا والآخرة ويستعمل بمكان العقاب.

(العاقبة) :

وتعني النتيجة، ومأخوذة من عقب القدم وهو مؤخر القدم؛ ولذلك يقولون: نكص على عقبيه. واستعمل القرآن الكريم كلمة (العاقبة) للخير وللشر، بينما (العقاب) لا يستعمل إلا للشر. وقد وردت كلمة (العاقبة) في ٣٢ موضعاً في القرآن كله.

*** شواهد قرآنية :**

ـ ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٣٧﴾ [آل عمران:١٣٧] هذا في الدنيا، لكن في الآخرة نتيجة العمل ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ﴾ [الحشر:١٧]؛ لأنّ الكلام على ما يعقب العمل.

ـ ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[الأعراف:١٢٨] النتيجة التي تعقب هذا العمل هي للمتقين.

ـ ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾[طه:١٣٢].

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمال (يشاقّ) و(يشاقق)؟

الجواب:

١ـ حيث ورد ذكر الرسول ﷺ يُفكّ الإدغام ﴿يُشَاقِقِ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾[الأنفال:١٣] وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء:١١٥].

٢ـ وحيث أُفرِد الله تعالى يستخدم ﴿يُشَآقِّ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾[الحشر:٤].

٣ ـ كلمة ﴿يُشَاقِقِ﴾ هي فعل مضارع، وعندما تكون مجزومة يفُكّ إدغامها، وأمّا [شاقّه يشاقّه] بالإدغام، فعندما يأتي الجزم فللعرب لُغتان:

أ ـ منهم من يُبقي الإدغام ويفتح لالتقاء الساكنين، تقول: تكلّم فلان فلم (يردَّ)عليه أحد، (يرُدَّ) مجزوم وعلامة جزمه السكون، وقد فُتِح لالتقاء الساكنين؛ لأنه حوفظ على الإدغام)

ب ـ وبعض قبائل العرب يقول: تكلم فلان فلم (يردُد) عليه أحد (تفُكّ الإدغام). وهما لغتان فصيحتان تكلم بهما القرآن.

٤ـ هنا في الآية ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ فك الإدغام. وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤﴾[الحشر:٤] أبقى الإدغام. فالعلماء وقفوا وقالوا :

أ ـ عندما يكون ذكر لاسم الجلالة (الله) وحده يبقى الإدغام. وبعض العلماء يقول: مع كلمة (الله) الألف واللام ثابتة، فبقي الإدغام.

ب ـ وقسم يقول: إذا ذكر الرسول عليه السلام - لأنّ الألف واللام في كلمة الرسول طارئة - فهي على نية الانفصال، فيصير فك إدغام.

ج ـ المشاقّة هي أنْ تكون في شق والثاني في شق، ومع الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن تكون في شق والله عز وجل في شق، فأُبقي الإدغام. وهكذا جاء في القرآن الكريم كله. والله أعلم.

لمزيد من المعلومات انظر أيضاً آية النساء ١١٥.

السؤال الثاني :

لماذا جاءت ﴿يُشَآقِّ﴾ بالكسر في آية سورة الحشر ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤﴾[الحشر:٤]؟

الجواب :

هذا الفعل مجزوم وعلامة جزمه السكون، وحُرِّك لالتقاء الساكنين.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين استعمال كلمتي (عقاب) و(عذاب) كما وردتا في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحشر٣.

❁❁❁❁

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كتابة كلمة ﴿لِكَىْ لَا﴾ منفصلة مرة و﴿لِكَيْلَا﴾ موصولة مرة أخرى؟

الجواب :

١ـ أولاً خط المصحف لا يقاس عليه أصلاً، لكن يبدو في هذا الرسم ملحظ بياني والله أعلم في أكثر من موطن. فمرة تكتب ﴿لِكَىْ لَا﴾ مفصولة ومرة ﴿لِكَيْلَا﴾ موصولة. و هذا ليس فقط للخط وإنما لأمر بياني.

٢ـ هناك فرق بين ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ﴾ حيث تحتمل الزمن الطويل والقصير، أمّا قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ﴾ فهي مباشرة بعد العلم.

وكذلك في كلمة ﴿لِكَيْلَا﴾ فإذا احتمل الفاصل فصل ﴿لِكَيْ لَا﴾ وإذا لم يحتمل وصل بينهما فكتب ﴿لِكَيْلَا﴾.

٣ـ وفي القرآن الكريم شواهد على مثل هذا، كما في آية سورة الأحزاب ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب:٣٧] كتبت ﴿لِكَىْ لَا﴾ منفصلة؛ لأنه لا يحلّ الزواج بامرأة أخرى إلا بعد انفصالها عن زوجها الأول وقضاء العدّة، فلا يصح إذن الزواج بها إلا بعد الانفصال، فجاء رسم ﴿لِكَىْ لَا﴾ منفصلاً.

٤ـ وفي آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ [الأحزاب:٥٠] ليس في الآية انفصال فالكلام عن أزواج الرسول وهنا الاتصال قائم، والإنسان مع زوجته في اتصال قائم وليس هناك فصل؛ لذا جاءت ﴿لِكَيْلَا﴾ متصلة.

٥ـ وفي هذه الآية من سورة الحشر ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧] فصل ﴿لِكَىْ لَا﴾ هنا؛ لأنه يريد أنْ

يفصل الأموال، لأنها لا ينبغي أنْ تبقى دُولة بين الأغنياء، وإنما يجب أنْ تتسع الأموال لتشمل الفقراء فاقتضى الفصل في رسم ﴿لِكَيْ لَا﴾ في هذه الآية.

٦ـ وهذا الأمر هو من باب الجواز، فهو جائز أن تكتب ﴿لِكَيْلَا﴾ متصلة أو منفصلة ﴿لِكَيْ لَا﴾ لكنها تُرسم أيضاً بما يتناسب مع الناحية البيانية والبلاغية بحيث تتناسب مع الأحكام.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿خَصَاصَةٌ﴾ ما كلمات منظومة الجوع؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ١٢٠.

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الحشر:١١] ما الفرق بين (لئن أخرجتم) و(إنْ قوتلتم)؟

الجواب :

١ـ اللام في ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ موطئة للقسم، اللام لام القسم و(لنخرجن معكم) جواب القسم، وأمّا في ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾ فلا وجود للام.

٢ـ أيها الأقوى ﴿لَئِنْ﴾ باللام أو بدون لام؟ بالطبع باللام، لام القسم أقوى. إذن ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ هذه حالة و﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ هذه حالة أخرى أقل. إذن الأولى أقوى.

وهذا حكم نحوي، واحدة فيها لام القسم والأخرى ليس فيها لام القسم.

٣ـ المنافقون قالوا في الإخراج: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ فيها توكيد أمّا في القتال فليس فيها توكيد فصار التوكيد أقل ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ القتال ليس بمنزلة الإخراج،

فأكدوا في الخروج ولم يؤكدوا في القتال، ولسان حال المنافقين أنهم يخافون على أنفسهم من الموت في القتال.

لكنّ الله تعالى شهد على كونهم كاذبين بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ وأتبع ذلك تفصيلاً في الآية التي تليها. والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا جاء جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾[الحشر:١٢] في سورة الحشر مرفوعاً؟

الجواب :

هذا ليس جواباً للشرط، وإنما هو واقع في جواب القسم. والقاعدة تقول: إنه إذا اجتمع القسم والشرط فالجواب للسابق منهما، فإنْ تقدّمه ما يحتاج إلى خبر فأنت مخيّر، كأن نقول "أنت والله إنْ فعلت كذا".

وفي هذه الآية القسم سابق للشرط، فلا يمكن أنْ يكون ﴿لَا يَخْرُجُونَ﴾ جواباً للشرط، وإنما هو جواب القسم، فلا بدّ من الرفع، وهو مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة (يخرجون).

وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ .

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[التوبة:٦٥] (ليقولن) جواب قسم، وليس جواب شرط.

❁❁❁❁

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الجهاد؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٦.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين كلمتي ﴿شَتَّىٰ﴾ و (أشتات)؟

الجواب :

(شتى): وردت في ثلاثة مواضع بمعنى الاختلاف مقابل الائتلاف [طه ٥٣ـ الليل ٤ـ الحشر ١٤].

(أشتات): وردت في آيتين [الزلزلة ٦ـ النور ٦١] بمعنى التفرق مقابل التجمع.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾

السؤال الأول :

ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ فما اللمسة البيانية في تقديم العمل على الخبرة هنا علماً أنه في آيات أخرى يقدم الخبرة على العمل ﴿خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾؟

الجواب :

القاعدة في ذلك أنّ القرآن يقدم العمل على الخبرة أو الخبرة على العمل بحسب ما يقتضيه المقام، فإذا كان السياق في عمل الإنسان وليس في الإنسان، قدّم العمل.

وإذا كان السياق في غير العمل ويتكلم عن الإنسان في غير عملٍ كالقلب أو السياق في أمور قلبية أو في صفات الله عز وجل يقدم صفة الخبير على العمل، هذا خط عام.

أي إذا كان السياق في عمل الإنسان يقدّم العمل فيقول: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ فيقدم العمل على الخبرة، وإذا كان السياق في أمور قلبية أو عن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

*** شواهد قرآنية:**

- ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾ [البقرة:٢٧١] **هذا عمل، فختم الآية** ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾.

ـ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد:١٠] الكلام عن الإنفاق والقتال، فقدّم العمل.

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر:١٨] التقوى أمر قلبي، فقدّم الخبرة.

❁❁❁❁

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الإنساء والنسيان، وما علاقة النسيان بالشيطان؟

الجواب :

١ـ النسيان: خلقه الله في الإنسان؛ لذلك ينسى الشخص من تلقاء نفسه ويكون عما كان، أمّا السهو فيكون عما لم يكن.

٢ـ الإنساء: من أنسى، مثل: أكرم إكراماً.

٣ـ لا النسيان ولا الإنساء يتعلق بالشيطان، لكنْ قد تستطيع أن تُنسي شخصاً أمراً ما بإلهائك إياه ببعض الأمور الأخرى.

٤ـ الله تعالى ينسب الإنساء لنفسه، كما في قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾.

*** شواهد قرآنية:**

ـ آية طه ٥٢ ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ لا ينسى من تلقاء نفسه.

ـ آية الكهف٦٣ ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فتى موسى يتكلم عن نفسه أنّ الشيطان بسبب وساوسه ألهاه فنسي.

ـ آية يوسف٤٢: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ هذا سرد لما حدث، يتكلم عن الشخص الذي ظن أنه ناج، أي أنّ الشيطان بسبب وساوسه وإلهائه له جعله ينسى موضوع يوسف عليه السلام.

ـ آية البقرة ٢٨٦: ﴿إِن نَّسِينَآ﴾ عامة من تلقاء أنفسهم.

ـ آية المؤمنون: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ أي أنّ انشغالكم بسخرية المؤمنين أنساكم ذكر الله والإيمان به.

ـ آية البقرة ١٠٦: ﴿۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾ متعلقة بالله تعالى.

❁❁❁❁

﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال أداة النفي ﴿مَا﴾ و﴿لَا﴾؟

الجواب:

١ـ ﴿مَا﴾ التي تدخل على المضارع هي لنفي الحال، ﴿لَا﴾ يقولون: للاستقبال. وقسم من النُحاة يقولون: قد تكون للحال وللاستقبال. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة:٤٨] هذا استقبال.

٢ـ ننظر كيف تستعمل في القرآن: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ [فاطر:١٩] هذا مشاهَد في الدنيا ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾[فاطر:١٢] هذا مُشاهَد ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر:٢٢] هذا مُشاهَد، ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء:٩٥] عدم الاستواء هذا في الآخرة غير مشاهَد، فقال: ﴿لَّا يَسْتَوِي﴾ ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾[الحديد:١٠] عدم الاستواء هذا في الآخرة، ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾[الحشر:٢٠] هذا في الآخرة غير مُشاهَد.

٣ـ ﴿لَا﴾ تدل على النفي في الاستقبال (نفي غير مشاهد) وقسم يقولون: قد تكون للحال. وأكثر النحاة يقولون: هي للاستقبال. لكنّ قسماً يقول: قد تكون للحال والأكثر للاستقبال، بدليل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾[النمل:٢٠] هذه حال وليس استقبالاً، فقال: قد تأتي للحال أيضاً وهم متفقون على أنها للاستقبال.

والأصل أنْ تكون للاستقبال؛ لذلك يقول الزمخشري: (لا) و(لن) أُختان في نفي المستقبل إلا أنّ في (لن) تأكيداً.

❀❀❀❀

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية بين ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ و ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾؟

الجواب :

١ـ لفظ (إلى) تستعمل في القرآن الكريم مع العاقل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة:٤٨].

٢ـ لفظ (على) تستعمل للعاقل وغير العاقل ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾. ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾.

كما تستعمل في العقوبات ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا﴾. ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ﴾[الشعراء:٤].

❊❊❊❊

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما فائدة غياب حرف العطف في ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر:٢٣]؟

الجواب :

١ـ قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر:٢٣]

و قال في موضع آخر: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾[الحديد:٣].

ما قال تعالى (هو الأول الآخر..) لأنّ العطف يأتي في الصفات فيما تباعَد من الصفات؛ لأنه يصير أمراً مستغرباً، أمّا في الصفات القريبة فلا يؤتى بالعطف.

٢ـ أحياناً تأتي الواو للاهتمام وللتباعد ما بين الصفات. إذا كانت الصفات متباعدة يؤتى بالواو، مثلاً أنت تتكلم مع شخص عن فلان وهو يعرفه لكنْ لا يعلم مثلاً أنه شاعر فتقول له: هو شاعر، فيقول: هو شاعر؟ فتقول وطبيب، الشعر والطب متباعدان، فيقول: وطبيب؟ يستغرب من اجتماع هذه الصفات المتباعدة التي لا يعلمها هو في شخص؛ لذا تأتي الواو فإذا تباعدت الصفات فيحسن الإتيان بالواو.

لمزيد من التفصيل انظر آية البقرة ٢٥٥حول تعدد الأخبار. وكذلك آية الحديد٣.

السؤال الثاني :

ما دلالة واو الاهتمام أو واو الثمانية كما يسمونها؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٢٢.

السؤال الثالث :

ما دلالة أسماء الله الحسنى المذكورة في الآيتين؟

الجواب :

١ ـ ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ : هو البليغ في النزاهة في الذات والصفات والأفعال والأحكام والأسماء، وهو يعني براءته من العيوب في الزمن الماضي والحاضر. وقيل: معناه(المبارك).

٢ ـ ﴿ٱلسَّلَـٰمُ﴾: مبالغة في كونه سليماً من النقائص. وكونه سليماً فيه إشارة إلى براءته من جميع العيوب في الزمان المستقبل، فإنّ الذي يطرأ عليه شيء من العيوب تزول سلامته ولا يبقى سليماً.

٣ـ ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: الذي آمن، أي الذي يؤمّن أولياءه عذابه.

٤ـ ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾: الشاهد الذي لا يغيب عنه شيء.

٥ـ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي لا يوجد له نظير، الغالب القاهر.

٦ـ ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ : هو جابر كل كسير وفقير، وهو الذي يقهر الناس فيجبرهم على ما أراد.

٧ـ ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ : الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله، المتعظم عن كل سوء، الذي تعظم عن ظلم العباد، المتكبر ذو الكبرياء، الملك.

٨ـ ﴿ٱلْخَـٰلِقُ﴾: الخلق هو التقدير، والخالقية راجعة إلى صفة الإرادة.

٩ـ ﴿ٱلْبَارِئُ﴾: هو بمنزلة قولنا: صانع وموجد، إلا أنه يفيد اختراع الأجسام.

١٠ـ ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ : أي الذي يخلق صور الخلق على ما يريد، وقدّم ذكر الخالق على البارىء؛ لأنّ ترجيح الإرادة مقدم على تأثير القدرة، وقدّم البارىء على المصور؛ لأنّ إيجاد الذوات مقدم على إيجاد الصفات.

السؤال الرابع :

أيهما أصح أن يقال اللهم إني أسألك بصفاتك العليا أو صفاتك العلا؟

الجواب :

١ـ الإفراد في غير العاقل هو أكثر من الجمع، (العلا) جمع و(العليا) مفرد وكلاهما صحيح، لكنْ أيهما الأولى؟

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر:٢٤] الحسنى مفرد والأسماء جمع، ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾[طه:٤] العلا جمع عليا، والسموات سبع.

٢ـ المفرد في الصفات مع غير العاقل يفيد أكثر من الجمع، أي عندما تقول: عندي أشجار كثيرة، هو أكثر من أشجار كثيرات.

٣ـ المفرد مع غير العاقل أكثر من الجمع. (الصفات العليا) الصفات جمع، فنقول: العليا، ويصح العلا، لكنّ الأولى أنْ يقال: العليا.

*** شواهد قرآنية :**

ـ ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾[الغاشية:١٤] ما قال (موضوعات)؛ لأنها تكون أقل.

ـ ﴿غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾[الزُّمَر:٢٠] لا يقول: غرف مبنيات.

لذلك إذا أفرد الصفة في غير العاقل تكون كثيرة، وإذا جمع يكون أقل.

واللغة الأعلى أنْ يقال: (الصفات العليا).

السؤال الخامس:

ما الفرق بين استعمال (من) و(ما) في قوله تعالى: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ و ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾؟

الجواب:

١ـ ﴿مَن﴾ تستعمل لذوات العقلاء وأولي العلم فقط.

وأمّا ﴿مَا﴾ فتستعمل لصفات العقلاء ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧﴾ [الشمس:٧]، ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣﴾ [الليل:٣] والله هو الخالق، ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧﴾ [الشمس:٧] والله هو المسوي، وذوات غير العاقل نحو: (أشرب مما تشرب)، وهي أعمّ وأشمل.

٢ـ لكنْ يبقى السؤال: لماذا الاختلاف في الاستعمال في القرآن الكريم فمرة تأتي ﴿مَن﴾ ومرة تأتي ﴿مَا﴾؟

والجواب:

أ ـ نلاحظ في القرآن أنه تعالى عندما يستعمل ﴿مَن﴾ يعطف عليها ما لا يعقل كما في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾ [الحج:١٨].

ب ـ أمّا عندما يستعمل ﴿مَا﴾ فإنه يعطف عليها ما يعقل ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾. . ﴿دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وهو خط بياني لم يتخلف في القرآن أبدا، والحكمة البيانية منه الجمع.

ج ـ وكذلك استعمال ﴿مَن﴾ مع الفعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ كما في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤] وفي سورة النور ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾[النور:٤١]

د ـ واستعمال ﴿مَا﴾ كما في قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٤] وسورة الجمعة (١) وسورة التغابن (١) وسورة الحديد (١) والحكمة البيانية من ذلك جمع كل شيء.

السؤال السادس:

ما كلمات المنظومة التي تدل على الظلم والاستعلاء؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يونس ٧٥.

السؤال السابع:

في سورة الحشر في أولها كرر اسم الموصول ﴿مَا﴾ فقال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾[الحشر:١] في نفس السورة لمّا ختمها في جو من تمجيد الله تعالى لم يكرر اسم الموصول، فقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٤] فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحشر رقم ١.

السؤال الثامن :

قوله تعالى في آية طه٤: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾ وقال في غيره من المواضع، ومنها آية الحشر ٢٤: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فبدأ بالسماوات؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ٤.

رابعاً ـ تناسب فاتحة سورة الحشر مع خاتمتها :

بدأت السورة بقوله سبحانه :

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾[الحشر:١].

وختمت بقوله:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾[الحشر:٢٤].

فبُدِئَت بالتسبيحِ وخُتِمَت به، حتى أنها ابتدأت باسميه العزيز الحكيم وختمت بهما أيضاً.

والله أعلم.

سورة الممتحنة

أولاً ـ تناسب خواتيم الحشر مع فواتح الممتحنة :

١ ـ خاطب الله المؤمنين في أواخر الحشر وأمرهم ونهاهم فقال :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر:١٨-١٩].

وخاطبهم في أول الممتحنة مبينا ما أراد أنْ يبينه لهم فقال :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة:١-٢].

فكأنّ ما في الممتحنة جاء استكمالاً للأوامر والتوجيه.

فآية الحشر في تقوى الله ومراعاته.

وآية الممتحنة في معاملة أعداء الله.

٢ ـ ذكر في الحشر قبل ذكر أسماء الله وصفاته ما يتعلق بالقتال، فقال :

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ...﴾ [الحشر: ١٣ - ١٤].

ونحو ذلك ذكر في أول الممتحنة فقال: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ [الممتحنة:٢] ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١]. . .

٣ ـ ذكر في أواخر الحشر الاستعداد لليوم الآخر فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ [الحشر:١٨].

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)﴾ [الحشر:٢٠].

وقال في أول الممتحنة: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)﴾ [الممتحنة:٣].

فذكر أنّ الله خبير بما يعملون في سورة الحشر.

وأنه بصير بما يعملون في الممتحنة.

جاء في (روح المعاني): ((مناسبتها لما قبلها أنه ذكر فيما قبل موالاة الذين نافقوا للذين كفروا من أهل الكتاب.

وذكر في هذه نهي المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء لئلا يشابهوا المنافقين)).

ثانياً ـ هدف السورة :الامتحانات :

ابتدأت السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)﴾ [الممتحنة:١] بالدلالة على الانتماء، ويجب أنْ ننتبه إلى أنّ الإسلام لا يدعو إلى عدم التعامل مع غير

المسلمين، وإنما النهي يكون عن الذين يقاتلون المسلمين ويؤذونهم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾ [الممتحنة:٨-٩]. ويجب أنْ يكون هناك توازن بين عدم اتّخاذ الأعداء أولياء وبين القسط والبر بالذين لم يقاتلوا المسلمين.

وهذه السورة هي سورة الامتحانات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢)﴾ [الممتحنة:١٢].

وفيها امتحانات أربعة:

أ ـ أولها نموذج امتُحن فأخطأ وهي حادثة حاتم بن أبي بلتعة الذي كتب إلى أهل مكة يخبرهم بأنّ الرسول يتجهز لفتح مكة وأنه يريد غزوهم؛ وذلك لأنه كان له قرابات في مكة أراد أنْ يحميهم فنزل الوحي على الرسول وأخبره بذلك فعفا عنه الرسول؛ لأنه كان ممن شهدوا بدراً ونزلت الآية رقم ١.

ب ـ والاختبار الثاني اختبار سيدنا إبراهيم الذي امتُحن فنجح: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤)﴾ [الممتحنة:٤].

ج ـ والثالث امتحان العدل في معاملة غير المسلمين آية [٨ و ٩].

د ـ آخرها امتحان المبايعة للنساء آية ١٢.

وعلى المسلم أنْ يأخذ العبر ويستعد لامتحانه.

❁❁❁❁

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول :

ما قصة هذه الآية؟ وأين أماكن الوقف فيها؟

الجواب :

أولاً: إشارات الوقف :

١ـ إنّ العلامات التي في المصحف هي من اجتهاد اللجان التي تولت طباعته. فقد يجد المسلم إشارة بمنع الوقف. وهنا عندنا إشارة عند قوله تعالى ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ﴾ بعد كلمة ﴿وَإِيَّاكُمْ ۙ﴾ هناك إشارة وقف ﴿لا﴾ يعني: تقترح اللجنة أنه لا يستحسن الوقف هاهنا ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ﴾ ثم يأتي قوله تعالى ﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ لأنّ معنى الآية هو: يخرجون الرسول ويخرجونكم؛ لأنكم تؤمنون بالله ربكم، هذا هو المعنى. لكنْ إذا أحس القارئ

أنه لو وقف هنا يتبيّن له المعنى أكثر ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ ثم يقول ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ معناه: لأنْ تؤمنوا بالله ربكم يمكن أنْ يقف عند إشارة الوقف أو أنْ يصِل.

٢ـ من عادة العرب أنها تحذف الفعل وتستغني بحرف العطف (أكرمت زيداً وخالداً)، يعني: وأكرمت خالداً؛ ولذلك يأخذ الحركة الإعرابية.

وهنا المعنى لقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي يخرجون الرسول ويخرجونكم، لكنْ يخرجون الرسول ويخرجونكم فيها تكرارللفعل فحذفت (يخرجون) وبقيت (كُم) وحدها (يخرجون الرسول وكُم) وهذا لايستقيم فتأتي (إيّا) فصارت (إياكم) بمعنى: يخرجون الرسول ويخرجونكم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾: هنا اللام محذوفة كأنه مفعول لأجله يعني (لأجل إيمانكم أخرجوكم). و(أن) تحذف قبلها اللام في لغة العرب كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ [عبس:١-٢] بمعنى: لأنْ جاءه الأعمى.

واللام تحذف كثيراً؛ لأنها تكون مفهومة، والعربي إذا كان الشيء مفهوماً لا يذكره، ولذلك أحياناً إذا ذكر في موطن الفهم الواضح يقولون: هذا شاذّ، كما قال الشاعر:

لك العِزُّ إنْ مولاك عزّ وإنْ يَهُنْ　　فأنت لدى بحبوحة الهون كائن

قالوا: فأنت لدى بحبوحة الهون كائن، قال: هو واضح كائن. وقولك: (زيدٌ في الدار) لا نقول: زيد كائن في الدار. فالحذف هنا واجب.

٤ـ لذلك إشارة الوقف (لا) بعد ﴿إِيَّاكُمْ﴾ في الآية ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ لا نقف عند (إياكم)، وهذا اجتهاد اللجنة. ويمكن بالوصل أنْ تستقيم العبارة ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾.

٥ـ ولا تقف عند كلمة (الرسول) في الآية؛ لأنه لا يجوز؛ لأنك فصلت بين المعطوف عليه والمعطوف، وسيلتبس المعنى عند ذلك وتصبح كأنه ينهاهم عن الإيمان؛ لأنّ لفظة (إياكم) قد تفيد معنى التحذير.

٦ـ اللجنة أرادت أن تُقرأ الآية كاملة. وهذه العلامات غير منضبطة في المصاحف، ولكنْ في الغالب علامة الوقف متشابهة في المصاحف وهناك خلافات يسيرة جداً جزئية، لكنّ الجميع يضع (لا) على هذه الكلمة كأنه يريد أنْ تُقرأ الآية كاملة. لكنّ الإنسان قد ينقطع نفسه فهو يحتاط لذلك فيقف في المكان الصحيح.

ثانياً: سبب النزول :

هذه الآية لها قصة وهي كما يقال: خصوص السبب لا يمنع عموم المعنى واللفظ، وكما يقال: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

نزلت هذه الآية بسبب معين، وفيه درس للمسلمين، وفيه بيان لرحمة رسول الله عليه السلام الرحمة المهداة عليه السلام.

بعد صلح الحديبية نكثت قريش العهد، وقتلت مجموعة من حلفاء الرسول عليه السلام، ومزقت المعاهدة بهذا العمل، وأراد عليه السلام أنْ يعدّ العدّة لفتح مكة، وكشأنه في سائر أموره كان يستشير ويسأل. وفي هذه المرة استشار عدداً محدداً، وممن

استشارهم أحد المهاجرين وبدريّ من أهل بدر، ممن شهد بدراً وهو (حاطب بن أبي بلتعة) رضي الله عنه استشاره، وصار الرأي أنْ يفتح مكة وجميع المسلمين لا يعلمون.

وكتب(حاطب بن أبي بلتعة) رسالة إلى قريش وأرسلها مع امرأة - وهو مهاجر وقاتل في بدر لكن هذه خطرات الشيطان - كتب إلى قريش يُعلمهم فيها بعزم الرسول عليه السلام، وعلِم عليه السلام بذلك.

والذي يروي الحديث هو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، يقول: دعاني الرسول عليه السلام وقال (في رواية البخاري): تذهب مع أبي مرثد والزبير رضي الله عنهم جميعاً، قال: ستجدون امرأة في المكان الفلاني (وسمى المكان خاخ) ستجدون معها رسالة ائتوني بالرسالة. ذهبوا إليها، هم فرسان وهي تركب ظعينة على بعير فأنكرت وأقسمت - وهي مشركة- أنها ما معها شيء، وكادوا يرجعون، ثم تنبّه الإمام علي فقال: والله ما كذبنا رسول الله عليه السلام، لتخرجنّ الرسالة أو لأكشفن عن سترك، فأخرجت الرسالة من ضفيرتها، فجاءوا بها إلى الرسول عليه السلام.

وهذا كشف سر حربي فكيف يتصرف الرحمة المهداة؟ بالطبع لا ينسى ماضي الرجل، فله ماض وهو مؤمن، يرسل إليه فيقول: ما حملك على هذا؟ فيقول: يا رسول الله والله ما حملني عليه ردّة عن الإسلام أو كفرٌ بك أو كفرٌ بالله سبحانه وتعالى، ولكن إخواني من المهاجرين لهم عشائر، والله سبحانه وتعالى جعلهم سبباً في حماية من هناك من ذرياتهم [هو كان لصيقاً بقريش ولم يكن عنده أحد وأولاده وذريته هناك] أنا ما عندي أحد فأردت أن تكون لي يد ينفعني الله بها عندهم (نلاحظ أنه ردّ الأمر أيضاً إلى

الله)، وفي رواية (وقد علمت أنهم مهزومون) أي حتى إذا علموا فهم مهزومون، فقال عليه السلام: صدقت.

ويُروى أن عمر قال: يا رسول الله هذا نافق فلأقطعن عنقه، قال: ما يدريك لعل الله عز وجل اطّلع على قلوب أهل بدر فقال :(**اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم**)؛ لأنّ هؤلاء بنوا دعامة الإسلام، فلا ينبغي أن يُنكر لذلك، ولا يجوز إنكار فضل ذوي الفضل.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟ وما معناها؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نداء بأحبّ صفة للمسلمين وهي الإيمان.

٢ـ ﴿عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾ عدو المؤمنين هو عدو الله سبحانه وتعالى؛ لأنهم كفروا بما أنزله الله سبحانه وتعالى.

من أين جاءت العداوة؟ ما نقمتهم؟ ماذا صنع أصحاب الأخدود بالملك؟ لم يعملوا انقلاباً، وإنما مجرد آمنوا بالله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾[البروج:٨] مجرد الإيمان يوغر صدور الكافرين، فلا يجوز أنْ تلقي إليهم بالمودة، ولا يجوز أنْ تسمعهم المودة.

٣ـ ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾: استعمل الفعل المضارع، ولم يقل: (أخرجوا) هم واقعاً أخرجوا الرسول عليه السلام وأخرجوكم، لكنّ الفعل المضارع يدل على الاستمرار.

يعني: هذا شأنهم، وهذا دأبهم، وهذه أخلاقهم، وهم ماضون في إخراج إخوانكم الآخرين، فإخراجهم إخراجٌ لكم، وهم مستمرون في المضايقة. ما قال (أخرجوا) حتى لا تكون القضية تاريخية وإنما واقع حال، فكيف تلقون إليهم بالمودة؟ والسبب هو إيمانكم ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ فقط.

٤ـ ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ : هذا الشرط جوابه محذوف دلّ عليه ما قبله وهو (إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تلقوا إليهم بالمودة ولا تسروا إليهم بالمودة) يعني: دلّ عليه ما تقدّم وهذا تأكيد له.

٥ـ ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ هذا الإسرار لا ينفع؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ من يلق إليهم بالمودة ويسر إليهم بالمودة فقد ضل سواء السبيل، أي حاد عن الطريق المستقيم السليم. وفيه لمسة رحمة بالمسلمين؛ لأنه قال: (ضلّ) سواء السبيل، لم يقل (كفر)، إنما انحرف عن الطريق، وينبغي أنْ لا ينحرف، لكنْ إذا انحرف يُعاد إلى الطريق.

٦ـ دلالة استخدام الفعل (يُخرج) تحديداً، ما قال: (يطردكم)؛ لأنّ هذه بلدكم مكة، هذا مكانكم، والإنسان مرتبط بمكان نشأته. والمشركون أخرجوا المسلمين إخراجاً من مكة المكرمة.

المسلمون أقاموا في المدينة دولة الإسلام، ومع ذلك كان يقف بلال رضي الله عنه وينشد أبياتاً يتغنى فيها بمكة وأماكن مكة (قد يكون من شِعره أو حفظها عن غيره):

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة … بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليل

وهـــل أرِدن يومـــاً ميـــاه مجنّـــة   وهـــل يبـــدونّ لي شـــامت وطفيـــل

(إذخر وجليل) مناطق في مكة وشامت وطفيل جبال، وكل مكان له فيه ذكريات.

يقول له رسول الله عليه السلام: [**يا بلال دعِ القلوب تقِرّ**]. أي لا تهيّج قلوبنا إلى مكة، ثم قال عليه السلام: [**اللهم حبِّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكة**].

٧ـ الطرد: أنت قد تطرد شيئاً لصيقاً، لكنْ (تخرجه) يعني كأنك تقلعه من جذوره. الإخراج تقول: أخرجه من المكان الفلاني تدل على علاقة متينة بالمكان كأنه متأصّلٌ فيه. قال تعالى: ﴿وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ٣٧﴾ [محمد:٣٧] كأنّ الأحقاد متأصلة، ولكنّ الله تعالى يخرجها.

❋❋❋❋

﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

المعنى أنّ هذه حالهم فكيف تسالمونهم؟ الفعل (ثقِفَه) بمعنى استولى عليه أو حصل عليه. والكفار لديهم الرغبة والحرص الشديد على كفر المسلمين ويريدون أنْ يعيدوهم إلى ملّتهم.

السؤال الثاني :

ما المقصود بالبسط في الآية: ﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾؟

الجواب :

البسط هو المدّ، بسط يده مدّها. والبسط يأتي فيما يسرّ وفيما يكره، بسط إلي يده بما أحب وبما أكره.

والبسط يأتي بالسوء ويأتي بالخير، والذي يحدد هذا الأمر السياق وفي الحديث عن عائشة **"يبسطني ما يبسطها ويسرني ما يسرها"** ويأتي البسط بمعنى الفرح.

* شواهد قرآنية :

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة:٢٨] هذاالبسط يعني الضرب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾[المائدة:١١].

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾[الممتحنة:٢].

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤].

﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أي لن تنفعكم الأرحام يوم القيامة، يمكن أنْ نربطها بـ (لن تنفعكم يوم القيامة) أو بـ ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾. والذي ينفع هو أُخوّة الإيمان وليس الأرحام والأرحام ليست هي الأصل مع أنّ هناك وصية وتشديداً في صلة الرحم لكنّ الرحم هو رحم الإيمان.

٢ـ الرحم رحم جنس ورحم الإيمان، فإذا فُقِد رحم الإيمان، فعند ذلك لا يجوز هذا، ويكونون أعداء.

وهم ليسوا نسيجاً وحدهم في هذا، لكنْ يذكّرهم الله تعالى بما كان من إبراهيم وقومه ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤]. فالرابط هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٤) ﴾

السؤال الأول :

تكرر قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ مرتين، فما فائدة هذا التكرار وهما في آيتين متقاربتين (الرابعة والسادسة)؟

الجواب :

١ـ الآية الأولى رقم ٤ أُريد بها التأسي بهم في البراءة من الكفار ومن عبادة غير الله تعالى.

٢ـ الآية الثانية رقم ٦ أُريد بها التأسي بهم في الطاعات واجتناب المعاصي لقوله تعالى بعده: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ أي يريد ثوابه ويخشى عقابه.

السؤال الثاني :

لماذا أنث الفعل في الآية الرابعة فقال: ﴿كَانَتْ﴾ وذكّره في الموطنين الآخرين الممتحنة٦ الأحزاب٢١ مع أنّ اسم ﴿كَانَ﴾ في المواطن كلها واحد وهو الأسوة؟

الجواب:

١ـ الأسوة: تطلق على الخصلة أو الصفة التي يؤتسى بها، وتكون عندها بمعنى المؤنث. وتطلق على الشخص المتأسى به، وتكون عندها بمعنى المذكر.

والراجح في الآية الرابعة أنه أُريد به الخصلة أو الصفة فأنّث. وأمّا في الآيتين الأخريين فيُراد به الشخص المتأسى به ولم يذكر الخصلة فذكّر الفعل.

٢ ـ الأمور اللغوية والبلاغية:

أـ من الناحية النحوية: عندما تكون فاصلة واحدة بين الفعل والفاعل فالتأنيث أفضل، وأمّا إذا كثرت الفواصل، فالتذكير أفضل.

ب ـ ومن الناحية البلاغية: التذكير في العبادات أفضل وأهم من التأنيث كما جاء في مريم ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾[التحريم:١٢]؛ لأنّ الذين كملوا في التذكير أكثر.

وكذلك عندما يتحدث عن عبادة الملائكة يذكّر.

* شواهد قرآنية:

في الممتحنة ٤: توجد فاصلة بين الفعل والفاعل فأنث ﴿كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ الفاصل: (لكم).

وفي الممتحنة ٦: يوجد أكثر من فاصل بين الفعل والفاعل فذكّر ﴿كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ﴾ وهذه الفواصل هي: (لكم، فيهم).

وفي الأحزاب ٢١: يوجد أكثر من فاصل بين الفعل والفاعل فذكّر ﴿كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ والفواصل هي: ﴿لَكُمْ﴾، ﴿فِي رَسُولِ ٱللَّهِ﴾.

السؤال الثالث :

نلاحظ أنه (أنّث) في الفعل في الممتحنة ٤ و(ذكّر) في الممتحنة ٦ والأحزاب ٢١، فلماذا أيضاً؟

الجواب :

أي العبادات أكثر في هذه الآيات؟

١ـ في الممتحنة ٤ كانت الأسوة في القول في أمر واحد وهو: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ والاستثناء هو من قول إبراهيم. وهنا جاء بـ ﴿قَدْ﴾ و(أنّث) الفعل.

٢ـ في الممتحنة ٦ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ هذه عامة وهي أهم؛ ولذلك أكّدها باللام وقد ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ لذا عندما اتسعت العبادة (ذكّر).

٣ـ في آية الأحزاب ٢١ الآية عامة ولم يخصص بشيء؛ ولهذا (ذكّر).

السؤال الرابع :

لماذا قدّم في الآية الرابعة الأسوة على المؤتسى به، وأخّرها في الآيتين الأُخريين الممتحنة ٦ والأحزاب ٢١؟

الجواب :

قدّم الأسوة في الآية الرابعة؛ لأنّ الكلام يدور عليها، وقد بينها بقوله: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟﴾. فكانت الخصلة محط الاهتمام.

وأمّا في الآيتين الأخريين فلم يذكر الخصلة، وإنما ذكر المؤتسى به فقط فقدمه على الأسوة؛ لأنّ المؤتسى به هو محط الاهتمام.

وأكّد باللام في الممتحنة ٦ وآية الأحزاب فقال: ﴿لَقَدْ﴾ لأنه أطلق التأسي ليشمل كل الأمور الحسنة أكثر مما أكد في آية الممتحنة ٤ فجاء باللام إضافة إلى: (قد). والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال (عسى)و(لعلّ) في القرآن الكريم؟ البعض يقولون: إنها لا تفيد مجرد الاحتمال والتمني، وإنما تفيد التوكيد ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾؟

الجواب:

١ـ كثير من المفسرين يقولون: (عسى) من عند الله واجب، وهذا ليس صحيحاً؛ لأنّ الكفار قالوا عسى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الشعراء:١٢٩] ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه:٤٤] فليست واجبة وهو لم يتذكر ولم يخش، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾ [غافر:٣٦] فليس واجباً.

٢ـ (عسى) و(لعلّ)من أفعال الترجي، ويقولون: (لعلّ) فيها معنى الإطماع والإشفاق فهي للترجي.

٣ـ قسم قيدوها وقالوا: هي من الله واجبة وليست في القرآن واجبة:

أ ـ فقسم قالوا: هي من عند الله واجبة، كما في الآيات: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾ [المائدة:٥٢] ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ [الأعراف:١٢٩] ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم:٥].

ب ـ وقسم قالوا: ليست واجبة حتى مع إسناد ذلك إلى الله تعالى، وإنما يذكره الله تعالى ليكون الإنسان راجياً من الله ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال:٤٥] أي اذكروا الله راجين الفلاح من الله حتى يبقى الإنسان خائفاً من ربه.

ج ـ وقسم من أصحاب التفسير قالوا: ليست هي واجبة وإنما المقصود الرجاء من الله سبحانه وتعالى وتقدّر كل حالة بقدرها، وليس هناك حكم مطلق بخصوص (عسى) و(لعلّ.)

٤ـ المعنى العام واضح، لكنْ هل هو واجب؟ هذا بحسب السياق. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ذَكَرَ التأنيث والتذكير في القرآن مع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات والصابرين والصابرات والمنافقين والمنافقات وذكر الكافرين ولم يذكر الكافرات، فلماذا؟

الجواب :

وردت الكوافر في القرآن ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة:١٠] الكوافر أشمل وأعم من الكافرات. الكوافر أكثر من الكافرات؛ لأنه جمع تكسير والكافرات أقل؛ لأنه جمع قلة، والكافرات دخلت في الكوافر، أمّا المؤمنون والمؤمنات فليس هناك جمع قلة وكثرة. ونحن مضطرون أنْ نقول: المنافقون والمنافقات، لكنا لسنا مضطرين لقول: الكافرين والكافرات.

(الكوافر) جمع كافرة تحديداً، وهو جمع تكسير جمع كثرة، جمع (ساجد) ساجدون وسُجّد وسجود، وهذا ما ورد في اللغة العربية. (ميّت) جمعها موتى وأموات وميّتون، لكنّ (مسلم) جمعها مسلمون وليس عندنا اختيار. ويقول العرب: إنْ لم يكن جمع آخر فالجمع السالم يدل على الكثرة والقلة، وهذا نص.

السؤال الثاني :

ما الكفر؟ وما أنواعه؟

الجواب :

الكفر: هو نقيض الإيمان. والكفر على أربعة أنواع :

١ـ كفر إنكار: بأنْ لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به ويكفر بقلبه وبلسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾[البقرة:٦] أي الذين كفروا بتوحيد الله.

٢ـ كفر جحود: فهو يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩﴾[البقرة:٨٩].

٣ـ كفر معاندة: فهو يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه، ولا يَدين به حسداً وبغياً ككفر أبي جهل، أو يأبى أن يقبل ككفر أبي طالب.

٤ـ كفر نفاق: فهو يقر بلسانه ويكفر بقلبه.

السؤال الثالث :

هل تتعدد الجموع في العربية؟

الجواب :

الجموع في العربية على نوعين: جمع سالم وجمع تكسير. وجمع التكسير له أوزان كثيرة تبلغ سبعة وعشرين وزناً.

وقد يكون للاسم الواحد عدة جموع نحو: كافر وكفار وكفرة وكافرين وساجد وسُجد وساجدين وسجود، وقد استعمل القرآن الجموع المختلفة.

وأهم أسباب اختلاف أوزان الجموع :

أـ اختلاف لغات العرب.

ب ـ اختلاف المعنى، فالعرب على الأغلب تستعمل (الأسرى) للذين في اليد و(أسارى) للذين في وثاق، كما تستعمل (الكفّار) في جمع الكافر المضاد للإيمان، و (كفرة) في جمع كافر النعمة.

ج ـ القلة والكثرة.

وللعلم فقد وردت في القرآن الكريم كلمة (الكافرون) بالرفع ٣٦ مرة وكلمة (الكافرين) ٩٣ مرة وكلمة (الكفار) ١٩مرة و كلمة (كوافر) مرة واحدة فقط، ولم يأت في القرآن الكريم لفظ (كافرات).

و(كوافر) هي جمع تكسير على وزن (فواعل) نحو طوائف وعواصف وشوارع، وهي صيغة منتهى الجموع وأوزانها عديدة تصل إلى (١٧) صيغة وأشهرها سبعة، وهي:

أفاعل نحو: أكابر وأفاضل وأعاظم.

أفاعيل نحو: أناشيد وأباريق وأغاريد.

فعائل نحو: رسائل وصحائف وعجائب.

مفاعل نحو: مذاهب ومساجد و مدارس.

مفاعيل نحو: مفاتيح ومناديل و مصابيح.

فواعل نحو: جواهر وعواصف وكوافر.

فعاليل نحو: قناديل وعصافير و فوانيس.

السؤال الرابع :

من الناحية اللغوية ما الفرق بين جمع (كافرة) على (كافرات) و(كوافر)؟

الجواب :

١ ـ الأصل في الصفات أنْ تجمع جمعاً سالماً، والجمع السالم يدل على القلة في الجوامد، وأمّا في الصفات فالأصل فيه أنْ يدل على الحدث وجمع الصفات جمعاً سالماً يقربها من الفعلية، بينما تكسيرها، أي جمع التكسير، يبعدها من الفعلية إلى الاسمية.

٢ـ الجمع السالم يجري مجرى علامة الجمع من الفعل، فقولك: يقومون ويضربون، أشبه بقولك: قائمون وضاربون. فالواو للجمع في الفعل والجمع السالم.

٣ـ جاء في (شرح الرضي على الشافية) :[اعلم أنّ الأصل في الصفات أنْ لا تكسّر لمشابهتها الأفعال وعملها، فيلحق للجمع بأواخرها ما يلحق بأواخر الفعل وهو الواو والنون ويتبعه الألف والتاء لأنه فرعه. .. ثم إنهم مع هذا كله كسّروا بعض الصفات لكونها أسماء كالجوامد، وإنْ شابهت الفعل].

*** شواهد قرآنية :**

أ ـ ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾...﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾. ..﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾.

أي الذين يحفظون حدود الله ويحفظون فروجهم، ولم يقل: والحفّاظ أو الحفظة؛ وذلك لأنّ التكسير يبعدها عن الحدث.

ب ـ ﴿وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ و(خازنين) تفيد الفعلية بخلاف: خزنة فإنها لا تدل على الفعل وإنما تدل على الاسم، إذ هو اسم لصنف من الملائكة الموكلين في النار، كما في قوله تعالى :

ـ ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ [الزُّمَر:٧٣] و ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾[غافر:٤٩].

ج ـ ﴿وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّخرُف:٣٠] و ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ﴾ [الروم:٨].

ولم يقل: (بلقاء ربهم لكفّار أو كفرة)؛ لأنّ في (كافرون) معنى الحدث فتعلق به الجار والمجرور أكثر من عشر مرات في القرآن الكريم لقرب هذا الجمع من الفعلية، ولم يتعلق مرة واحدة بالكفار أو الكفرة مع ترددهما في اثنتين وعشرين مرة في القرآن الكريم.

د ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ ، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ .

وقد وردت كلمة (رواسي) تسع مرات كلها بمعنى الجبال، بينما لم ترد كلمة (راسيات) إلا مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾[سبأ:١٣].

فلمّا أراد الاسمية جمعها جمع تكسير، ولمّا أراد الحدث جمعها جمعاً سالماً.

هـ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾[الانفطار:١٠-١١].

لم يقل: (كتبة) أو (كُتاب) أو (حفظة)؛ لأنه أراد الصفة أو الحدث، أي كونهم حافظين، كونهم كراماً، كونهم كاتبين. أي هم راسخون في تلك الصفات، ولم يُرِد الملائكة بعينهم كاسم صنف.

وـ وكذلك نجد في القرآن الكريم أيضاً أنه إذا أراد إبراز الحدث استعمل (الكافرون) كجمع سالم، وإذا أراد الاسمية استعمل (كفّار) كجمع تكسير كما في آية الممتحنة ١٠.

٤ـ ورد في القرآن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ولم يرد مطلقاً أنّ الله لا يحب الكفرة أو الظلمة أو الفسقة؛ وذلك لأنّ الله تعالى لا يحب فعل تلك الصفات من الكفر والظلم والفسق، فاستعمل جمع السالم ولم يستعمل جمع التكسير؛ لأنه لم يرد الاسمية، وإنما أراد الفعل.

٥ـ وردت كلمة (الكفّار) في القرآن الكريم ١٩ مرة بجمع التكسير وهي تدل على الاسمية لا على الحدث، أي اسم لصنف الأشخاص لا على صفتهم، نحو قوله تعالى :

ـ ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ ـ ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ ـ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ـ ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[المطفّفين:٣٦].

٦ـ لم يرد في القرآن الكريم مطلقاً (جاهد الكافرين)، وإنما ورد ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ لأنّ الجهاد قتال مع أشخاص لا مع صفات.

٧ـ ونظير ذلك قوله تعالى في سورة عبس: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾[عبس:٤٢].

٨ـ ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ [النبأ:٣٣] فإنّ (كواعب) جمع (كاعب) ولم يقل: (كاعبات)؛ لأنه أراد الاسمية لا الحدث، لأنّ المؤمن يتزوج ذاتاً أي امرأة لا صفة.

٩ـ كذلك قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [التوبة:٨٧] فإنّ (الخوالف) جمع (خالفة) والأصل أن يقول: (خالفون) جمع (خالف)؛ لأنّ الخوالف جمع خالفة، ولم يقل: (خالفات)؛ لأنه لا توجد خالفات تخلفن عن الجيش كما فعل بعض الرجال.

ولمّا كان المقصود من الآية تشبيه المتخلفين بالنساء- حيث إنهم بقوا في المدينة ولم يخرجوا للجهاد - استعمل جمع التكسير (الخوالف)؛ لأنه أراد الاسمية لا الحدث.

١٠ـ وهنا في الآية دلت كلمة ﴿الْكَوَافِرِ﴾ على الاسمية أي على اسم صنف النساء من هذا النوع حيث تتحدث عن توقف عقد الزواج معهن، والزواج يكون مع النساء كذوات وليس مع صفاتهن.

والله أعلم.

السؤال الخامس :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾؟ ولِمَ لم يؤكد بإنّ بعد الفعل (علم)؟

الجواب :

لم يقل مثلاً: (فإنْ علمتم أنهن مؤمنات)؛ لأنّ الإيمان أمر قلبي لا يطلع على حقيقته إلا الله تعالى؛ ولذلك قال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ فاكتفى بالأمارات والدلالات الظاهرة التي تدل على الإيمان، ولم يؤكده بالحرف (أنَّ)؛ لأنه لا سبيل إلى اليقين القاطع.

والفعل (علم) يفيد اليقين، وهو من أفعال اليقين، لكنّ العلم درجات. ومعنى الآية: أي كان بعد الامتحان والاختبار الذي هو أحد درجات العلم.

السؤال السادس :

لماذا ذكّر الفعل ﴿جَآءَكُمُ﴾ مع أنّ الحديث عن المؤمنات؟

الجواب :

١ـ النحويون يقولون: إنّ الجموع مؤنثة تأنيثاً مجازياً وليس حقيقياً ولذلك يجوز معها التذكير والتأنيث. تقول: جاء الرجال وجاءت الرجال وحضر النساء وحضرت النساء.

٢ـ الآية تتحدث عن هجرة المؤمنات من مكة إلى المدينة بعد صلح الحديبية ليلتحقن بالرسول عليه السلام في المدينة.

والهجرة عمل شاق وجهاد أصيل، وهذه الأعمال من مهام الرجال عادة لأنها تتفق مع طبيعتهم وتكوينهم، بينما النساء فإنهن غالباً يؤثرن الراحة والدعة، قال الشاعر:

كُتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرُّ الذيول

والمؤمنات خالفن هذا وفضلن المشقة والتعب، وقمن بالهجرة واقتحمن الأخطار، وصبرن على الألم والحر انتصاراً لدينهن وطلباً لمرضاة ربهن.

فالجو جو رجولة وجهاد وتحمل، فناسب أنْ يكون الفعل بالتذكير وكأنّ الرجولة قد انعكست على الفعل فقلبت تأنيثه إلى تذكير.

٣ـ وهو من باب التغليب للذكور.

والله أعلم.

السؤال السابع :

لماذا قال بالصيغة الاسمية: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ وقال بالفعل: ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ولم يجعلها على نسق واحد؟

الجواب :

الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتغير، فعبّر عن المؤمنات بالاسم؛ لأنّ الحكم لا يتغير بالنسبة إليهن ولا يجوز منهن التغيير وعبّر عن الكفار بالفعل؛ لأن الحكم يتغير بتغيرهم بأنْ يسلموا.

والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

كيف يذكر ويؤنث جمع التكسير في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

القاعدة هي :

١ ـ أنه يجوز تذكير وتأنيث جمع التكسير.

٢ ـ يؤنث الفعل مع الكثرة ويذكر مع القلة.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ حاشية امرأة العزيز عدد محدود، فذكّر.

ـ ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ الحجرات ١٤. الأعراب كُثُر، فأنث.

ـ ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ﴾ آل عمران ١٨٣.هم مجموعة محدودة من رسل بني إسرائيل، فذكّر مع العدد المحدود.

ـ ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا﴾ الأعراف ٥٣. الرسل المذكورون هم جميع الرسل وهم أكثر من سابقتها، فأنّث.

ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ البقرة ١١٣. اليهود كُثُر وكذلك النصارى، فأنّث.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ الممتحنة ١٢تندرج هذه الآية في سياق الكثرة والقلة، وفي سياق زيادة الفواصل أيضاً.

والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الممتحنة مع خواتيمها :

قال سبحانه في أول السورة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة:١]. . . . إلى أنْ يقول: ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾.

وقال في آخرها :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ

﴿١٣﴾ ﴾[الممتحنة:١٣].

فكأنهما آيتان متتاليتان.

والله أعلم.

سورة الصفّ

أولاً ـ تناسب خواتيم الممتحنة مع فواتح الصف

١ ـ قال سبحانه في خواتيم الممتحنة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الممتحنة:١٢].

وقال في أول الصف :

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف:٣].

فلا يصح أنْ يبايعوا على شيء ولا يفعلوه.

٢ ـ قال في خاتمة الممتحنة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الممتحنة:١٣].

وقال في أول الصف :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ [الصف:٤].

فعليهم أنْ يجاهدوهم ويقاتلوهم لا أنْ يتولوهم.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لآخر السورة قبلها أنّ في آخر تلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[الممتحنة:١٣] فاقتضى ذلك إثبات العداوة بينهم، فحضّ تعالى على الثبات إذا لقي المؤمنون في الحرب أعداءهم)).

ثانياً ـ هدف السورة : أهمية وحدة المسلمين :

من اسمها فيها دعوة للصفّ والوحدة والتراصّ في سبيل الله، وفيها آيات تدل على المزيد من الانتماء، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾[الصف:٤]، وآيات تدل على العكس: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[الصف:٨] وتختم السورة بسيدنا عيسى ودعوته إلى الحواريين أنْ ينتموا إلى الإسلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[الصف:١٤] فالانتماء حتى عند سيدنا عيسى والحواريين، والدين ليس محصوراً بالصلاة والصوم والعبادة، وإنما هو الانتماء للدين أيضاً.

❋❋❋❋

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة :

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى ﴿سَبَّحَ﴾ما معنى كلمة التسبيح؟ وهل له أنواع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١ .

السؤال الثاني :

﴿سَبَّحَ﴾ يستخدمه القرآن متعدياً بنفسه مرة أو بحرف جرّ مرة أخرى فهل هناك من فرق بياني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١ .

السؤال الثالث :

يقول تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومرة يقول: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الصف:١] فهل هناك فارق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١ .

السؤال الرابع :

ما القواعد العامة في تكرار اسم الموصول مع آيات التسبيح؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١ .

السؤال الخامس :

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ بصيغة الماضي وفي بعض السور: ﴿يُسَبِّحُ﴾ بصيغة المضارع، فهل هذا مقصود بذاته؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال السادس :

ما دلالة تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال السابع :

لماذا قدم السموات على الأرض؟

الجواب :

من الذي كان يسبح سابقاً؟ أأهل السماء أو أهل الأرض؟ بالطبع أهل السماء؛ لأنّ أهل الأرض لم يكونوا موجودين أصلاً، بينما أهل السماء موجودون قبل أنْ يخلق آدم، فبدأ بمن هو أسبق تسبيحاً، وبمن هو أدوم تسبيحاً ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:٢٠] ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٨] فبدأ بأهل السماء لأنهم أسبق في التسبيح قبل خلق آدم، ولأنهم أدوم تسبيحاً، وأدوم في هذه العبادة.

السؤال الثامن :

ما سبب ذكر وحذف ﴿مَا﴾ في بدايات سورة الحديد و في سورة الصف واختلاف صيغة الفعل (سبح) بصيغة الماضي في سورة الحشر والحديد والصف، وجاء(يسبح) في صيغة المضارع كما في سورة الجمعة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحشر ١.

السؤال التاسع :

ما الفرق بين ﴿مَا﴾ و (من) في الاستخدام اللغوي؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

❁❁❁❁

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أخرج الكلام مخرجاً عاماً، وإنْ كان السببُ في هذا التقريع خاصة فإنه لم يقل: لم تقولون كذا وكذا بل جعله عاماً، ولو ذكر الأمر الخاص الذي نزلت بسببه لكان يُظن أنّ الإنكار بسبب ذاك الأمر لا بغيره.

وللعلم فقد ذُكر أنّ جماعة من المؤمنين قالوا: لو كنا نعلم أحب الأعمال إلى الله لبادرنا إليه، فلمّا كتب عليهم القتال كرهوا ذلك أو نكلوا عنه.

٢ـ وسواء كان ذلك سبب النزول أو غيره، فإنّ ذلك الوصف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢﴾[الصف:٢] وصف ممقوت ويندرج فيمن يقول ما لا يفعل. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ يقال: (كَبِر الرجل)، بكسر الباء للكبر في السن وللأمور المادية ويقال: (كَبُر الأمر) بضم الباء للأمور المعنوية. والكبر ههنا في الآية غير مادي فقال بالضم ويكون التعبير خبرياً.

٢ـ وفيه احتمال آخر، وهو أنّ الفعل محوّل إلى (فُعُل) بضم العين لقصد التعجب أي ما أكبره مقتاً، أو بقصد الذم.

٣ـ ﴿مَقۡتًا﴾: يحتمل أنْ يكون تمييزاً مفسراً لفاعل محذوف تقديره: كبر المقت مقتاً، ويكون المصدر المؤول بعده: أن تقولوا، بدلاً لقصد الإيضاح بعد الإبهام.

ويحتمل أنْ يكون الفاعل هو المصدر المؤول، و(مقتاً) تمييز.

٤ـ التعبير: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ اجتمع فيه :

أـ احتمال الخبر على أصل التعبير.

ب ـ احتمال التحويل إلى صيغة (فَعُل) سواء بقصد التعجب أو بقصد الذم.

ج ـ استعمال المقت دون البغض، والمقت أشد البغض.

د ـ يحتمل تحويل الفاعل إلى تمييز لقصد المبالغة.

هـ ـ يحتمل إضمار الفاعل وتفسيره بالتمييز لقصد الإيضاح بعد الإبهام.

و ـ وصفه بالكبر.

ز ـ زاد هذا الوصف بغضاً بقوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ فإنّ المبغوض عند الله هو أسوأ ما يبغض.

فجعل هذا التعبير ممقوتاً من كل وجه.

٥ـ قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ ولم يقل: (قولكم) بالمصدر الصريح؛ لأنّ: (قولكم) يحتمل أنّ ذلك وقع مرة واحدة فيكون المقت الكبير لما حصل لمرة واحدة، وليس هذا بمراد.

فأراد أنْ يبين أنّ هذا المقت الكبير عند الله يكون إذا تكرر حصول ذلك فجاء بالفعل الدال على التجدد والاستمرار.

السؤال الثاني :

لماذا لم يذكر فعل المقت في الآية ٣ فيقول :(يمقت)، كما قال: ﴿يُحِبُّ﴾ في الآية التي تليها؟

الجواب:

١ـ لم يجعل المقت للفاعل كما في الآية ٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ وإنما جعل المقت للفعل والحب للفاعل؛ وذلك لأنّ الله تعالى خاطب أصحاب الوصف الممقوت بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فلو قال بعدها مثلاً: إنّ الله يمقت الذين يقولون ما لا يفعلون، لأفضى ذلك إلى مقت الذين آمنوا الذين خوطبوا بذلك، والله لا يمقت الذين آمنوا بل يحبهم ولكنه يمقت هذا الوصف، فنزههم عن أنْ يمقتهم ربهم، وكفى بذلك إكراماً للمؤمن.

في حين قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ فجعل الحب للفاعلين بسبب فعلهم فأحب الفعل والفاعلين.

٢ـ لم يجعل الآية الرابعة على نسق الآية الثالثة، فلم يقل مثلاً: إنّ الله يحب الذين يفعلون ما يقولون؛ وذلك أنّ الله يحب الأفعال التي أرادها ربنا وارتضاها لنا، ولا يحب كل فعل أياً كان ذلك الفعل فإنه ليس الأمر على الإطلاق، والله لا يحب مثلاً الذي يقول: بأنه سيفعل سوءاً ثم يفعله بل عليه أن ينتهي عنه حتى لو أقسم على فعله.

ولذا لا يصح هذا القول على إطلاقه.

والله أعلم.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر قصة موسى عليه السلام ليتأسى رسول الله ﷺ؛ وذلك أنّ قوم موسى آذوه مع علمهم أنه رسول الله إليهم.

وفيها أيضاً تحذير لمن يزيغ عن طريق الحق ولا يتبع رسول الله ﷺ أنْ يزيغ الله قلبه كما فعل مع أصحاب موسى.

٢ـ قال لهم موسى عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ استصراخاً لداعي القربى واستثارة للمودة لتليين قلوبهم.

ومن الملاحظ في القرآن الكريم أنّ موسى يستعمل معهم ﴿يَٰقَوْمِ﴾ إذا كان الموقف يتطلب إثارة حميتهم وتليين قلوبهم أو كان في مقام تذكيرهم بنعم الله عليهم، كما في آيات المائدة [٢٠ـ٢١] في قوله تعالى :

ـ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ

أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة:٢٠-٢١] فذكرهم بنعمة النبوة والملك فيهم؛ ليستثير حميتهم لدخول الأرض المقدسة، فقال: ﴿يَٰقَوْمِ﴾.

وإذا كان في موقف تقريع وذم وتذكيرهم بما يسؤوهم لم يقل: (يا قوم) كما في آية إبراهيم رقم ٦، وهي قوله تعالى :

ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ [إبراهيم:٦] فذكّرهم بأيام ذلتهم عند فرعون، وكيف كان يسومهم سوء العذاب، والإنسان لا يعتز بالانتساب إلى القوم الأذلاء.

وفرق كبير بين النعمتين في الآيتين، فتلك نعمة العزة والملك والأخرى نعمة النجاة من الذلة، فوضع النداء حيث كان أحق به.

وكذلك ما جاء في آية البقرة ٦٧ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ﴾ . ...ـ فلم يقل لهم (ياقوم) وهم في موقف الذم والتقريع فهم قد قتلوا نفساً فادارؤوا فيها، فأراد الله أنْ يستخرج القاتل مما لا يشرف قوماً ذكره فلم يقل: يا قوم.

وقد تقول: لقد ذكر ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في آية البقرة ٥٤، ولم يذكرها في آية الأعراف ١٥٠؛ والسبب في ذلك أنّ السياق والمقام مختلف، فإنّ ما في الأعراف كان في وقت الحدث وفي شدة الغضب، وأمّا آية البقرة فإنها تذكر ما وقع بعد الحدث بمدة وبعد هدوء الغضب ودعوتهم للتوبة، بل إنها وقعت بعد ما عفا الله عنهم، كما في الآية [٥١ـ ٥٢] في قوله

تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾[البقرة:٥١-٥٢].

٣ـ قال: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ ولم يقل: آذيتموني، للدلالة على استمرار الأذى له عليه السلام.

٤ـ قوله: ﴿إِلَيْكُم﴾ في قوله: ﴿أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ دل على أنّ رسالة موسى عليه السلام ليست عامة للبشر، وإنما هي لبني إسرائيل، وهذا شأن الرسل قبل سيدنا محمد عليه السلام.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ فكان جزاء وفاقاً بسبب زيغهم فإن الله لا يظلم أحداً.

٦ـ اختار في ختام الآية وصفهم بالفسق؛ لأنه هو المناسب، ذلك أنّ معنى: (فسق) هو الخروج عن الطريق الحق، وأصلها من فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها، وهم قد خرجوا عن الطريق الحق ومالوا عنه فكان وصفهم بالفسق أنسب.

والله أعلم.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا لم يقل عيسى عليه السلام: (ياقوم) كما قال موسى عليه السلام في الآية السابقة؟

الجواب:

لم يقل في عيسى :(وإذ قال عيسى لقومه) كما قال في موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ﴾ بل قال: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وذلك أنّ عيسى عليه السلام لم يكن له فيهم نسب فيكونوا قومه؛ إذ لم يكن له فيهم أب بخلاف موسى.

وهكذا لا تجد في كل القرآن (وإذ قال عيسى لقومه)، بل (يا بني إسرائيل).

السؤال الثاني:

جاءت لفظة ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ ﷺ في آية آل عمران ١٤٤، وجاءت لفظة ﴿أَحْمَدُ﴾ في آية الصف ٦، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

كلاهما مشتق من الحمد، لكنْ لكل لفظ دلالته البلاغية:

١ـ لفظة ﴿أَحْمَدُ﴾ جاءت على صيغة اسم التفضيل (أفعل) من اسم الفاعل (حامد) الذي وقع منه فعل الحمد، فكان (حامد) .

وفي لفظة (أحمد) زاد في أداء الحمد عن (حامد) فكان (أحمد).

٢ـ لفظة (محمّد) على وزن صيغة (مفعّل) بزيادة التضعيف على صيغة اسم المفعول (محمود) من (حمد) الذي وصف بالحمد، فكان محموداً.

وعلى هذا فإنّ صيغة التضعيف تحمل في ثناياها زيادة في معنى الحمد.

وزيادة المبنى فيها دلالة على زيادة المعنى.

٣ـ إنّ اسم (أحمد) قد جسّد حمد الله مراراً، وهذا استشعار لفضل المنعم وأداء حقوقه بالقلب واللسان والجوارح.

بينما تضمن اسم (محمد) طاقة مكثفة من حمد الناس وثنائهم عليه تحقيقاً لما وصفه به ربه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤] فكأنّ الله تعالى قد جمع في اسمي [محمد وأحمد] صفتي المجاهدة والاصطفاء؛ ولذلك وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها: **(كان خلقه القرآن)**.

صلى الله عليك يارسول الله.

السؤال الثالث :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ نسب عيسى عليه السلام إلى أمه؛ ليدل على أنه ليس ابن الله كما يقول النصارى.

٢ـ لم يقل لهم عيسى عليه السلام (يا قوم) كما قال موسى عليه السلام لأنه ليس له نسب فيهم فيكونون قومه، ولم يرد في القرآن مطلقاً أن ناداهم: (يا قوم) بل: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

٣ـ قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم﴾ خصّ رسالته بهم؛ ليدل أنّ رسالته لبني إسرائيل خاصة.

٤ ـ قوله: ﴿مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ هو تصديق بنبوة موسى، وقوله: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ﴾ هو تبشير بالنبي الخاتم سيدنا محمد عليه السلام ومن أسمائه (أحمد).

٥ـ جاء بقوله: ﴿مُّصَدِّقٗا﴾ و ﴿وَمُبَشِّرَۢا﴾ منصوبين على الحال والعامل فيهما هو (رسول الله)، فدلّ على أنّ هذين من أمور الرسالة التي أُرسل بها ولو قالهما بالرفع لأفاد أنه أخبر عن نفسه بذلك.

٦ـ قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِي﴾ ولم يقل (بعدي) ليدل على أنه ليس بينهما نبي وذلك لأنّ (من) تفيد ابتداء الغاية في البعدية، وأمّا (بعد) من دون (من) فتحتمل البعدية القريبة والبعيدة.

٧ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾ يحتمل أنْ يكون المقصود به عيسى عليه السلام، كما يحتمل أنْ يكون المقصود به محمداً عليه السلام، فإنّ قوم عيسى وكذلك قوم محمد ﷺ قالوا: القول نفسه.

٨ـ جاء في البحر المحيط: الظاهر أنّ الضمير المرفوع في ﴿جَآءَهُم﴾ يعود على عيسى؛ لأنه المحدث عنه، وقيل يعود على أحمد.

٩ـ ذُكرت في آيات هذه السورة من مطلعها حتى هذه الآية ثلاثة أقوام :

أـ من آمن من قوم محمد، وهو قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

ب ـ قوم موسى.

ج ـ المكذبون من قوم موسى أو قوم محمد عليهما السلام.

ورتبهم بحسب الإيمان والطاعة، فالأولون أفضلهم، ثم قوم موسى، ثم من كفر. وهذا يتناسب أيضاً مع المسبحين، فبدأ بذكر المسبحين في السماوات والأرض، ثم بمن يسبحونه في الأرض طوعاً وهم المؤمنون بمحمد عليه السلام، فهم يسبحون الله في صلواتهم وأدبار السجود وفي غير ذلك من الأوقات، ثم انتقل إلى قوم أقل تسبيحاً وهم قوم موسى عليه السلام.

والله أعلم.

❀❀❀❀

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام كلمة ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ معرّفة في سورة الصف وقد وردت نكرة في مواضع أخرى؟

الجواب :

قال تعالى في سورة الصفّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الصف:٧]. التعريف في النحو هو ما دلّ على شيء معيّن (إزالة الاشتراك عن الشيء) أمّا التنكير فهو عام.

والآيات القرآنية التي وردت كلمة ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ فيها بالتعريف هي آيات خاصة بأمر معين، أمّا التي وردت فيها كلمة (كذب) بالتنكير فهي تتعلق بأمر عام.

ومثال ذلك في استخدام كلمة ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ بالتعريف في القرآن قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [آل عمران:٩٣-٩٤] فالكذب هنا متعلق بالمسألة في الآية.

أمّا في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ [الكهف:١٥] فليس هناك أمر خاص، وإنما هو أمر عام؛ لذا جاءت كلمة (كذب) بالتنكير.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ إنما كانوا أظلم الناس؛ لأنهم ظلموا الرسول عليه السلام بنسبته إلى ما ليس فيه؛ إذ قالوا: هو ساحر، وظلموا أنفسهم إذ لم يتوخوا لها النجاة وظلموا الناس بحملهم على التكذيب، وظلموهم بإخفاء الأخبار التي جاءت في التوراة والإنجيل.

٢ـ قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ فأخرجه مخرج الاستفهام، ولم يقل: ولا أظلم ممن افترى، أو نحو ذلك والسبب ليشارك السامع بالإجابة، وليقرر بنفسه أنْ لا أظلم ممن افترى على الله الكذب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ⑦﴾ فجعل نفي الهداية ختاماً للآية لأنه قال: ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ أي يدعى إلى الهدى، فناسب نفي الهداية.

السؤال الثالث :

أكد نفي الهداية بـ ﴿إِنَّ﴾ في آية الأنعام ١٤٤ ولم يؤكده في آية الصف٧ فلماذا؟

الجواب :

١ـ لأنه زاد على آية الصف ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فاقتضى ذلك زيادة تأكيد نفي الهداية لهؤلاء الذين يضلون الناس بغير علم.

٢ـ عرّف ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ في آية الصف، وهو متعلق بصفة النبي عليه السلام والتبشير به فعرّفه، ونكّره في آية الأنعام؛ لأنهم يفترون على الله كذباً في أمور كثيرة وليس في أمر معين، فاقتضى ذلك تأكيد نفي الهداية.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما سبب الاختلاف بين الآيتين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة:٣٢] و ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف:٨]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ٣٢.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ هذا تهكم بهم فمثّل تكذيبهم وإخفاءهم صفة النبي محمد عليه السلام وإنكارهم الحق الذي جاء به وقولهم إنه سحر مبين بمن ينفخ نور الشمس بفمه ليطفئها.

٢ـ قال: ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ ليدل على أنّ ما جاء به محمد إنما هو نوره سبحانه ليهدي به الخلق.

٣ـ اللام في ﴿لِيُطْفِـُٔواْ﴾ إمّا للتوكيد أو للتعليل، ولم يذكر اللام في آية التوبة ٣٢ حيث قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ وللتعرف على الجواب انظر آية التوبة ٣٢.

٤ـ جاء في ختام الآية باسم الفاعل الدال على الثبوت فقال: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ بمعنى أنّ الأمر ثبت واستقر، في حين قال في التوبة ٣٢: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ فجاء بالفعل المضارع المسبوق بأنْ التي تنص على الاستقبال فكان ما في آية الصف آكد.

٥ـ قال: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ ليدل على الصورة المضحكة، فهم لم ينفخوا بآلة ذات دفع قوي لعلّهم يطفئون نور الله بل بأفواههم.

وقد أنجز الله ما وعد وأتم نوره رغم أنف الكافرين.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أضاف الرسول إلى ضميره وذلك لتكريمه، والناس عادة يحمون من يضافون إليهم وينصرونهم، فكيف بالله وقد أضافه إلى نفسه سبحانه؟

٢ـ قدّم الهدى على دين الحق؛ لأنه مدعاة إلى قبول دين الحق وأضاف (الدين) إلى (الحق) فقال: ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾.

وهذه الإضافة جرت في القرآن الكريم على سبيل الاطراد حيث اجتمعت الكلمتان، ولم يصف الدين بالحق إلا إذا أضافه إلى كلمة أخرى كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾[النور:٢٥] والدين في آية النور بمعنى الجزاء والحساب، وهو غير معنى الدين في آية الصف.

وإضافة الدين إلى الحق تؤدي أكثر من معنى :

أ ـ الحق من أسماء الله الحسنى، ولمّا كان الله هو الحق كان دينه حقاً أيضاً.

ب ـ الحق نقيض الباطل، وبالتالي هو دين الحق وليس دين الباطل.

ج ـ هو دين الله، وهو دين الحق، وهو الدين الحق.

السؤال الثاني :

ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ ولِمَ لم يقل (الكافرون) مثلاً؟

الجواب :

١ ـ أنّ الكافر يمثل الظلمة، فلمّا قال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ كان ذلك كفراً بالمعنى اللغوي، فناسب ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ .

٢ ـ الكفر أعم من الشرك، فكل كافر مشرك وليس كل مشرك كافراً والنور أعم من الرسول والدين، فجعل العام بمقابل العام والخاص بمقابل الخاص، فلمّا ذكر النور ذكر في مقابله الكفر، ولمّا ذكر الرسول والدين ذكر مقابله الشرك.

٣ـ الجدول التالي يبين تناسب التعبير بين الآيتين ٨ و ٩.

الآية ٨	الآية ٩	التعليق
﴿لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾	﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾	النور إزاء الهدى
﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾	﴿رَسُولَهُۥ﴾	الإضافة متشابهة
﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾	﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾	إتمام النصر

٤ـ قال في الصف ٩ والتوبة ٣٣ ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ ولم يقل ذلك في آية الفتح ٢٨ وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨﴾ [الفتح:٢٨].

والسبب أنه لم يذكر في آية الفتح محادة للمشركين ولا محاربتهم كما ذكر في سياق آيتي الصف والتوبة كافر فلم يقتض ذلك أنْ يقول: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ في الفتح كما قال في السورتين.

وقد ذكر قبل آية الفتح الوعد بدخول المسجد الحرام آمنين بالاتفاق بين الرسول عليه السلام والمشركين في صلح الحديبية، فلم يقتض قول: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ الآية فيها خطاب للذين آمنوا بأسلوب التشويق وبها يدل على تكريم الله للمؤمنين.

٢ـ قال: ﴿أَدُلُّكُمْ﴾ بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه وذكر المفعول به الضمير في (أدلكم) وهذان الأمران يدلان على الاهتمام بأمر المؤمنين فالقائل هو الله، والذي عرض الأمر على المؤمنين هو الله سبحانه.

٣ـ قال: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ بالاستفهام الدال على التشويق.

٤ـ قال: ﴿أَدُلُّكُمْ﴾ فقيد الفعل بضمير المخاطبين؛ ليفيد أنّ الدلالة مختصة بهم.

٥ـ قال: ﴿تُنجِيكُم﴾ بالتخفيف للدلالة على سرعة الإنجاء، وقيّد الإنجاء بضمير المخاطبين للدلالة على حب الخير لهم.

٦ـ قال: ﴿مِّنْ عَذَابٍ﴾ فنكّر العذاب؛ ليشمل كل أنواعه.

٧ـ قال: ﴿أَلِيمٍ﴾ ليشمل كل مؤلم منه.

٨ـ أطلق العذاب؛ ليشمل عذاب الدنيا والآخرة.

والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة حرف الاستفهام (هل) في الآية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الرحمن ٦٠.

﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ فسّر التجارة بأمرين، وهما: الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس.

والأول يبعث على الطمأنينة والرضا بقضاء الله و ينجي من العذاب النفسي والباطني، وأمّا الآخر وهو الجهاد فهو ينجي من العذاب الظاهر فإنّ الشعوب التي لا تجاهد شعوب خائفة مستضعفة، فدلّ ذلك على أنّ هذه التجارة تنجي من العذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

٢ـ قال: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ولم يقل: أنْ تؤمنوا؛ وذلك لأنّ (أنْ) تفيد الاستقبال فلو ذكرها لكان يعني أنّ طلب الإيمان إنما يكون في المستقبل، مع أنّ الإيمان ينبغي أن يكون في الحال.

٣ـ قوله: ﴿تُؤۡمِنُونَ﴾ يفيد الطلب بمعنى: آمنوا، وعَدَلَ عن الأمر الصريح إلى الخبر للدلالة على أنهم كأنهم امتثلوا لما أمرهم به.

ويدل على أنّ هذا الفعل بمعنى الطلب قوله: ﴿يَغۡفِرۡ﴾المجزوم كأنه جواب الطلب.

٤ـ وقد تقول: ولكنْ تقدم الطلب، وهو الاستفهام ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ﴾ فكيف جاز إجابته بالجزم؟ !

والجواب: إنّ المعنى يأبى ذلك، فإنّ الدلالة على التجارة لا تستلزم المغفرة وإدخال الجنة، وإلا دخل كل الناس الجنة؛ لأنهم دُلّوا بوسيلة من الوسائل وإنما الذي يفضي إلى الجنة والنصر هو الطاعة.

ولذلك جيء به على لفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال، فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ﴾ [الصف:١١] ذكر في سبيل الله لأنّ كل جهاد في غير سبيله باطل.

٦ـ قدّم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ على الأموال والأنفس؛ لأنه أهم منهما هنا.

٧ـ قد تقول: إنّ القرآن قدّم الأموال والأنفس على قوله:

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في مواطن أخرى، كما في آية الأنفال ٧٢ وآية الحجرات ١٥ فلم ذاك؟

والجواب: أنّ ذلك بحسب ما يقتضيه السياق، فإذا كان السياق في جمع وحفظ الأموال يبدأ بطلب التضحية به، وإذا كان السياق في القتال وليس في الأموال يقدّم (في سبيل الله) على الأموال.

٨ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١﴾ معناه أنّ الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس خير من إيثار الراحة والقعود بالرغم من أنّ القتال مكرّه إلى النفوس، ولكنْ في هذا المكروه الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

٩ـ قال: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ولم يقل: (ذلك)؛ لأنه أراد أنّ الخير للأمة جميعها وليس لفرد أو فئة وعلى سبيل الدوام.

١٠ـ وقد تقول: ولكن القرآن استعمل (ذلك) في آية المجادلة ١٢، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾[المجادلة:١٢] فما الفرق؟

والجواب: أنّ المخاطبين بآية الجهاد هم عموم المؤمنين إلى يوم القيامة والجهاد أشمل وأعم، ويشمل الغني والفقير، كما قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾[التوبة:٤١] بخلاف آية تقديم الصدقة عند مناجاة الرسول عليه السلام فإنها تخص الأغنياء فقط، إضافة إلى أنّ آية تقديم الصدقة قد نسخت بعد ذلك بمدة وجيزة وانتهى حكمها.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[الصف:١١] بدون (الباء) مثلما جاءت مع (الباء) في آية سورة التوبة ٥٤ ﴿بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحجرات١٥.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قال: ﴿يَغْفِرْ﴾ بالجزم؛ ليدل على أنّ ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ طلب، وليس إخباراً.

٢ـ قال: ﴿ذُنُوبَكُمْ﴾ ولم يقل: (من ذنوبكم)؛ ليدل على غفران الذنوب كلها لا بعضها.

٣ـ قال: ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وتلك عاقبة من يُغفر له ذنبه.

٤ـ قوله: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ فوصف المساكن بأنها طيبة، وإنما خصصت المساكن بالذكر؛لأنّ في الجهاد مفارقة مساكِنِهم فوُعدوا على تلك المفارقة بمساكن أبدية.

٥ـ قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ﴾ تعني الإقامة والبقاء، والإنسان بطبعه يحب الحياة ويؤثر البقاء ويكره القتال؛ لأنه مظنة مفارقة الحياة، فذكر أنّ المجاهد إنما هو ذاهب إلى مساكن أطيب من مسكنه في دار البقاء، فهو إذن يجاهد للبقاء والإقامة الطيبة.

٦ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ هذا هو الفوز الثاني بعد الفوز الأول وهو النجاة من النار.

وقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ﴾ ولم يقل: (ذلك فوز) للدلالة على قصر الفوز عليه وأنّ ما عداه ليس بفوز.

ووصفه بالعظيم للدلالة على عظمة الفوز.

السؤال الثاني :

ما سبب زيادة (هو) في ختام آية التوبة (١١١) فقال: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ بخلاف آية الصف(١٢) بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ ؟

الجواب :

قال هنا: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ وقال في آية التوبة ١١١ :﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ بزيادة ضمير الفصل الذي يفيد التوكيد، والسبب يتضح بعد دراسة الجدول التالي :

مسلسل	آية الصف ١١- ١٢	آية التوبة ١١١
١	﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾
٢	﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾	﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾
٣	﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾
٤	-	﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾

النتائج :

١ـ جاء بالصيغة الاسمية في آية التوبة فوصفهم بأنهم مؤمنون، وجاء بالصيغة الفعلية في آية الصف، والاسمية أثبت وأقوى من الفعلية.

٢ـ ذكر في التوبة أنّ الله اشترى من المؤمنين الأنفس والأموال ولم يبق لهم مال ولا نفس. وأمّا في آية الصف فهم يجاهدون بها ولم يذكر أنهم باعوها.

٣ـ قال في التوبة: ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾ وفي الصف: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ﴾ والمقاتلة مظنة القتل، وأمّا الجهاد فهو عام ومنه القتال.

٤ ـ ذكر في التوبة: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ ولم يذكر مثل ذلك في الصف.

٥ـ قدّم في التوبة في صفقة الشراء الأنفس على الأموال، والأنفس أغلى من المال فباعوا أنفسهم أولاً ثم أتبعوها بالمال.

ولذلك كانت التضحية في التوبة أعلى مما في الصف، والفوز إنما يكون على قدر التضحية، فلمّا زادوا في التضحية زاد لهم في الفوز وأكده بـ (هو).

والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ و ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾؟

الجواب:

١ـ (من) تبعيضية، أي بعض الذنوب، وبدونها معناه أنه يغفر لكم الذنوب جميعاً.

٢ـ لم يرد في القرآن كله ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ إلا مع أمة الرسول ﷺ إكراماً له ولأمته.

أمّا التعبير ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ فعام ولبقية الرسل عليهم السلام.

٣ـ ورد التعبير بدون ﴿مِّن﴾ ثلاث مرات في القرآن [آل عمران ٣١ـ الأحزاب ١٧ـ الصف ١٢].

وورد التعبير مع وجود ﴿مِّن﴾ ثلاث مرات أيضاً [إبراهيم ١٠ـ الأحقاف ٣١ـ نوح ٤].

والله أعلم.

﴿ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أي ونعمة محبوبة عندكم وهي النصر من الله والفتح القريب. ومعنى هذا أنّ النصر لا يأتي من دون جهاد.

٢ـ قوله: ﴿تُحِبُّونَهَاۖ﴾ تتناسب مع قوله تعالى في أول السورة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ فكأنه قال: افعلوا ما يحبه الله يعطكم ما تحبون من النصر والفتح القريب.

٣ـ قوله: ﴿تُحِبُّونَهَاۖ﴾ فلم يقل: هل أدلكم على تجارة تحبونها؛ لأنّ في بعض هذه التجارة كرهاً وهو القتال، فكأنه قال: أطيعوا الله فيما يحب وتكرهون يعطكم ما تحبون.

٤ـ قوله: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ دل على أنّ النصر إنما هو من الله وليس بجهادكم وعدّتكم.

٥ـ قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ لقد أمر الله رسوله أنْ يبشر المؤمنين بالنصر والفتح القريب، ولم يجعل البشارة داخلة في جواب الشرط، وإنما هي أمر بالتبليغ لما هو حاصل، وقد حصل ما بشر به فدلّ على صدقه ﷺ.

والله أعلم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ بعد أنْ شوقهم لذكر التجارة وهو من باب الأمر والتكليف، وليس من باب الاختيار والمندوب.

وفي قوله: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ طلب للفعل وليس طلباً للقول، وهذا مناسب لتأنيبه لمن قال ولم يفعل في أول السورة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾هو على لسان سيدنا عيسى عليه السلام وله معنيان:

أ ـ أنا أنصر الله وأنصر دينه، فمن معي في نصرة دين الله؟

ب ـ إنّ الله ينصرني ويؤيدني، فمن يكون معي في نصرة الله إياي؟

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ جمع المعنيين السابقين.

٤ـ إنّ الذي قال للحواريين: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ﴾ هو عيسى عليه السلام، وأمّا القائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾فهو الله؛ ليدل ذلك على عظم التبليغ للمؤمنين وأهميته.

٥ـ المراد من قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي نحن أنصار دين الله وأنصار أنبيائه؛ لأنّ نصرة الله تعالى في الحقيقة مُحال.

وقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي فيما يقرب إلى الله، وهو كما يقال: (اللهم منك وإليك).

٦ـ قوله تعالى على لسانهم: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ ولم يقولوا: (نحن أنصارك). لأنّ الصيغة الأخيرة متعلقة بوجوده، فإذا ذهب انفضوا. ولم يقولوا: (سنكون أنصار الله)، بل قالوا: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي نحن أنصاره الآن. ولذلك قال: ﴿فَأَيَّدۡنَا﴾ وذلك لأنهم قاموا بالنصرة فعلاً فاستحقوا التأييد، وجاء بالفاء الدالة على التعقيب، ولم يقل: (ثم أيدنا) الدالة على التراخي.

لذلك فإنّ الصيغة الأولى ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ تدل على الإطلاق، أي أنهم مع نصرة دين الله، سواء كان عيسى عليه السلام موجوداً أم غير موجود.

٧ـ قال: ﴿فَأَيَّدۡنَا﴾ بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه؛ ليدل على أنّ التأييد منه سبحانه فقط.

والتأييد يحتمل أمرين: التأييد بالحجة، أي فأصبحوا ظاهرين في حجتهم ويحتمل التأييد بالسيف والغلبة.

٨ـ وعيسى عليه السلام لم يسألهم: من أنصار الله؟ بل سألهم ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لأنهم كلهم سيقولون ذلك بالإيجاب.

٩ـ قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ تفيد من يضيف نصرته إلى نصرة الله إياي، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ أي مضمومة إلى أموالكم.

وفي الحديث كان ﷺ يقول إذا ضحّى: **(اللهم منك وإليك)** أي تقرباً إليك.

وقال الحسن: تقدير الآية: من أنصاري في سبيل الله، وإلى بمعنى: (في) جائز.

١٠ـ الحواري أصله من الحور، وهو شدة البياض، والحواريون كانوا أنصار عيسى عليه السلام وأعوانه والمخلصين في حبه، وقيل: كانوا قصارين يبيضون الثياب، وقيل لأنّ قلوبهم كانت نقية طاهرة فسموا بذلك مدحاً لهم.

١١ـ لقد طلب الله من المؤمنين عامة على مر الزمان أنْ يكونوا كالحواريين؛ ولذا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ولم يقل: يا أصحاب محمد، ولم يقل: كونوا أنصار محمد؛ وذلك ليشمل الطلب عموم المؤمنين، ولئلا ترتبط النصرة بشخص النبي محمد عليه السلام.

١٢ـ قول عيسى: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلماح إلى أنّ رسالته منقطعة، فإنه أضاف الأنصار إليه، وهذا يدل على أنه بعد توفيه ستنقطع نصرته.

وأمّا قول الله للمؤمنين: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ فيدل على أنّ الرسالة دائمة غير منقطعة؛ لأنّ الإضافة إلى الله لا إلى شخص معين.

١٣ـ قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ متناسب مع النداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فدخلوا في التأييد.

١٤ـ ثم إنّ بشارة المسلمين أعظم، فإنه قال في أتباع عيسى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ فخصّ ذلك بالتأييد على العدو، وقال في المسلمين: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ وإظهار الدين إنما يكون بظهور معتنقيه وزاد لهم النصر والفتح القريب.

١٥ـ من الملاحظ أنّ عيسى لم يعد أتباعه بشيء، وقد وعد الله المؤمنين بالنصر والفتح القريب.

١٦ ـ طلبُ عيسى النصرةَ في هذه الآية ونسبته إلى أمه في مكان آخر من السورة يدل على أنّ عيسى عليه السلام بشر وليس ابناً لله. تعالى الله عن ذلك.

١٧ـ ابتدأت السورة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ واختتمت بقوله: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ مما يدل على أنّ عاقبة الجهاد تأييد الله ونصره، فارتبط أول السورة بآخرها أحسن ارتباط.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

هل قالوا فعلاً هذا الكلام؟

الجواب :

هم لم يتكلموا العربية فربنا نقل عنهم معنى الكلام تماماً بأسلوبه المعجز كما قالوا، وكذلك حينما نقل عن فرعون نقل الكلام الذي يريده فرعون لكنْ بأسلوب معجز وتعبير أدبي. هذا ما حدث بالفعل، لكنّ الله تعالى نقله لنا بأسلوب معجز.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الصف مع خواتيمها :

قال سبحانه في أول السورة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤ ﴾[الصف: ٢ - ٤].

وقال في آخرها:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ ﴾[الصف: ١٠ - ١١]. . . ﴿ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾[الصف: ١٣ - ١٤]. . . .

فالسياق في نصرة المؤمنين لدينهم وجهادهم وقتالهم في سبيل الله في البدء والختام.

والله أعلم.

سورة الجمعة

أولاً ـ تناسب خواتيم الصف مع فواتح الجمعة :

١ ـ قال سبحانه في خاتمة سورة الصف :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[الصف:١٤].

وقال في أول الجمعة :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة:٢]. فما ذكره في آية الصف إنما هو من تعليم الله لهم في كتابه.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر تأييد من آمن على أعدائهم؛ أي قوله تعالى ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[الصف:١٤]. أتبعه بذكر التنزيه لله تعالى وسعة ملكه وتقديسه وذكر ما أنعم به على أمة محمد ﷺ من بعثته إليهم وتلاوته عليهم كتابه وتزكيتهم، فصارت أمته غالبة سائر الأمم، قاهرة لها منتشرة الدعوة، كما انتشرت دعوة الحواريين في زمانهم)).

٢ ـ قال في أواخر الصف :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الصف:١٠-١١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾[الصف:١٤].

وقال في الجمعة :

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الجمعة:٦-٧].

فالمسلمون يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

والذين هادوا لا يتمنون الموت ويفرون منه.

٣ ـ وقد ذم بني إسرائيل في الصف والجمعة.

فقال في الصف :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف:٥].

وقال في الجمعة :

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة:٥].

ثانياً ـ هدف السورة :الوحدة والجماعة رمز الانتماء.

السورة رمز الوحدة والانتماء واجتماع المؤمنين. وقد حدد ذلك أهداف صلاة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:٢] فالرسول يتلو آيات الله ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وهذه الأهداف هي التي يجب أنْ تكون عليها صلاة الجمعة.

الجمعة هو يوم وحدة الأمة ويوم تذكرة الأمة، وهذا من ضمن الانتماء للإسلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [الجمعة:٩] وقد جاء في السورة ذكر اليهود الذين لم يتتموا: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾ [الجمعة:٥].

❁❁❁❁

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية فى السورة :

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى ﴿سَبَّحَ﴾ ما معنى كلمة التسبيح؟ وهل له أنواع؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الثاني :

﴿سَبَّحَ﴾ يستخدمه القرآن متعدياً بنفسه مرة أو بحرف جرّ مرة أخرى فهل هناك من فرق بياني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الثالث :

يقول تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ومرة يقول: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ فهل هناك فارق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الرابع :

ما القواعد العامة في تكرار اسم الموصول مع آيات التسبيح؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الخامس :

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ بصيغة الماضي وفي بعض السور ﴿يُسَبِّحُ﴾ بصيغة المضارع، فهل هذا مقصود بذاته؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال السادس :

ما دلالة تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال السابع :

لماذا قدم السموات على الأرض؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحديد ١.

السؤال الثامن :

ما سبب ذكر وحذف ﴿مَا﴾ في بدايات سورة الحديد و في سورة الصف واختلاف صيغة الفعل سبح بصيغة الماضي في سورة الحشر والحديد والصف وجاء (يسبح) في صيغة المضارع، كما في سورة الجمعة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحشر ١.

السؤال التاسع :

ما دلالة استعمال ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في سورة الجمعة؟

الجواب :

توجد ظاهرة في آيات التسبيح في القرآن كله. إذا كرّر ﴿مَا﴾ فالكلام بعدها يكون عن أهل الأرض، وإذا لم يكرر ﴿مَا﴾ فالكلام ليس عن أهل الأرض، وإنما عن شيء آخر.

في سورة الحشر وكذلك في سورة الصفّ وفي سورة الجمعة نجد: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ وفي سورة التغابن.

السؤال العاشر :

ما دلالة أنه ورد التسبيح بالصيغة الفعلية كثيراً مع الاستغفار، كما في آيتي الأنبياء ٢٠ والجمعة ١؟

الجواب :

لم يرد التسبيح بالصيغة الوصفية الاسمية إلا في آيتين :

أ- في وصف النبي يونس عليه السلام في سورةالصافات ١٤٣: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤] بمعنى أنه كان هذا وصفه الثابت فنجا؛ لأنه كان من أصحاب هذا الوصف، والصيغة الاسمية إشارة إلى أنّ مداومة التسبيح تخلّص من الكروب والمكاره في وقت الشدة.

ب- في صفة الملائكة في الصافات ١٦٦: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ أي هذه صفتهم والتسبيح صفة ثابتة لهم، كما قال الله: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

❊❊❊❊

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين البعث والإرسال؟

الجواب :

١ـ (البعث) فيه معنى الإرسال، تقول: بعثت شخصاً، فيه معنى الإرسال، لكنْ في (بعث) أيضاً معاني غير الإرسال، وغير أنْ ترسل رسولاً تحمّله رسالة لطرف آخر.

٢ـ (البعث) قد يكون فيه إرسال، وقد يكون فيه معان أخرى غير الإرسال، أي هو إرسال وزيادة. فمثلاً (يبعث الموتى) ليس بمعنى إرسال ولكن بمعنى: يقيمهم، والبعث فيه إثارة (إنّ للفتنة بعثات)، وفيه تهييج. وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ﴾[البقرة:٢٤٧] أي أقامه منكم.

ولذلك فإنّ البعث يستعمل فيما هو أشد.

* شواهد قرآنية:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾[يونس:٧٥].

ـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾[المؤمنون:٤٥-٤٦] الآيتان لهما نفس الدلالة لكنّ واحدة في (يونس) وجاء معها (بعثنا) والأخرى في (المؤمنون)، واستعمل معها كلمة (أرسلنا).

لو قرأنا الآيات في سورة يونس نجد أنه كانت المحاجة شديدة بين موسى وفرعون وإيذاء لبني إسرائيل[الآيات٧٧ـ٧٨] ثم موسى عليه السلام دعا على فرعون (٨٨) وهذا كله في يونس.

أمّا في سورة المؤمنون فهي عبارة عن أربع آيات فقط [٤٥ـ٤٨] ثم انتهت القصة في المؤمنون، بينما في يونس هناك كلام طويل وفيه قوة ودعاء عليهم فقال: (بعثنا). وفي المؤمنون قال: (أرسلنا).

ب ـ جاء في القرآن الكريم عن الرسول عليه السلام قوله تعالى :

. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:٢]. هذه فيها عمل للرسول عليه السلام: [يتلو ـ يزكي ـ يعلم]، فقال (بعث).

. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة:٣٣] الله تعالى يظهر على الدين كله، ولم يذكر عملاً للرسول، فقال (أرسل).

. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح:٢٨] الله تعالى يظهر على الدين كله،ولم يذكر عملاً للرسول، فقال (أرسل).

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصف:٩-١٠]. الله تعالى يظهر على الدين كله، ولم يذكر عملاً للرسول، فقال (أرسل).

ج ـ ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾[الإسراء:٥] هذه فيها قوة وقسوة وعمل، فاستعمل (بعثنا).

فالبعث هو أشد من (الإرسال) وفيه حركة وأمّا الإرسال فلا، والبعث هو الإرسال وزيادة.

السؤال الثاني :

قال في آل عمران (١٦٤): ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ و قال في الجمعة(٢): ﴿مِّنْهُمْ﴾ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٦٤.

❁❁❁❁

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة بناء الفعل للمجهول (حُمّلوا) في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾؟

الجواب :

١ـ القرآن الكريم يستعمل التعبير (أوتوا الكتاب) وكذلك مثلما ورد في هذه الآية: ﴿حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ في مقام الذم، ويستعمل (آتيناهم الكتاب) في مقام المدح.

وهذا خط عام في القرآن على كثرة ما ورد من (أوتوا الكتاب) و(آتيناهم الكتاب). والقرآن الكريم له خصوصية خاصة في استخدام المفردات، وإن لم تجرِ في سنن العربية. والفعل (أوتوا) في العربية لا يأتي في مقام الذم وإنما هذا خاص بالقرآن الكريم.

٢ـ عموماً إذا كان التفضل فيه خير فإن الله تعالى ينسبه لنفسه: ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وكذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[فاطر:٣٢] فهذا مدح.

أمّا ما فيه ذم فينسبه للمجهول، كما في الآيات: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة:٥]، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ [الشورى:١٤]

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

في هذه الآية كأنّ الحق يقول: لا تكونوا مثل الحمار الذي يكتفي من الخير أنْ يحمله، ولكنْ أريد منكم أنْ تحملوا المنهج وأنْ تنتفعوا بما يحويه من التشريع.

وهذه الأمثلة في القرآن الكريم ليست ذماً للحمار أو للكلب، إنما ذمٌ لمن يتشبه بهما؛ لأنه نزل إلى مرتبة لم يرده الله لها، وأراد الله المثل فيها بشيء لا تذم منه، ولكنه مذموم من الإنسان.

❁❁❁❁

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآيات التي فيها ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ والآيات التي فيها ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾؟

الجواب :

١ـ الآيات التي فيها الفعل ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ ليس فيها كسب، ولم يرد فيها كسب.

* شواهد قرآنية :

البقرة ٩٥ـ النساء ٦٢ـ القصص٤٧ـ الروم٢٦ـ الشورى ٤٨ـ الجمعة ٧.

٢ـ آيات الكسب نحو: ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ يسبقها شيء يدل على الكسب والكسب هنا هو الكسب غير المشروع.

*** شواهد قرآنية :**

البقرة ٢٢٥ـ الأنعام ٧٠ـ الرعد ٣٣ـ الروم٤١ـ غافر١٧ـ الشورى ٣٠ـ الجاثية ٢٢ـ المدثر ٣٨ـ

فمثلاً في آية الشورى ٣٠ ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾[الشورى:٣٠].

وسبقها في الآية ٢٧ قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾﴾[الشورى:٢٧] وبسط الرزق يدل على الكسب.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

نفى التمني في آية الجمعة٧ بـ [لا] فقال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ﴾ ونفاه في آية البقرة ٩٥ بـ [لن] فقال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ﴾، فما السبب؟

الجواب :

السبب هو اختلاف سياق الآيتين :

١ـ قال في الجمعة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾[الجمعة:٦-٧].

وقال في البقرة: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ٩٤ - ٩٥].

فأنت ترى الفرق واضحاً بين السياقين، فالكلام في آية البقرة عن الآخرة، والدار الآخرة للاستقبال فنفى بـ[لن]؛ إذ هو حرفٌ خاصٌّ بالاستقبال.

وأما الكلام في آية الجمعة فهو عام لا يختص بزمن دون زمن: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ [الجمعة:٦] فهذا أمر مطلق فنفى بـ [لا]، وهو حرف يفيد الإطلاق والعموم.

٢ـ من ناحية ثانية أنه لمّا كان الزمنُ في آية الجمعة عاماً مطلقاً غير مقيد نفاه بـ [لا] التي آخرها حرف إطلاق، وهو الألف، ولمّا كان الزمن مقيداً في آية البقرة للاستقبال وهو زمنٌ مقيد نفاه بـ[لن] التي آخرها حرف مقيد وهو النون الساكنة، وهو تناظر فني جميل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ذكر يوم الجمعة والسبت دون باقي الأيام في القرآن؟

الجواب :

١ـ هناك يومان في الأسبوع ذكرا في القرآن بالاسم وهما الجمعة والسبت، بينما باقي أيام الأسبوع – وهي خمسة – لم تذكر في القرآن بالاسم.

ونلاحظ أنّ يوم الجمعة لم يأخذ اشتقاقه من العدد كباقي أيام الأسبوع: الأحد من الواحد والاثنان منسوب إلى اثنين، وهكذا.

وكان من المفروض أن ينسب يوم الجمعة إلى ستة ولكنه لم ينسب فلماذا؟

لأنه اليوم الذي اجتمع فيه للكون نظام وجوده، فسماه الله سبحانه الجمعة وجعله لنا عيداً.

٢ـ والعيد هو اجتماع نعمة الله في إيجاد الكون وتمامها في ذلك اليوم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾[الحديد:٤] وكان تمام الخلق يوم الجمعة.

أما اليوم السابع وهو يوم السبت فمعناه القطع، وسبت يسبت سبتاً إذا انقطع عمله، وفي ذلك اليوم كان كل شيء قد استقر وفرغ من خلق الكون ولذلك قيل له سبات؛ لأن فيه سكوناً وانقطاعاً بعد تمام الخلق.

فلما أراد اليهود يوماً للراحة أعطاهم الله يوم السبت، وفيه تم ابتلاؤهم وامتحانهم بقضية الحيتان، كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأعراف:١٦٣].

لكنّ اليهود سقطوا في هذا الامتحان فصدر الحكم عليهم ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾[البقرة:٦٥] والإنسان إذا مسخ فإنه لا يتناسل وهؤلاء مسخوا ولم يتناسلوا حتى انقرضوا، ولو أنهم تناسلوا لتحمل الأبناء وزر آبائهم وهذا مرفوض عند الله لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ والمسخ أصاب جزءاً منهم وهم العاصون وليس جميعهم. وبقيت الأكثرية ليصل نسلها إلينا اليوم.

❁❁❁❁

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال [إذا و إنْ] في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ ـ إنْ :

تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع، أو المشكوك في حصولها، أو المستحيلة أو المفترضة :

* شواهد للمعاني المشكوك في حصولها: الأعراف ١٤٣.

* شواهد للمعاني المحتملة: البقرة ١٩١ـ المائدة ٦.

* شواهد للمعاني المستحيلة: الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣.

* شواهد للمعاني المفترضة: القصص ٧١.

٢ـ إذا:

تستعمل للمقطوع بحدوثه، والكثير الوقوع، كما في الآيات: البقرة ١٨٠ ـ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤.

* شواهد مشتركة تتضمن (إذا) و(إن) معاً:

[التوبة ٥ ـ البقرة ١٩٦ ـ البقرة ٢٣٩ ـ البقرة ٢٨٢ ـ النساء ٢٥ ـ البقرة ١٨٠].

❁❁❁❁

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

لم قدمت التجارة على اللهو أولاً فقال: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ وأخّرها عنه بعد فقال: ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة: ١١]؟

الجواب :

١ـ الجواب – والله أعلم – أنّ سبب تقديم التجارة على اللهو في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ أنها كانت سبب الانفضاض؛ ذلك أنه قدمت عير المدينة وكان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، وكان من عُرْفِهم أن يدخل بالطبل والدفوف والمعازف عند قدومها، فانفض الناس إليها ولم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزل الله قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً﴾.

فقدّمها؛ لأنها كانت سبب الانفضاض وليس اللهو، وإنما كان اللهو والضرب بالدفوف بسببها فقدّمها لذلك. ولهذا أفرد الضمير في ﴿إِلَيْهَا﴾ ولم يقل: (إليهما)؛ لأنهم في الحقيقة إنما انفضوا إلى التجارة، وكان قد مسهم شيء من غلاء الأسعار.

٢ـ وأمّا تقديم اللهو عليها فيما بعد في قوله: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ فذلك؛ لأنّ اللهو أعم من التجارة، فليس كل الناس يشتغلون في التجارة ولكنّ أكثرهم يلهون. فالفقراء والأغنياء يلهون، فكان اللهو أعم فقدّمه لذلك، إذ كان حكماً عاماً فقدّم التجارة في الحكم الخاص؛ لأنها في حادثة معينة، وقدّم اللهو في الحكم العام لأنه أعم.

وجاء في (روح المعاني): "واختار ضمير التجارة(إليها) دون اللهو لأنها الأهم المقصود..".

وتقديم اللهوفي الآية ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ ليس من تقديم العدم على الملكة كما توهم، بل لأنه أقوى مذمة، فناسب تقديمه في مقام الذم.

وقال ابن عطية: قُدمت التجارة على اللهو في الرؤية؛ لأنها أهم وأخرت مع التفضيل لتقع النفس أولاً على الأبين.

٣ـ وكرر (من) مع اللهو ومع التجارة، فقال: ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ ليؤذن باستقلال الأفضلية لكل واحد منهما، لئلا يتصور أنّ الذم إنما هو لاجتماع التجارة واللهو، فإنْ انفرد اللهو أو التجارة خرج من الذم، فأراد أنْ يبيّن ذم كل منهما على جهة الاستقلال؛ لئلا يتهاون في تقديم ما يرضي الله وتفضيله

فجاء بـ (من) ليؤذن باستقلال كل من اللهو والتجارة، وأنه ليس المقصود ذم الجميع بين الأمرين، بل ذم وتنقيص كل واحد منهما، بالنسبة إلى ما عند الله.

٤ـ وتأخير التجارة عن اللهو مناسب لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ فالتجارة من أسباب الرزق وليس اللهو، فوضعها بجنبه؛ ولأنّ العادة أنك إذا فاضلت بين أمور فإنك تبدأ بالأدنى، ثم ترقى. وأنك إذا بدأت بالأفضل انتفت الحاجة إلى ذكر من هو أدنى، فبدأ باللهو؛ لأنه ظاهر المذمة ثم ترقى إلى التجارة التي فيها كسب ومنفعة.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾[الجمعة:١١]؟ وما دلالة تقديم التجارة واللهو مرة وتأخيرها مرة أخرى؟

الجواب :

١ـ هذه الآية نزلت بينما كان الرسول ﷺ يخطب بعد صلاة الجمعة فجاءت العير بقافلة، وكانت سنة شديدة وغلاء في الأسعار فانفض الناس والرسول عليه السلام يخطب.

والتجارة كان يُضرَب لها بالدفوف إشعاراً بمجيئها فانفض معظم الناس وتركوا الخطبة، إذن التجارة التي كانت سبب الانفضاض وليس اللهو؛ لأنّ ضرب الدفوف كان بسبب التجارة وإشعاراً بأنها جاءت (اللهو هنا هو ضرب الدفوف)؛ ولذا قدّم التجارة في أولها ـ ﴿رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ لأن الانفضاض كان للتجارة. ومعناه: تركوا سماع الخطبة وذهبوا. هذا هو الأصل وكان تقديم التجارة؛ لأنها سبب الانفضاض.

٢ـ أمّا تقديم اللهو فيما بعد ﴿خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ﴾فالناس ليسوا كلهم عندهم تجارة واللهو أعم من التجارة. وأكثرهم يلهون لكن ليس أكثرهم يتاجر، فقدّم ما هو أعم ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾،

٣ـ كرر ﴿مِنَ﴾ في الآية ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾مع أنه يجوز لغة أنْ يقول: من اللهو والتجارة، لكنْ لماذا جاء بـ (من)؟

إذا جاء (من اللهو والتجارة) يحتمل أنه في اجتماعهما ذم، لكن يمكن أنْ يكون خير في تفرقهما، لكن لمّا قال: ﴿خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾فهذا يؤذن باستقلال الأفضلية لكل منهما إذا اجتمعا. كما نقول: (الأناة خير من التهور ومن العجلة) فهي خير من كل واحدة

على حدة، ولو قال:(خير من التهور والعجلة) تعني: إذا اجتمعا. فهي تفيد أنّ الخيرية من اللهو على جهة الاستقلال، ومن التجارة على جهة الاستقلال أيضاً، فإن اجتمعا زاد الأمر سوءاً.

٤ـ ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾ جعل الرزق بجانب التجارة؛ لأنّ التجارة من أسباب الرزق، وليس اللهو من أسباب الرزق.

وليس لائقاً ولا مناسباً أن يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾ بجانب اللهو وفي اللغة عادة تترقّى من الأدنى إلى الأعلى، فذكر الأدنى (اللهو) ثم الأعلى (التجارة). والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة الجمعة مع خواتيمها :

بدأت السورة بقوله سبحانه :

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾[الجمعة:١].

وقال في أواخرها :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾[الجمعة:٩].

والصلاة ذكر وتسبيح، وقد طلب منهم السعي إلى ذكر الله، فهو مناسب لتسبيح ما في السماوات وما في الأرض، والتسبيح ذكر.

وقال بعد ذلك: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠﴾[الجمعة:١٠].

فأمرهم بذكر الله كثيراً بعد الصلاة.

وهو مناسب لتسبيح ما في السماوات والأرض.

فناسب تسبيح المؤمنين وذكرهم لله تسبيح ما في السماوات والأرض والصلاة إنما هي ذكر وتسبيح. والله أعلم.

سورة المنافقون

أولاً ـ تناسب خواتيم الجمعة مع فواتح المنافقون :

١ ـ ذكر الله في سورة الجمعة الكافرين والمسلمين فقال في خاتمة الجمعة :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة:٩]... ٩ ـ ١١.

وذكر قبلها الكافرين: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة:٥].. ٥ ـ ٨.

وذكر المنافقين في أول سورة المنافقين، فقال :

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون:١].

فذكر الكافرين من أهل الكتاب، وذكر المؤمنين، وذكر المنافقين.

فجمع عموم المكلفين.

٢ ـ ذكر صفة متشابهة بين اليهود والمنافقين، وهي الجبن.

فقال في اليهود في الجمعة: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الجمعة:٦-٧].

وقال في المنافقين في أول سورة المنافقين: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾[المنافقون:٤].

٣ ـ قال في خاتمة الجمعة: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾[الجمعة:١١].

وقال في سورة المنافقين: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المنافقون:٧] فالذي له خزائن السماوات والأرض هو خير الرازقين.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبة هذه السورة لما قبلها أنه لمّا كان سبب الانفضاض عن سماع الخطبة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾[الجمعة:١١] ربما كان حاصلاً عن المنافقين، واتبعهم ناس كثير من المؤمنين في ذلك لسرورهم بالعير التي قدمت بالميرة إذ كان وقت مجاعة جاء ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان وأتبعه بقبائح أفعالهم وقولهم: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾[المنافقون:٧] إذ كانوا هم أصحاب أموال، والمهاجرون فقراء قد تركوا أموالهم ومتاجرهم وهاجروا لله تعالى)).

وجاء في (روح المعاني): ((وجه اتصالها أنّ سورة الجمعة ذُكر فيها المؤمنون، وهذه ذُكر فيها أضدادهم وهم المنافقون)).

ثانياً ـ هدف السورة : تحذير ما يفرق وحدة الصف.

تتكلم السورة عن صفات المنافقين: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾[المنافقون:١] ومن اللمسات البيانية في هذه الآية ورود: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾؛ لأنها لو لم ترد لكان المعنى أنّ الله تعالى يكذّب

المنافقين الذين شهدوا للرسول بالرسالة، وحاشا لله أنْ يشهد هذا، لكنه علم ما في نواياهم وما قصدوه من شهادتهم هذه. وجاء في السورة ذكر خمس عشرة صفة للمنافقين وهم يمنعون وحدة الصفّ.

وتختم الآيات بدعوة المؤمنين بعدم جعل الأولاد والأموال أداة تلهيهم عن انتمائهم لهذا الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون:٩] وفي هذا تقديم لما سيأتي بالتفصيل في السور الثلاثة اللاحقة (التغابن، التحريم، الطلاق).

❁❁❁❁

ثالثاً- من اللمسات البيانية في السورة :

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول :

مفعول الفعل (علِم)مفتوح الهمزة ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [المزّمل:٢٠] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الحاقة:٤٩] لكنْ ورد في بعض المواضع مكسور الهمزة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة:٤٢] ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يس:١٦] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] لماذا وردت عكس القاعدة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ٤٢.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

السؤال الذي يطرح نفسه في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾فيم كذب المنافقون؟

هل كذبوا في قولهم: إنك لرسول الله؟ لا، بل إنّ الحق قد أيّد هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾.

١ـ إنّ الله كذبهم عندما قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾لقد كذّبهم الله في شهادتهم، لا في المشهود به، وهو محمد رسول الله ﷺ.

إنّ الله تعالى يعلم أنّ محمداً رسوله المبعوث منه رحمة للعالمين، لكنّ الكذب كان في شهادتهم هم.

٢ـ إنّ كلام المنافقين مردود من الله. .. لماذا؟ لأنّ الشهادة تعني أنْ يواطىء اللسان القلب ويوافقه، وقولهم يمثل شهادة لا توافق قلوبهم وتعني كذبهم.

إذن فالتكذيب هو لشهادتهم، ومن هنا ندرك السر في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾.

إنّ الحق يؤكد الأمر المشهود به، وهو بعث محمد رسولاً من عند الحق.

وبعد ذلك يأتي لنا الحق بشهادته أنّ المنافقين كاذبون في قولهم: ﴿نَشۡهَدُ﴾ لأنّ الصدق أن تطابق النسبة الكلامية الواقع، وشهادة المنافق نسبة كلامية لا تطابق واقع نفسه، فهو لا يَصْدُقُ مع نفسه ولا يصدق مع الناس.

إنّ الكافر له صدق مع نفسه، أمّا المنافق فهو غير صادق مع نفسه وغير صادق مع ربه أيضاً.

❁❁❁❁

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ۝٥﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿لَوَّوۡاْ﴾ ما كلمات منظومة (ثنى ولوى)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١١٠.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ
خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن
رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية ٧: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ ثم قال بعده في الآية ٨ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون:٨]، فما السبب؟

الجواب :

١ـ في الآية ٧ لمّا قال المنافقون: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ﴾ ختم بأنهم ﴿لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ أي لا يفهمون أنّ الأرزاق على الله تعالى وأنّ منعهم ذلك لا يضرهم؛ لأنّ الله يرزقهم.

فلمّا كان الفكر في ذلك خفياً يحتاج إلى فكر وفهم قال: ﴿لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾.

٢ـ الآية ٨ قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ هو رد على عبد الله بن أبيّ ابن سلول حين قال: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ﴾ لأنّ ذلك يدل على عدم علمه أنّ العزة لله وللرسول، يعزّ من يشاء ويذل من يشاء، فمن الله العزة وهو معطيها لمن يشاء، وهذا من الأمور الظاهرة لمن عرف الله تعالى، فجهّلهم بقولهم ذلك مع ظهور الدليل.

السؤال الثاني :

قال في يونس ٦٥ وفاطر١٠ : ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وقال في المنافقون٨: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

أنّ العزة له تعالى جميعاً، وعزة الرسول والمؤمنين منه، وهو معطيها لهم، فعزتهم من عزته، فهو المختص بها وحده تعالى.

ولا تعارض بين الآيتين؛ لأنّ العزة في الأصل لله، وعزة الرسول عليه السلام من صلته بالله العزيز، وعزة المؤمنين من صلتهم بعزيز العزيز فهي عزة موصولة من الله تعالى لمن اعتز به.

وأول من اعتز بالله رسولُه ثم المؤمنون به.

❁❁❁❁

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

متى يكون استعمال (أو) و (لا) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾[المنافقون:٩] ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾[النور:٣١] ؟

الجواب :

١ـ الواو من حيث الحكم يسمونها مطلق الجمع، أمّا (أو) فلها معاني الإباحة والتخيير.

خـــيّر أَبِـــحْ قَسِّـــمْ بـــأو وأَبْهِـــمِ   واشـكُكْ وإضرابٌ بهـا أيضـاً نُمِـي

والواو فيها معانٍ كثيرة.

٢ـ (أو) فيها إباحة أو تخيير أو تقسيم.

أ ـ إباحة: نحو: جالسوا العلماء أو الزهاد، تبيح له أنْ يجالس هذا الصنف من الناس، جالس الفقهاء أو العلماء، صاحب فلاناً أو فلاناً. أي تبيح له في صحبة هؤلاء.

ب ـ قد تكون للتخيير، والتخيير لا يجيز الجمع إمّا هذا وإمّا هذا، بخلاف الإباحة "تزوج هنداً أو أختها" هذا تخيير، ولا يجوز الجمع بين الأختين.

٣ـ السؤال: لماذا جاء بـ (لا) في الآية: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ﴾؟

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ﴾فيها نهى عن الالتهاء على سبيل الاجتماع أو التفرّق، أي لا الأموال ولا الأولاد، ولو حذف (لا) تصير تعبيراً احتمالياً، يعني: لو أحدهما ألهاكم فلا بأس.

أمّا في الآية ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ [النور:٣١] هذه إباحة، وليست تخييراً.

السؤال الثاني :

ما اللمسات البيانية في آية سورة المنافقون ٩؟

الجواب :

لقد نهى الله في هذه عن الانشغال بأمر الأموال والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها، وكذلك الانشغال بأمر الأولاد إلى حد الغفلة عن ذكر الله وإيثار ذلك عليه، ومن يفعل ذلك كان خاسراً خسارة عظيمة.

هذا هو معنى الآية على وجه الإجمال، إلا أنّ هناك أسراراً تعبيرية تدعو إلى التأمل، منها:

١ـ أنه قال: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ﴾، ومعنى ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾: لا تشغلكم، وقد تقول: لماذا لم يقل: (لا تشغلكم)؟

والجواب: أنّ من الشغل ما هو محمود، فقد يكون شغلاً في حق كما جاء في الحديث: "**إنّ في الصلاة لشغلاً**" وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾[يس:٥٥] أمّا الإلهاء فمما لا خير فيه، وهو مذموم على وجه العموم، فاختار ما هو أحق بالنهي.

٢ـ لقد أسند الإلهاء إلى الأموال والأولاد، فقال: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ فقد نهى الأموال عن إلهاء المؤمن، والمراد في الحقيقة نهي المؤمن عن الالتهاء بما ذكر.

والمعنى: لا تلتهوا بالمال والأولاد عن ذكر الله، وهذا من باب النهي عن الشيء والمراد غيره، وهو كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان:٣٣] فقد نهى الحياة الدنيا أنْ تغرّ المؤمن والمراد نهي المؤمن عن الاغترار بالدنيا.

إنّ المنهي في اللغة: هو الفاعل، نحو قولك: (لا يضرب محمود خالداً) فـ(محمود) هو المنهي عن أن يضرب خالداً، ونحو قولك: (لا يسافر إبراهيم اليوم) فإبراهيم منهي عن

السفر. ونحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا ﴿١١﴾﴾ [الحجرات] فالقوم هم المنهيون وكذلك النساء، فالفاعل هو المنهي وليس المفعول به. والفاعل في الآية هو الأموال والأولاد، أمّا المخاطبون فمفعول به، فالمنهي إذن هو الأموال والأولاد، وهي منهية عن إلهاء المؤمن.

وقد تقول: ولِمَ لمْ يعبر بالتعبير الطبيعي فيقول: لا تلتهوا بالأموال والأولاد، على أصل المعنى؟

والجواب: أنّ في هذا العدول عدة فوائد:

أ ـ أنه نهى الأموال عن التعرض للمؤمن وإلهائه عن ذكر الله، فكأنه قال: أيتها الأموال لا تلهي المؤمن عن ذكري. فكأنّ الله يريد حماية المؤمن وذلك بنهي السبب عن أنْ يتعرض له، فكيف عن التعرض.

وفي هذا النهي مبالغة، إذ المراد نهي المؤمن، ولكنه بدأ بأصل المسألة وهي الأموال والأولاد فنهاها هي عن التعرض للمؤمن بما يلهيه، فقد جعل الله المؤمن كأنه مطلوب من قبل الأموال والأولاد، تسعى لإلهائه وفتنته فنهاها عن السعي لهذا الأمر؛ لينقطع سبب الالتهاء ويقمعه.

ب ـ أنّ فيه إهابة للمؤمن ألا يقع في شرك الأموال والأولاد بحيث تلهيه وهو غافل مسلوب الإرادة، فنسب الإلهاء ليأخذ المؤمن حذره منها، فكأنّ الأموال والأولاد ينصبون الشرك ليلهوه عن ذكر الله، فعليه أنْ يحذر من أنْ يقع فيه كما تقول: (لا يخدعك فلان)، فإنّ فيه إهابة لأخذ الحذر منه.

هذا بالإضافة إلى ما فيه من التعبير المجازي اللطيف، وهو إسناد الإلهاء إلى الأموال، فجعلها عاقلة مريدة تنصب الشرك لوقوع المؤمن في الفخ.

جاء في (روح المعاني): "والمراد بنهي الأموال وما بعدها نهي المخاطبين، وإنما وجه إليها للمبالغة؛ لأنها لقوة تسببها للهو وشدة مدخليتها فيه، جُعلت كأنها لاهية وقد نهيت عن اللهو، فالأصل: لا تلهوا بأموالكم. . إلخ. فالتجوز في الإسناد. وقيل: إنه تجوز بالسبب عن المسبب، كقوله: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ أي: لا تكونوا بحيث تلهيكم أموالكم".

وجاء في (تفسير البيضاوي): "توجيه النهي إليها للمبالغة".

٣ـ جاء بـ (لا) بعد حرف العطف، فقال: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ ولم يقل: (أموالكم وأولادكم)؛ ذلك أنّ كلاً من الأموال والأولاد داع من دواعي الإلهاء.

ولو قال: (أموالكم وأولادكم) لاحتمل أنّ النهي عن الجمع بينهما، فلو لم يجمع بينهما جاز، فلو انشغل بالمال وحده جاز، أو انشغل بالأولاد وحدهم جاز، وهو غير مراد؛ إذ المراد عدم الانشغال بأي واحد منهما على سبيل الانفراد أو الاجتماع.

٤ـ قدّم الأموال على الأولاد؛ لأنّ الأموال تلهي أكثر من الأولاد، فإنّ الانشغال فيها وفي تنميتها يستدعي وقتاً طويلاً، وقد ينشغل المرء بها عن أهله، فلا يراهم إلا لماماً؛ فقدّم الأموال لذلك.

٥ـ قدّم المفضول على الفاضل، فالأولاد أفضل من الأموال؛ لأنّ المال إنما يكون في خدمتهم ويترك لهم؛ وذلك لأكثر من سبب :

أ ـ أنّ المقام مقام إلهاء كما ذكرنا، فاستدعى تقديمها.

ب ـ أنّ المقام يقتضي ذلك من جهة أخرى، وهي أن هذا التقديم نظير التقديم في الآية اللاحقة من تقديم المفضول، وهو قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ فقدّم الصدقة على كونه من الصالحين.

ولّما قدم النهي عن الالتهاء بالمال قدّم الصدقة. والصدقة إنما هي إخراج للمال من اليد والقلب.

ولّما قال: ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ قال: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ لأنّ المنشغل عن الفرائض وذكر الله ليس من الصالحين، فهو تناظر جميل.

﴿لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ .. ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾.

﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ ..... ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾

والملاحظ أنه حيث اجتمع المال والولد في القرآن الكريم يقدّم المال على الولد إلا في موطن واحد، وذلك نحو قوله تعالى:

﴿شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا﴾ [الفتح:١١] وقوله: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الكهف:٤٦] وقوله: ﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾﴾ [المدّثر:١٢-١٣]، ونحو ذلك، لأنّ المال في هذه المواطن أدعى إلى التقديم؛ إمّا لأنّ الانشغال به أكثر كما ذكرنا، أو لأنه أدعى إلى الزينة والتفاخر، وما إلى ذلك من المواطن التي تقتضي تقديم الأموال.

أمّا الموطن الذي قدم فيه الولد على المال، فهو قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[التوبة:٢٤]؛ وذلك لأنّ المقام مقام حب. ولا شك أنّ المتقدمين من الأبناء والأزواج وغيرهم أحب إلى المرء من الأموال؛ لأنه إنما ينفق المال عليهم ويبقيه لهم بعد رحيله عن هذه الدار.

ثم لا تنس أنه قدّم مجموع القرابات من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة، ولا شك أنّ هؤلاء بمجموعهم أحب إلى المرء من المال. فالأبناء وحدهم أثقل في ميزان الآباء من الأموال، فكيف إذا اجتمع معهم ما اجتمع ممن يحب.

٦ـ قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ ولم يقل: (ومن تلهه تلك) فنسب الفعل إلى الشخص، لينال بذلك جزاءه ولئلا يفهم أنه ليس بمقدور الشخص الانصراف عن اللهو، وأنه غير مسؤول عن هذا الالتهاء.

فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ للدلالة على أنّ ذلك بمقدور، وأنّ هذا من فعله وكسبه. فالالتهاء ليس أمراً سلبياً، بل هو فعل يقوم به الشخص وينال جزاءه عليه.

٧ـ ثم انظر كيف جاء لذلك بالفعل المضارع فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ﴾ للدلالة على استمرار الحدث وتكرره، ولم يقل: (ومن فعل) بالماضي، ذلك لأنّ الالتهاء بالأموال والأولاد أمر يومي ومتكرر، ولذا عبّر عنه الفعل المضارع الذي يدل على التكرار والتطاول.

٨ـ ثم قال بعد ذلك: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ واختيار الخسران نهاية للآية أنسب شيء ههنا فإنه المناسب للالتهاء بالأموال والانشغال بها.

فإنّ الذي ينشغل بالمال إنما يريد الربح، ويريد تنمية ماله فقال له: إنّ هذا خسران وليس ربحاً حيث باع "العظيم الباقي بالحقير الفاني".

٩ـ ثم إنّ الإتيان بضمير الفصل ﴿هُمُ﴾ بين المبتدأ والخبر وتعريف ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ بأل، إنما يفيدان القصر والتأكيد، أي أنّ هؤلاء لا غيرهم هم الخاسرون حقاً. وهم أولى من يسمون خاسرين، فإنه لم يقل: (فأولئك خاسرون)، أو من الخاسرين ولو قال لأفاد أنّ خسارتهم قد تكون قليلة أو قد يشاركهم فيها غيرهم، بل قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ للدلالة على أنهم هم الخاسرون دون غيرهم وهم المتصفون بالخسارة إلى الحد الأقصى.

جاء في (روح المعاني): "وفي التعريف بالإشارة والحصر للخسران فيهم، وفي تكرير الإسناد وتوسيط ضمير الفصل ما لا يخفى من المبالغة".

١٠ـ اختار الإلهاء عن ذكر الله دون غيره من العبادات فلم يقل مثلاً: لا تلهكم عن الصلاة أو عن الجهاد أو عن غير ذلك من العبادات، ذلك أنّ ذكر الله يشمل جميع الفرائض، فكل عمل تعمله لا يكون لله إلا إذا كنت ذاكراً لله في نفسك أو على لسانك أو مستحضراً له في قلبك، والذكر قد يكون في اللسان، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف:٥٥] وقال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾ [طه:١٤] فذكر الله "عام في

الصلاة والثناء على الله تعالى بالتسبيح والتحميد وغير ذلك والدعاء وقال الحسن: "جميع الفرائض".

ولذلك كان الخسران كبيراً فهو متناسب مع عظم المعصية، والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما اللمسات البيانية في آية المنافقون ١٠ في قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾؟ لِمَ عطف بالجزم على النصب، فقال: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ بالنصب ثم قال: ﴿وَأَكُن﴾ بالجزم ولم يجعلها على نسق واحد؟

الجواب:

١ـ تبدأ الآية بقوله: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ وهذا الأمر بالإنفاق مقابل النهي عن الإنفاق على أصحاب رسول الله من المنافقين. فالمنافقون يقولون لأوليائهم: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾[المنافقون:٧] والله يقول لأوليائه: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ فانظر كيف قابل النهي بالأمر.

٢ـ قال: ﴿مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ فجاء بـ (من) الدالة على التبعيض، ولم يقل: (أنفقوا ما رزقناكم)، للدلالة على أنّ الإنفاق إنما يكون في قسم من المال ولا يشمل المال كله، فتستسهل النفوس التخلي عن قسم من المال، استجابة لأمر ربها بخلاف ما إذا سألها المال كله، فإنها تستعظم ذلك وتبخل به، قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾[محمد:٣٦-٣٧].

٣ـ أسند الرزق إلى نفسه، فقال: ﴿مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ للدلالة على أنّ هذا المال إنما هو من رزق الله سبحانه، ملّكه عباده، فتطيب النفوس لإخراج بعض ما رزقه الله، استجابة لأمر الله الرازق.

وهذا التعبير اللطيف مدعاة إلى الخروج عن الشح والاستجابة لأمر الله.

٤ـ ثم قال: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ فجاء بـ ﴿مِن﴾ ولم يقل: (قبل أن يأتي أحدكم الموت) إشارة إلى قرب الموت من الإنسان، وأنه على الإنسان أنْ يسابق الموت ويبادر بالعمل الصالح، فإنّ ﴿مِن﴾ هذه تفيد ابتداء الغاية الزمانية، ومعناه الزمن القريب من الموت بل المتصل به، وأنّ حذفها يفيد الوقت الذي هو قبل الموت سواء كان قريباً أم بعيداً، ويفيد إعطاء المهلة مع أنّ الأجل إذا جاء لا يمهل، فالمجيء بها يفيد طلب التعجيل بالتوبة والإنفاق؛ إذ كل ساعة تمر بالإنسان تحتمل أنْ تكون هي ساعة الموت وهي التي ذكرها بقوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ فانظر حسن التعبير ودقته.

٥- في قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ استخدم الفعل ﴿يَأْتِيَ﴾ بدل الفعل (جاء) في الآية، ومن الملاحظ أنّ الفعل (جاء) لم يرد أبداً في القرآن كله بصيغة المضارع ،أمّا بالنسبة للفعل (أتى) فقد استعمل مضارعاً واستعملت كل مشتقاته (آتيكم، مأتيا).

٦ـ ثم إنّنا نجد في الآية تقديم المفعول به على الفاعل؛ لأنه أهم، وهو المأمور والمنهي، وهو المحاسب وهو محور الخطاب، والموت يأتي في كل لحظة.

وقدّم المفعول به على الفاعل، فقال: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ ولم يقل: (يأتي الموتُ أحدَكم)؛ ذلك لأنّ المفعول به هو المهم ههنا، إذ هو المعني بالتوبة والصلاح، وهو المدعو للإنفاق، وهو المتحسر النادم إذا عاجله الموت.

فالعناية والاهتمام منصبان على المفعول الذي يأتيه الموت، وهو كل واحد منا.

٧ـ جاء بالفاء في قوله: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ﴾ ولم يأت بـ (ثم) أو(الواو)؛ ذلك لأنّ الفاء تفيد معنيين: السبب والعطف، في حين أنّ (ثم) أو (الواو) لا تفيد السبب، وإنما تفيد العطف وحده.

ومن ناحية أخرى، إنّ الفاء تفيد التعقيب بلا مهلة في حين أنّ (ثم) تفيد التراخي، والواو تفيد مطلق الجمع.

فجاء بالفاء لجمع معنيي السبب والعطف، أي أنّ الموت سبب لهذا الندم وطلب التأخير لما ينكشف له من سوء المنقلب والعياذ بالله.

ثم إنّ طلب التأخير يأتي رأساً بلا مهلة، ففي ساعة الموت وعند حضوره يطلب التأخير ليسلك سبيل الصالحين، ولو جاء بـ (ثم) لما أفاد ذاك، بل يفيد أنّ طلب ذاك إنما يكون بعد مهلة وتراخ، وكذلك (الواو) لا تفيد ما أفادته الفاء.

٨ـ ثم انظر كيف ناسب المجيء بالفاء الدالة على قصر الوقت مع حذف حرف النداء، فقال: ﴿رَبِّ﴾ ولم يقل: (يا رب)؛ لأنّ الوقت لم يعد يحتمل التضييع في الكلام فيأتي بـ (يا)، بل يريد أنْ يستعجل في طلبه، فيختصر من الكلام ما لا حاجة له به ليفرغ إلى مراده.

٩ـ جاء بـ ﴿لَوۡلَآ﴾ فقال: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ ولم يقل (لو أخرتني)؛ لأنّ (لولا) أشد في الطلب من (لو) وقائلها أكثر إلحاحاً من قائل: (لو)، فإنّ (لو) تكون للطلب برفق، وأما (لولا) فتكون للطلب بشدة وحث، ومعنى ذلك أنّ ما هو فيه يستدعي الإلحاح في الطلب، وأنْ يجأر به وأنْ يأتي بما هو من أشد أدوات الطلب قوة، كما أنها من أدوات التنديم وفيها تنديم للنفس على ما فرط، ولو جاء بـ (لو) لأفاد العرض الخفيف.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أنّ (لو) قد تفيد التمني، والتمني قد يكون ميئوساً منه، وليس لصاحبه فيه مطمع، نحو (لو يعود الميت إلى الحياة، فيخبر الناس بما هو فيه) في حين أنّ هذا القائل ليس متمنياً، بل هو طالب للعودة سائل لها، فلو جاء بـ (لو) لأفاد أنّ هذا من باب التمني الذي يتمناه الإنسان، ولا يرجو وقوعه كقول القائل:

ألا ليت الشباب يعود يوماً

والتمني قد يكون في حال العافية كما يكون في غيرها، في حين أنّ هذا طالب للتأخير وليس متمنياً.

١٠ـ جاء بالفعل الماضي بعد (لولا) فقال: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ ولم يقل: (لولا تؤخرني)؛ ذلك أنّ المحذور وقع، في حين أنّ الفعل المضارع قد يفيد أنّ الأمر لم يقع بعد، وأنّ في الأمر سعة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ﴾[الواقعة:٧٠] وقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٦﴾ [النمل:٤٦].

هذا علاوة على ما يفيد دخول (لولا) على الماضي من قوة الطلب وشدته، وإنْ كان مستقبل المعنى.

١١ـ ثم انظر كيف طلب مهلة قصيرة لإصلاح حاله، مع أنه كان يتقلب في الأرض من دون أدنى تفكير أو اهتمام بمآله في الآخرة، أو بالأوقات التي يضيعها هدراً من دون اكتراث، فقال: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ ولم يقل: (إلى أجل) فيحتمل القريب والبعيد، فطلب مهلة قصيرة وأجلاً قريباً لتدارك ما فات.

فانظر كيف جاء بالفاء الدالة على قصر الزمن بين إتيان الموت وطلب التأخير، وحذف (يا) النداء اختصاراً للزمن ليفرغ إلى طلبه، وجاء بـ(لولا) الدالة على الإلحاح في الطلب، كل ذلك ليحصل على مهلة قليلة ليصلح شأنه، فانظر أية إشارات هذه إلى هول ما هو فيه؟

١٢ـ وقد تقول: ولِمَ قال ههنا: ﴿أَخَّرْتَنِيٓ﴾ بالياء، وقال في سورة الإسراء: ﴿أَخَّرْتَنِ﴾ فحذف الياء واجتزأ بالكسرة؟

والجواب: أنّ المقام يوضح ذلك.

فقد قال في سورة الإسراء على لسان إبليس: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[الإسراء:٦٢].

وقال ههنا: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ وهنا نسأل: أي الطلبين يريده المتكلم لنفسه على وجه الحقيقة، وأيهما يعود بالنفع عليها ودفع الضرر

عنها، أهو قوله: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾ [المنافقون:١٠] أم قوله: ﴿لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾ [الإسراء:٦٢].

والجواب ظاهر، فإنّ طلب إبليس لا يريده من أجل نفسه، ولا لأنه محتاج إليه، وإنما يريده ليضل ذرية آدم. ثم إنّ هذا الطلب لا يعود عليه بنفع، ولا يدفع عنه ضراً وليست له مصلحة فيه، بل العكس هو الصحيح بخلاف الطلب الآخر، فإنه يريده لنفسه حقاً، وإنه لا شئ ألزم منه لمصلحته هو ودفع الضرر عنه.

فلمّا كان طلب التأخير لمصلحة الطالب حقاً، وأنه ابتغاه لنفسه على وجه الحقيقة أظهر الضمير، ولمّا كان طلب إبليس ليس من أجل نفسه ولا يعود عليها بالنفع حذف الضمير واجتزأ بالكسرة.

ثم في الحقيقة، إنّ كلام إبليس ليس طلباً، وإنما هو شرط دخل عليه القسم فقال: ﴿لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ﴾ فهو من باب الطلب الضمني، وليس من باب الطلب الصريح، وأمّا قوله: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ فهو طلب صريح ففرّق تبعاً لذلك بين التعبيرين، فصرّح بالضمير وأظهر نفسه في الطلب الصريح، وحذف الضمير واجتزأ بالإشارة إليه في الطلب غير الصريح. وهو تناظر جميل ففي الطلب الصريح صرح بالضمير، وفي الطلب غير الصريح لم يصرح بالضمير.

١٣ـ وهنا نأتي إلى السؤال، وهو: لِمَ عطف بالجزم على النصب، فقال: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ بالنصب، ثم قال ﴿وَأَكُن﴾ بالجزم ولم يجعلها على نسق واحد؟

والجواب: أنّ هذا مما يسميه النحاة (العطف على المعنى) وقد يسمى في غير القرآن (العطف على التوهم). ذلك أنّ (أصّدق) منصوب بعد فاء السببية، و(أكنْ) مجزوم على أنه جواب للطلب، والمعنى: إنْ أخرتني أكنْ من الصالحين، ونحو ذلك أنْ تقول: (هلا تدلني على بيتك أزرْك)، فـ: (أزرْك) مجزوم بجواب الطلب، والمعنى، إنْ تدلني على بيتك أزرْك، ولو جئت بفاء السبب لنصبت، فقلت: (هلا تدلني على بيتك فأزورَك)، وإنْ أسقطت الفاء وأردت معنى الشرط جزمت.

جاء في (البحر المحيط): "وقرأ جمهور السبعة (وأكنْ) مجزوماً. قال الزمخشري: (وأكنْ) مجزوماً على محل (فأصّدق) كأنه قيل: إنْ أخرتني أصّدق وأكن. وقال ابن عطية: عطفاً على الموضع؛ لأنّ التقدير: إنْ تؤخرني أصّدّق وأكن"

ففي الآية الكريمة جاء بالمعطوف عليه على إرادة معنى السبب، وجاء بالمعطوف على معنى الشرط، فجمع بين معنيي السبب والشرط، فالعطف إذن ليس على إرادة معنى الفاء، بل على إرادة معنى جديد.

جاء في (معاني النحو): "عطف (أكنْ) المجزوم على (أصّدق) المنصوب، وهو عطف على المعنى، وذلك أنّ المعطوف عليه يراد به السبب والمعطوف لا يراد به السبب، فإنّ (أصّدق) منصوب بعد فاء السبب وأمّا المعطوف فليس على تقدير الفاء، ولو أراد السبب لنصب، ولكنه جزم لأنه جواب الطلب، نظير قولنا: (هل تدلني على بيتك أزرْك؟) كأنه قال: إنْ تدلني على بيتك أزرك، فجمع بين معنيي التعليل والشرط، ومثل ذلك أنْ أقول لك: (احترم أخاك يحترمْك) و(احترم أخاك فيحترمَك) فالأول جواب

الطلب والثاني سبب وتعليل، وتقول في الجمع بين المعنيين (أكرم صاحبك فيكرمَك ويعرفْ لك فضلك) وهو عطف على المعنى".

وقد تقول: ولماذا لم يسو بينهما، فيجعلهما نسقاً واحداً؟

والجواب أنهما ليسا بمرتبة واحدة في الأهمية، فالصلاح أهم من الصدقة ذلك أنَّ الذي ينجي من العذاب هو كونه من الصالحين لا كونه متصدقاً فإنّ المؤمن قد لا يتصدق بصدقة أصلاً، ومع ذلك يدخل الجنة بصلاحه وقد لا يكون معه ما يتصدق به. فالذي ينجيه من العذاب، ويدخله الجنة، هو أنْ يكون من الصالحين، والتصدق إنما يكون من الصلاح. والذي يدلك على ذلك قوله تعالى في سورة (المؤمنون): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠] فإنه ذكر الصلاح ولم يذكر الصدقة؛ لأنّ الآية لم تقع في سياق الكلام على الأموال وإنفاقها، وذلك يدل على أنّ الصلاح هو مناط النجاة وأنه هو الأهم، فعبّر عن كونه من الصالحين بأسلوب الشرط؛ لأنه أقوى في الدلالة على التعهد والتوثيق، فقد اشترط على نفسه أنْ يكون من الصالحين، وقطع عهداً على نفسه بذلك، فأعطى الأهم والأولى أسلوب الشرط الدال على القوة في الأخذ على النفس والالتزام، وأعطى ما هو دونه في الأهمية والأولوية أسلوب التعليل، ولم يجعلهما بمرتبة واحدة.

وقد تقول: إذا كان الأمر كذلك فلِمَ قدّم الصدقة على الصلاح؟

والجواب: أنّ السياق هو في إنفاق الأموال، فقد قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾. .. فدعا إلى الإنفاق، فكان تقديم الصدقة مناسباً للمقام.

ثم إنه تردد في السورة ذكر الأموال والانشغال بها، وما إلى ذلك، فقد جاء قبل هذه الآية قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ فنهى عن الانشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله، وجاء قبلها قوله في المنافقين: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

فأنت ترى أنّ تقديم الصدقة هو المناسب للسياق الذي وردت فيه الآية وللجو الذي تردد فيه ذكر الأموال والانشغال بها، والتوصية من المنافقين بعدم إنفاقها في سبيل الخير.

وقد تقول: ولِمَ قال: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ ولم يقل (فأتصدق) الذي هو الأصل؟

والجواب: أنّ هناك عدة أسباب تدعو إلى هذا الاختيار.

آ ـ منها أنّ مقاطع (فأتصدق) أكثر من مقاطع (فأصّدق)، فإنّ مقاطع (فأتصدق) ستة، ومقاطع (فأصدق) خمسة:

[فَ + أَ + تَ +صد +دَ +قَ] = ستة مقاطع.

[فَ +أص+صَ +دَ +قَ]= خمسة مقاطع.

وهو طَلَبَ التأخير إلى أجل قريب، فاختار اللفظة التي هي أقصر لتناسب قصر المدة.

ب ـ ثم إنّ في ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ تضعيفين أحدهما في الصاد، والآخر في الدال في حين أنّ في (فأتصدق) تضعيفاً واحداً موطنه الدال، والتضعيف مما يدل على المبالغة والتكثير؛ ولذا كان في قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ من المبالغة والتكثير في الصدقة ما ليس في (فأتصدق)، فدلّ بذلك أنه أراد أجلاً قريباً ليكثر من الصدقة ويبالغ فيها.

فهذا البناء أفاد معنيين:

الأول: قصر المدة؛ وذلك لأنه طلب التأخير مدة قصيرة.

والآخر: هو الإكثار من الصدقة في هذه المدة القصيرة، فكان ذلك أنسب.

من هذا ترى أنه وضع كل تعبير في مكانه الذي هو أليق، وأعطى كلاً منهما حقه الذي هو له. فانظر كيف جمع بين معنيين: التعليل والشرط.

وقدّم الصدقة مناسبة للمقام، وأعطى الصلاح أهمية تفوق الصدقة وجاء بلفظة (أصّدق) لتدل على قصر المدة والإكثار من الصدقة فجمعت معنيين مناسبة للمقام، كل ذلك بأوجز عبارة وأبلغها. والله أعلم.

السؤال الرابع :

ماذا عن استعمال الأفعال المسندة إلى الموت؟ وما دلالة تقديم المفعول به مع ذكر الموت؟

الجواب :

١ـ جاء لفظ (الموت) فاعلاً في (١١) موضعاً في القرآن الكريم كله. ويقول العلماء إنّ تقديم المفعول به وإبعاد الفاعل هو إمّا للاهتمام بالمقدَّم أو لإبعاد شبح الموت، وهو شيء مكروه لكل البشر، فالكل لا يحب قدومه.

انظر الجدول التالي :

الفعل مع الموت	عدد المواضع	الآيات
﴿حَضَرَ﴾	٤	البقرة ١٣٣ـ البقرة ١٨٠ـ المائدة ١٠٦ـ النساء ١٨
﴿جَآءَ﴾	٢	الأنعام ٦١ـ المؤمنون ٩٩
﴿يُدْرِكُ﴾	٢	النساء ٧٨ـ النساء ١٠٠
﴿يَأْتِى﴾	٢	إبراهيم ١٧ـ المنافقون ١٠
﴿يَتَوَفَّى﴾	١	النساء ١٥

المجموع ١١ موضعاً

الفعل: ﴿حَضَرَ﴾

الفعل (حضر) هو من الحضور وهو نقيض الغياب، كقولك: (كنت حاضراً معهم) أي موجوداً؛ ولهذا نقول: الله حاضر في كل مكان ونلمس بالفعل (حضر) شدة القرب.

واستعمل القرآن الكريم في الآيات حضور الموت للأحكام والوصايا وكأنّ الموت من جملة الشهود، والقرآن لا يتحدث في آيات ﴿حَضَرَ﴾ عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت، لكنّ الكلام هو في الأحكام والوصايا، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ ووصية يعقوب لأولاده.

الفعل: ﴿جَآءَ﴾

فيه معنى القرب الشديد وتحقق الوقوع، والفعل (جاء) معناه الانتقال من مكان إلى مكان، وفي القرآن ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ بمعنى: لم يكن موجوداً، وإنما جاء الأمر، وكذلك ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ .

و مجيء الموت في القرآن يستعمل في الكلام عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت، كما في آية المؤمنون ٩٩ وآية الأنعام ٦١ .

وكذلك يستعمل الفعل (جاء) مع غير كلمة الموت كالأجل: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ وسكرة الموت: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ .

الفعل: ﴿يُدْرِكُ﴾

(أدرك) أي لحق به وقبض عليه، وفيه صورة الملاحقة، كما في آية النساء ٧٨، حيث تصور الآية من ينتقل من مكان لآخر هرباً من الموت والموت يسعى وراءه حتى يدركه، ولو كان متحصناً في بروج مشيدة.

الفعل: ﴿يَأْتِي﴾

إتيان الموت المراد به إتيان أسبابه من وسائل التعذيب، والكلام عن المعذَّب بنار جهنم، كما في آية إبراهيم ١٧ ـ يونس ٣٦.

الفعل: ﴿يَتَوَفَّى﴾

الفعل(توفّى) يأتي في القرآن على ثلاثة ألوان :

١ـ ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[الزُّمَر:٤٢].

٢ـ ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾[السجدة:١١].

٣ـ ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾[الأنعام:٦١].

فهو سبحانه ينسب التوفي له وللملك الموت ولرسله، فأخذ الأرواح وقبضها إلى الله أمراً، وإلى ملك الموت وسيلة وواسطة، وإلى الرسل تنفيذاً. والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة المنافقون مع خواتيمها :

السورة إنها هي في المنافقين وصفاتهم عدا آيتين في خواتيم السورة هما في عباده المؤمنين وتوجيههم. وقد ناداهم بـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾. ذلك لأنهم بمقابل المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان.

وقد أمر ربنا المؤمنين أنْ ينفقوا مما رزقهم الله فقال : ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾[المنافقون:١٠].

وهذا بمقابل ما يقوله المنافقون لنظرائهم ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ﴾.

فالمنافقون يقولون: ﴿لَا تُنفِقُوا۟﴾ والله يقول : ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم﴾.

والله أعلم.

فهرس المحتويات